أجاثا كريستي

Agatha Christie

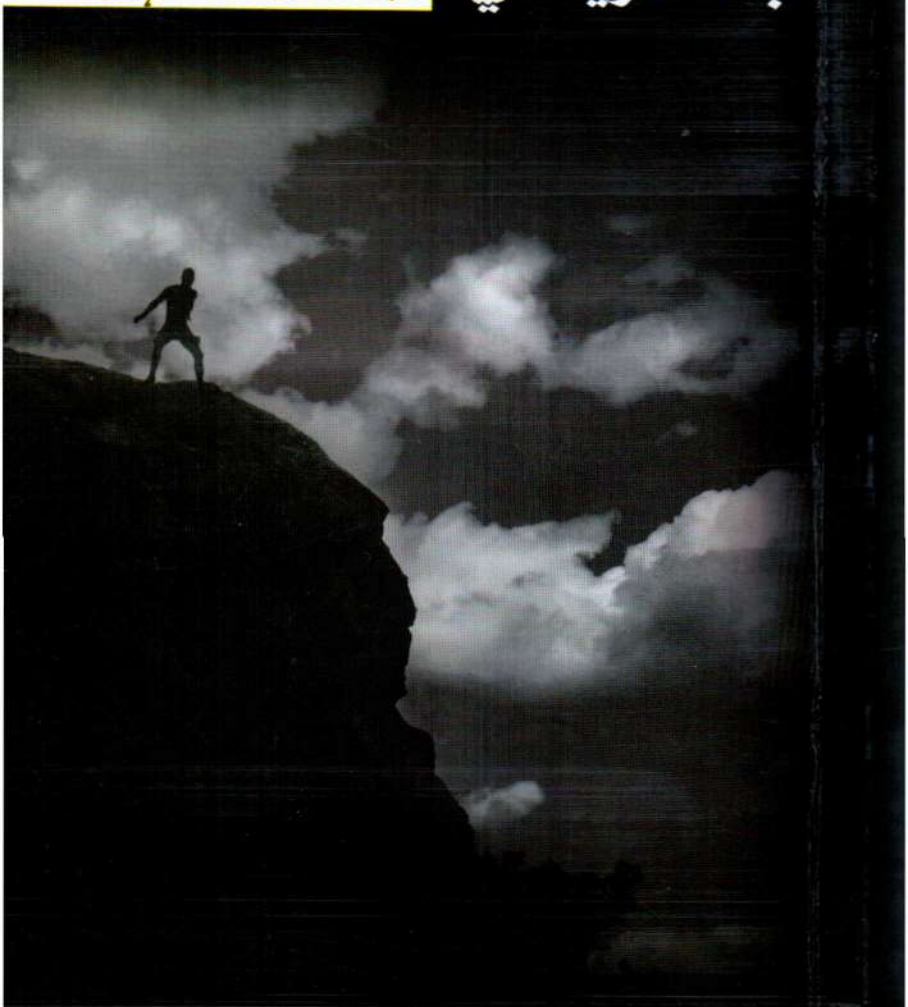

لماذا لم يسألوا إيفانز؟

بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا لم يسألوا إيفانز؟

تُعرف أجاثا كريستى فى كل أنحاء العالم باسم "ملكة الغموض"، ولقد حققت مبيعات كتبها ما يربو على مليار نسخة باللغة الإنجليزية، إضافة إلى مليار نسخة أخرى ترجمت إلى مائة لغة أجنبية، وهى تعد أكثر كاتبة نُشرت لها كتب على مر العصور على مستوى كل اللغات، ولم يفُقها فى المبيعات إلا كتب شكسبير، وقد قامت بتأليف ثمانين كتابًا، ما بين روايات ومجموعات من القصص القصيرة فى الجريمة، كما قامت بتأليف تسع عشرة مسرحية، وست روايات تحت اسم مارى ويستماكوت.

ولقد كتبت أجاثا كريستى روايتها الأولى "القضية الغامضة فى مدينة ستايلز" قرب نهاية الحرب العالمية الأولى، والتى كانت تعمل خلالها ممرضة فى الجيش، وقد قامت فى هذه الرواية بابتكار شخصية هيركيول بوارو، ذلك المحقق البلجيكى ضئيل الجسم الذى صار أشهر محقق فى روايات الجرائم بعد شيرلوك هولمز، وقد نشرت الرواية أخيرًا بواسطة دار نشر Bodley Head فى عام ١٩٢٠.

وفى عام ١٩٢٦، وبعد أن اعتادت تأليف رواية واحدة كل عام، قامت أجاثا كريستى بتأليف روايتها العظيمة "من الذى قتل السيد روجر أكرويد؟"، تلك

الرواية التى كانت أول رواية تنشرها لها دار النشر " Collins " والتى أسست علاقة ربطت بين الكاتبة والناشر دامت لخمسين عامًا ونتج عنها ما يزيد على سبعين رواية . كما كانت رواية " من الذى قتل السيد روجر أكرويد ؟ " هى أولى رواياتها التى يتم تمثيلها مسرحيًا ـ تحت عنوان " Alibi " ـ واستمر عرضها بنجاح على مسرح " ويست إند " فى "لندن" لمدة طويلة، وقد تم افتتاح مسرحية " مصيدة الفئران " ـ أشهر مسرحياتها على الإطلاق ـ فى عام ١٩٥٢ . وهى المسرحية المعروفة بكونها صاحبة أطول فترة عرض فى التاريخ.

وقد منحت أجاثا كريستى لقب "فارسة صاحبة مقام ـ رفيع" فى عام ١٩٧١ ، وتوفيت فى عام ١٩٧٦ . ومنذ ذلك الحين ظهرت عدة مؤلفات لها منها تلك الرواية التى حققت أعلى المبيعات " Sleeping Murder " وظهرت لاحقًا فى نفس عام وفاتها. بعد ذلك نُشرت السيرة الذاتية لها . ثم مجموعة القصص القصيرة *Miss Marples Final* " *Cases*" و" *Problem at Pollensa Bay*" و" *While the Light Lasts*". وفى عام ١٩٩٨ تم تحويل أول مسرحية لها وهى " *Black Coffee* " إلى رواية بواسطة مؤلف آخر هو " تشارلز أوزبورن " .

إلى كريستوفر مالوك،
فى ذكرى هندس

المحتويات

١ الحادث ١
٢ بخصوص الآباء ٩
٣ رحلة بالقطار ١٧
٤ التحقيق ٢٩
٥ السيد والسيدة كابمان ٣٧
٦ نهاية نزهة ٤٧
٧ هروب من الموت ٦١
٨ لغز الصورة ٧٥
٩ بخصوص السيد باسينجتون فريتش ٨٩
١٠ تدبير حادث ٩٩
١١ تنفيذ الحادث ١١١
١٢ في معسكر العدو ١٢١
١٣ آلان كارستيرز ١٣١
١٤ الطبيب نيكلسون ١٤٥
١٥ اكتشاف ١٥٧

www.liilas.com/vb3
uploaded and scanned
by:
THE GHOST 92

١٦ بوبي يصبح محاميًا ١٧٣
١٧ حديث السيدة ريفنجتون ١٨٧
١٨ فتاة الصورة ١٩٩
١٩ تشاور ثلاثي ٢١١
٢٠ تشاور ثنائي ٢١٩
٢١ روجر يجيب عن سؤال ٢٢٥
٢٢ ضحية أخرى ٢٣٧
٢٣ اختفاء موبرا ٢٤٧
٢٤ تعقب آثار آل كايمان ٢٦١
٢٥ حديث السيد سيراج ٢٧٣
٢٦ مغامرة ليلية ٢٨٣
٢٧ "لقد تعرض أخي للقتل" ٢٩١
٢٨ في اللحظات الأخيرة ٣٠٣
٢٩ حكاية بادجر ٣١٥
٣٠ الهروب ٣٢٣
٣١ فرانكي تطرح سؤالا ٣٣٣
٣٢ إيفانز ٣٤٩
٣٣ حديث مثير في مقهى أورينت كافيه ٣٥٥
٣٤ خطاب من أمريكا الجنوبية ٣٦٥
٣٥ أخبار من دار العبادة ٣٧٥

الفصل ١

الحادث

وضع بوبي جونز كرة الجولف فوق كومة الرمل، وهز يديه بحركة تحضيرية قصيرة، ثم أمسك المضرب مجددًا ببطء، وطوحه إلى أسفل بطول ذراعيه بمنتهى القوة وبسرعة البرق.

لكن هل طارت الكرة وارتفعت في خط مستقيم فوق الممر، وظلت ترتفع إلى أعلى وهي تنطلق بقوة، عابرة المنطقة الرملية لتهبط على مسافة قريبة من الحفرة الخضراء رقم ١٤؟

كلا. لم تفعل الكرة أيًا من ذلك، بل تدحرجت بقوة الضربة السيئة التي نالتها واندفعت على طول الممر حتى سقطت ووقفت بثبات داخل المنطقة الرملية!

لم يكن هناك حشد من المتفرجين المتحمسين لتنطلق من أفواههم صيحات الاستهجان وخيبة الأمل، ولم يظهر على ملامح وجه المشاهد الوحيد للمباراة أية أمارات للدهشة، ويمكن تبرير هذا الأمر بمنتهى السهولة؛ حيث إن الضارب لم يكن لاعب جولف شهيرًا، وإنما كان الابن الرابع لراعي دار

عيادة ماركيولت ـ وهى بلدة ساحلية صغيرة تقع بالقرب من ساحل ويلز.

أطلق بوبى صيحة تحمل كل معانى الغضب والانزعاج.

كان بوبى شابًا لطيف الملامح، يبلغ من العمر ثمانية وعشرين عامًا، ولم يكن بمقدور أفضل أصدقائه أن يصفه بالشاب وسيم الملامح، لكنه كان يمتلك وجهًا مريحًا ومحببًا، وكانت عيناه البنيتان تُظهران الود والصراحة، والإخلاص.

قال بوبى بضجر: "إن مستواى يسوء يومًا بعد يوم".

قال رفيقه: "أنت تضغط على نفسك كثيرًا".

كان الدكتور توماس رجلاً فى منتصف العمر، له شعر رمادى ووجه مبتهج أحمر اللون، لم يكن من عادة الدكتور توماس أن يطوح مضربه بمنتهى القوة، وإنما كان يضرب الكرة بضربات قصيرة مستقيمة فى المنتصف، وعادة ما كان يتغلب على لاعبين أكثر منه براعة ولكن أقل تنظيمًا.

ضرب بوبى الكرة بقوة مستخدمًا المضرب الخشبى، وكان النجاح حليفه فى الضربة الثالثة، فتوقفت الكرة على مسافة قريبة من المنطقة العشبية التى أوصل الدكتور توماس كرته إليها بضربتين فقط من مضربه الحديدى.

قال بوبى: "هذه الحفرة من نصيبك بالتأكيد".

ثم انطلقا إلى الحفرة التالية.

ضرب الطبيب كرته أولا ـ وكانت ضربة جيدة ومستقيمة، لكنها لم تكن بالقوة الكافية لتعبر مسافة كبيرة.

تنهد بوبى، ووضع كرته فوق كومة الرمل وعدل من وضعها، وطوح بمضربه فى الهواء لعدة مرات، وسحب المضرب إلى الوراء بشدة، وأغلق عينيه، ورفع رأسه، وخفض كتفه الأيمن، وفعل كل الأشياء التى لا يجب فعلها ـ ثم ضرب الكرة بقوة لتنطلق بسرعة رهيبة فوق منتصف الممر.

أطلق بوبى زفرة عميقة تحمل كل معانى الارتياح والرضا، وانزاح ذلك العبوس الشهير الذى يميز لاعبى الجولف من وجهه ليحل محله تعبير الجزل والبهجة الذى لا يغيب عن وجوه لاعبى الجولف عند إحراز النصر.

قال بوبى ـ بلهجة كاذبة: "لقد عرفت الآن ماذا كنت أفعل من قبل".

ضرب بوبى الكرة بمضربه الحديدى ضربة مثالية، ثم استعمل المضرب الخشبى لضربة خفيفة، وسرعان ما وضع الكرة فى الحفرة، وصل بوبى إلى إحراز أربع ضربات تحت المعدل وصار الطبيب توماس متقدمًا عليه بضربة واحدة.

تقدم بوبى إلى الحفرة رقم ١٦ وقد امتلأ بالثقة فى نفسه، ومجددًا فعل كل الأشياء التى لا يجب أن يفعلها، لكن لم تحدث أى معجزات هذه المرة: فما حدث هو أن الكرة انطلقت بشكل إعجازى خارق وبزاوية مستقيمة تمامًا ولكن إلى الناحية العكسية.

قال الدكتور توماس: "لو أنها كانت ضربة مستقيمة إلى الأمام... لكانت معجزة!".

قال بوبى بمرارة: "*لو أنها كانت كذلك*... عجبًا، أظن أننى

سمعت صوت صرخة! أتمنى ألا تكون الكرة قد ارتطمت برأس أحدهم".

حدق بوبى النظر إلى اليمين، لكن كان الضوء خافتًا والرؤية شبه منعدمة؛ حيث كانت الشمس تكاد تصل إلى نقطة الغروب، وكان النظر باتجاهها يُصعب رؤية الأشياء البعيدة، علاوة على وجود ضباب خفيف ينبعث من البحر، وكانت حافة الجرف على بعد عدة مئات من الياردات.

قال بوبى: "إن خط سير الكرة يمتد بهذا الاتجاه، لكن من المستحيل أن تكون الكرة قد عبرت كل هذه المسافة. على أى حال، أظن بالفعل أننى سمعت صرخة ـ هل سمعتها أنت؟".

لكن الطبيب لم يكن قد سمع شيئًا.

انطلق بوبى باحثًا عن كرته، ووجد بعض الصعوبة فى العثور عليها، لكنه وجدها أخيرًا مغروسة فى الأرض. لقد كان من المستحيل عمليًا ضرب الكرة؛ حيث إنها تختفى تمامًا داخل أجمة من الشجيرات. حاول بوبى ضرب الكرة مرة أو مرتين دون نجاح، ثم التقطها بيده ونادى على رفيقه ليعلمه بأنه قد خسر تلك الحفرة.

تحرك الطبيب تجاهه؛ حيث كانت الحفرة التالية عند حافة الجرف تمامًا.

كانت الحفرة رقم ١٧ تمثل مصدر خوف دائم بالنسبة لـ بوبى؛ حيث كانت تتطلب إطلاق الكرة بقوة لتعبر فوق هوة الجرف، ورغم أن المسافة لم تكن كبيرة للغاية فقد كانت جاذبية عمق الهوة شديدة للغاية.

كان الرجلان قد عبرا ممر المشاة الذى صار الآن يمتد إلى الداخل عن يسارهما، محاذيًا حافة الجرف تمامًا.

أمسك الدكتور بمضربه الحديدى وضرب الكرة بقوة كانت كافية لإيصالها إلى الناحية الأخرى.

أما بوبى فقد التقط نفسًا عميقًا ثم طوح بالمضرب، فتدحرجت الكرة إلى الأمام ثم اختفت عند وصولها إلى حافة الجرف.

قال بوبى بمرارة: "إننى أؤدى هذه الضربة الغبية فى كل مرة أصل فيها إلى هذه الحفرة اللعينة".

طاف بوبى حول حافة الجرف، وهو يحدق النظر إلى أسفل. كانت مياه البحر تلمع أسفل الجرف، لكن لم تكن كل الكرات تضيع فى أعماقه. كانت زاوية الهبوط شديدة الانحدار عند القمة، لكنها كانت أقل انحدارًا كلما اتجهت إلى الأسفل.

سار بوبى ببطء فوق حافة الجرف، وكان يعلم أن هناك موضعًا واحدًا يمكن الهبوط منه إلى أسفل بسهولة كبيرة، وهذا هو ما كان يفعله المساعدون الصغار الذين عادة ما كانوا يتطلقون إلى أسفل الحافة بسرعة ثم يعودون وهم يلهثون وفى يدهم الكرة المفقودة.

تسمر بوبى فى مكانه فجأة، ونادى على رفيقه:

"تعالَ إلى هنا أيها الطبيب. ما الذى تظن أنه موجود هناك بالأسفل؟".

فعلى بُعد أربعين قدمًا بالأسفل، كانت هناك كومة داكنة من شىء أشبه بالملابس القديمة.

التقط الطبيب أنفاسه وقال:

"يا إلهي! لقد سقط أحدهم من فوق الجرف ـ يجب أن نصل إليه".

وجنبًا إلى جنب، هبط الرجلان المنحدر الصخري، وكان بوبي، الأكثر لياقة، يساعد رفيقه على الهبوط. وأخيرًا وصلا إلى الكومة المظلمة مجهولة المعالم والتي لم تكن سوى جسد رجل في الأربعين من العمر. كان الرجل لايزال يتنفس، ولكنه كان فاقدًا للوعي.

بدأ الطبيب في فحص الرجل، فأمسك أطرافه وتحسس نبضه، ورفع جفنيه إلى أعلى، ثم انحنى إلى جوار الرجل وأكمل الفحص. وأخيرًا رفع الطبيب عينيه إلى بوبي الذي كان يقف مكانه شاعرًا بالغثيان ويهز رأسه ببطء.

قال الطبيب: "لا يوجد ما يمكن عمله من أجله. إن ذلك المسكين في لحظاته الأخيرة؛ فقد انكسر ظهره. حسنًا، أعتقد أنه لا يعرف المنطقة جيدًا، ولعله سار نحو الحافة عندما هبط الضباب. لقد أخبرت مجلس البلدية بضرورة وضع حاجز عند تلك الحافة".

ثم وقف الطبيب مجددًا وقال:

"سوف أنطلق لجلب المساعدة وعمل الترتيبات لنقل الجثة إلى أعلى، فسوف يعم الظلام قبل أن نعرف أين نقف بالضبط. هلا بقيت هنا حتى أعود؟".

أومأ بوبي برأسه موافقًا.

ثم قال متسائلًا: "لا أظن أن هناك ما يمكن عمله من

أجله، أليس كذلك؟".

هز الطبيب رأسه وقال:

"بلى. لن يستغرق الأمر طويلًا ـ إن نبضه يضعف بقوة، ولا أعتقد أنه سيصمد أكثر من عشرين دقيقة على أقصى تقدير. من الممكن أن يسترد وعيه قبل النهاية بقليل؛ لكن من المرجح ألا يحدث ذلك، ومع ذلك...".

قال بوبي بسرعة: "من الأفضل أن أبقى هنا على أي حال. انطلق أنت الآن". سكت بوبي للحظة ثم أضاف يتردد: "إذا استرد وعيه، ألا يوجد أي عقار أو مسكن...".

هز الطبيب رأسه نافيًا وقال:

"لن يحس بأي ألم... لن يحس بأي ألم على الإطلاق".

ثم استدار الطبيب وبدأ يتسلق المنحدر الصخري مجددًا بسرعة، وظل بوبي يتطلع إليه حتى اختفى وراء قمة الجرف وهو يلوح بيده.

تحرك بوبي خطوة أو اثنتين على طول الجرف الصخري الضيق، وجلس فوق نتوء صخري وأشعل إحدى سجائره. كان مشهد ذلك الرجل قد أثار مشاعره؛ فحتى تلك اللحظة لم يكن بوبي قد واجه المرض أو رأى الموت عن قرب.

يا له من حظ عاثر ذاك الذي تعرض له ذلك الرجل! غيمة من الضباب في ليلة مقمرة، وموضع قدم خاطئ ـ وحياة تصل إلى نهايتها. كان الرجل يبدو في موفور الصحة والعافية ـ ولعله لم يعرف المرض يومًا في حياته؛ فلم يتمكن شحوب الموت من إخفاء سمرة بشرته. لعله كان رجلًا عاش حياة منطلقة ـ ربما

بالخارج ـ بعيدًا عن الجو البارد بالمنطقة. تفرس بوبى فى ملامح الرجل عن قرب ـ كان للرجل شعر كستنائى متموج يختلط بشعرات رمادية قليلة عند صدغيه، وأنف ضخم وفك قوى وأسنان بيضاء تظهر خلف شفتيه المفتوحتين، وكتفان عريضتان ويدان قويتان. كانت ساقا الرجل ملتويتين بزاوية تثير الفضول، لكن بوبى رفع عينيه مجددًا إلى وجه الرجل ـ ذلك الوجه الوسيم، الذى بدت عليه أمارات خفة الظل والتصميم وسعة الحيلة. أما العينان، فقد ظن بوبى أنهما زرقاوان...

وبينما وصل بوبى إلى تلك النقطة فى أفكاره، انفتحت العينان فجأة.

كانت العينان زرقاوين بالفعل ـ زرقة عميقة وواضحة، وقد تطلعتا إلى بوبى مباشرة، ولم يكن بهما أثر للدهشة أو غياب الوعى، بل بدتا واعيتين للغاية. كانت العينان تتطلعان إلى بوبى، وفى نفس الوقت بدتا وكأنهما تطرحان سؤالاً.

وقف بوبى بسرعة وتحرك تجاه الرجل، لكن الأخير تحدث قبل أن يصل بوبى إليه، ولم يكن صوته ضعيفًا أو واهنًا ـ بل خرج قويًا وواضحًا.

قال الرجل: "*لماذا لم يسألوا إيفانز؟*".

ثم اعترت ملامحه رجفة غريبة، وسرعان ما ارتخت جفونه وسقط فكه...

وفاضت روحه إلى بارئها!

الفصل ٢

بخصوص الآباء

جثا بوبى بجوار الرجل. لكن لم يكن هناك شك فى الأمر ـ لقد مات الرجل بعد أن استعاد وعيه فى آخر لحظة من لحظات حياته، ثم نطق بذلك السؤال، وبعدها... بعدها كانت النهاية.

وبشكل شبه اعتذارى، وضع بوبى يده داخل جيب الرجل الميت وأخرج منديلاً حريريًا، ثم فرده بإجلال فوق وجه الرجل. ولم يكن هناك شىء آخر يستطيع فعله.

ثم لاحظ أنه قد أخرج شيئًا آخر من جيب الرجل وهو يخرج المنديل، وكان ذلك الشىء عبارة عن صورة فوتوغرافية، وأثناء محاولته إرجاع الصورة إلى داخل الجيب مجددًا، تعلقت عيناه بالوجه الموجود داخل الصورة.

كانت الصورة تحمل وجه امرأة ذات ملامح مميزة بشكل غير اعتيادى ـ كانت امرأة جميلة الملامح، واسعة العينين، وقد بدت أكبر من أن توصف بأنها صبية، وأقل من سن الثلاثين، ولكن ما جذب انتباه بوبى إليها هو سمة جمالها اللافت للنظر

وليس شدة الجمال نفسها؛ فقد كانت تلك الفتاة تمتلك وجهًا من الصعب نسيانه ـ أو هكذا ظن بوبى.

أعاد بوبى الصورة داخل الجيب برفق وتوقير، ثم جلس مرة أخرى فى انتظار عودة الطبيب.

كان الوقت يمر ببطء شديد ـ أو على الأقل هكذا بدا الأمر فى عقل الفتى المنتظر. كذلك فقد تذكر بوبى شيئًا آخر؛ وهو أنه كان قد وعد والده بأن يعزف على الأرغن فى الحفل المسائى الذى تقيمه دار العبادة فى تمام السادسة مساءً. وكانت الساعة الآن تشير إلى السادسة إلا عشر دقائق. لكنه كان يعلم أن والده سوف يتفهم الظروف بشكل طبيعى، وكان يتمنى لو أنه تذكر أن يرسل إلى أبيه رسالة مع الطبيب؛ فقد كان والده الموقر توماس جونز رجلًا شديد العصبية، وكان ـ بدون شك، شديد ـ الحساسية. وعندما كانت تثور ثائرته كان جهازه الهضمى يتعرض لانهيار تام؛ مما يسبب له آلامًا لا توصف. ومع أن بوبى كان يعتقد أن والده عجوز بائس إلا أنه كان شديد التعلق به. أما الموقر جونز فكان يعتقد أن ابنه الرابع شاب أحمق بائس، وكان يعامله بحدة. ولم يكن بوبى يعتقد أن هذه هى الطريقة المناسبة لإحداث التحسن المطلوب فى سلوكه.

قال بوبى فى نفسه: "يا للعجوز المسكين! سوف يظل يرغى ويزبد، ولن يعرف ما إذا كان يجب أن يبدأ الحفل أم لا. وسوف يستشيط غضبًا حتى يصاب بآلام المعدة. وحينها لن يستطيع أن يتناول طعام العشاء. ولن يدرك أننى ما كنت لأخلف وعدى له ما لم يكن الأمر خارجًا عن إرادتى و... وما أهمية أن أعزف

فى هذا الحفل من الأساس؟ لكنه لن ينظر إلى الأمر من هذه الزاوية، فأنا أرى أن كل من تجاوزوا الخمسين ليس لديهم أى عقل ـ فهم يشغلون أنفسهم بشدة بأمور لا قيمة لها. وأظن أن للأمر علاقة بالطريقة الخاطئة التى تربوا عليها والتى لم يعد بمقدورهم تغييرها على الإطلاق. مسكين والدى العجوز!".

جلس بوبى يفكر فى والده وقد اختلطت بعقله مشاعر الحب والغضب. وبدت له حياته بمنزل والده وكأنها تضحية طويلة الأمد من أجل إرضاء أفكار أبيه الغريبة. وعلى الجانب الآخر، كان السيد جونز ينظر إلى حياته كتضحية طويلة الأمد من أجل ابن لا يفهمه ولا يقدره. وهكذا كانت كثير من الأفكار التى تتعلق بنفس الموضوع تختلف فيها وجهتا نظر الأب والابن.

استغرق الطبيب دهرًا حتى يعود؛ وقد كان حريًا به أن يكون قد عاد بحلول هذا الوقت.

هب بوبى واقفًا وبدأ يدبدب بقدميه على الأرض فى ضجر. وفى تلك اللحظة سمع صوتًا فوقه، فرفع نظره إلى أعلى، فرحًا بأن المساعدة قد جاءت وأن خدماته لم تعد ضرورية.

لكن من جاء لم يكن الطبيب توماس، وإنما كان رجلًا يرتدى السروال الخاص بلاعبى الجولف ولا يعرفه بوبى.

قال الوافد الجديد: "هل هناك خطب ما؟ هل وقع حادث؟ هل يمكننى مساعدتك بأى طريقة؟".

كان رجلًا طويلًا وله صوت لطيف وصدّاح. لكن بوبى لم يستطع تبين ملامحه بوضوح لأن ظلمة الليل كانت تغزو المكان بسرعة.

أوضح بوبى ما حدث بينما أطلق الشخص الغريب تعليقات تعبر عن صدمته.

تساءل الرجل: "ألا يوجد ما يمكننى عمله؟ ـ كأن أحضر المساعدة أو أفعل أى شىء آخر؟".

أوضح له بوبى أن المساعدة فى الطريق، ثم سأله عما إذا كان قد رأى أى أثر يدل على قدوم أحدهم.

"لا يوجد أحد يقترب فى الوقت الحاضر".

قال بوبى: "المشكلة أن لدىّ موعدًا فى السادسة".

"ولا تود أن تغادر...".

"كلا، لا أود ذلك... أقصد... إن الرجل قد توفى بالفعل، ولا يوجد ما يمكننى عمله، لكن مع ذلك...".

توقف بوبى عن الكلام، وبدا ـ كعادته ـ غير قادر على وصف مشاعره المضطربة بالكلمات.

على أى حال، بدا أن الرجل الآخر قد فهم ما يقصده بوبى.

فقال: "إننى أعرف ما تريده قوله. اسمع، سوف أهبط إليك ـ هذا بالطبع إن وجدت موضعًا أهبط منه ـ وسوف أنتظر حتى يأتى هؤلاء الرجال الذين تنتظرهم".

قال بوبى بامتنان: "أوه، أحقًا ستفعل ذلك؟ أتدرى! إننى مضطر للذهاب بسبب أبى. إنه ليس أبًا سيئًا فى الواقع، ولكنه يتزعج لصغائر الأمور. هل يمكنك رؤية طريق الهبوط؟ تحرك قليلًا إلى اليسار... والآن إلى اليمين قليلًا... هذا هو الوضع الصحيح ـ إن الهبوط ليس بمثل هذه الصعوبة".

ظل بوبى يشجع الرجل الآخر بتوجيهاته حتى صارا وجهًا لوجه داخل الممر الضيق. كان الوافد الجديد رجلًا فى الخامسة والثلاثين من العمر، وبدت ملامح وجهه غير محددة، وكأنه كان بحاجة إلى نظارة أحادية العدسة وشارب خفيف.

قال الوافد الجديد: "أنا غريب عن هذه المنطقة، واسمى باسينجتون فرينش بالمناسبة، وقد أتيت إلى هنا لشراء أحد المنازل. يا لها من مأساة تلك التى حدثت هنا! هل تظنه سقط من فوق الحافة؟".

أومأ بوبى برأسه موافقًا.

وأردف موضحًا: "لقد كان هناك بعض الضباب، وهو طريق خطير من الأساس. حسنًا، أراك لاحقًا، وشكرًا على كل شىء. يجب أن أسرع الآن، ولن أنسى لك هذا الصنيع".

قال الرجل الآخر معترضًا: "لا داعى للشكر؛ فإن أى شخص فى موضعى كان سيفعل نفس الشىء ـ إذ لا يمكن ترك ذلك الرجل المسكين ملقى هكذا... حسنًا، أقصد أنه ليس تصرفًا لائقًا".

كان بوبى يتسلق الصخور عائدًا إلى أعلى، وعندما وصل إلى القمة لوح بيده للرجل الآخر ثم انطلق يعدو عائدًا إلى البلدة. ولكى يوفر على نفسه بعض الوقت، تسلق سور دار العبادة بدلًا من الالتفاف حوله وصولًا إلى البوابة الأمامية ـ وهو ما لاحظه الموقر جونز من الشرفة العلوية لدار العبادة وأثار امتعاضه بشدة.

كانت الساعة تشير إلى خمس دقائق بعد السادسة.

لقد تأجل التوضيح والتوبيخ إلى ما بعد الحفل الليلي. وجلس بويرو ـ منقطع الأنفاس ـ في مقعده وبدأ العزف على أوتار الآلة الموسيقية العتيقة. وقد أدت أفكار الموت التي سيطرت على عقله إلى قيامه بعزف لحن شوبان الجنائزي.

وبعد انتهاء الحفل، بدأ الموقر جونز يوبخ ابنه بطريقة تعبر عن الأسى أكثر مما تعبر عن الغضب.

قال الرجل: "إذا لم يكن باستطاعتك أن تفعل الشيء بطريقة صحيحة، يا عزيزي بويرو، فمن الأفضل ألا تقدم عليه من الأساس. إنني أعلم أنك وكل أصدقائك الشباب ليس لديكم أي احترام للوقت، لكن لا يجب أبدًا أن نترك الناس ينتظرون تشريفك المتأخر. لقد عرضت أن تعزف على الأرغن بمحض إرادتك، ولم أطلب منك هذا أو أجبرك عليه، وبدلاً من أن تلتزم بما وعدت به فضلت ـ بدافع من هوى قلبك ـ أن تذهب للعب الجولف...".

ظن بويرو أنه من الأفضل أن يقاطع أباه قبل أن يحتد ويتزايد غضبه.

فقال بلهجة مرحة ومبتهجة ـ وهي الطريقة التي اعتاد أن يتحدث بها مهما كان موضوع الحوار: "عذرًا يا والدي، لم يكن الأمر خطأ هذه المرة، فقد كنت أحرس جثة".

"كنت تفعل ماذا؟!".

"كنت أحرس جثة رجل سقط من فوق حافة الجرف ـ في تلك البقعة القريبة من الصدع الجبلي ـ عند الحفرة رقم ١٧. لقد كان هناك بعض الضباب حينها، ولابد أن الرجل قد سار

تجاه الحافة وسقط من فوقها".

صاح الموقر جونز: "رحمتك يا إلهي! يا لها من مأساة! هل لقي الرجل حتفه على الفور؟".

"كلا. لقد فقد الوعي لبعض الوقت، ولحظ أنفاسه بعد أن ذهب الطبيب توماس ليأتي بالمساعدة، لكنني بالطبع شعرت أن عليّ أن أبقى هناك ـ لم أستطع أن أترك الرجل ملقى هكذا وأرحل. ولكن بعد قليل حضر رجل آخر فتركت له مهمة البكاء على الفقيد وانطلقت أسابق الريح حتى وصلت إلى هنا".

تنهد الموقر جونز وقال:

"أوه، يا عزيزي بويرو، ألن يغير أي شيء من طبيعتك المستهترة هذه؟ إن حالك هذا يحزنني أكثر مما أستطيع أن أصف لك: فها أنت قد قابلت الموت وجهًا لوجه ـ وكان موتًا فجائيًا، ومع ذلك ما زلت تمزح بشأن هذا الأمر. ولم تؤثر فيك هذه التجربة مطلقًا. إن كل شيء ـ مهما كان مقدسًا أو جليلا ـ لا يعدو أن يكون مزحة في أفواهكم يا معشر الجيل الجديد".

ظل بويرو يبدل من وضع قدميه على الأرض.

إذا كان والده لا يستطيع أن يدرك أن المرء قد يمزح بشأن مسألة لكونه يشعر بالأسى تجاهها ـ حسنًا، فلا يمكن لوالده أن يدرك أمرًا كهذا، وليس هذا الأمر بالشيء الذي يستطيع المرء أن يشرحه. إن الموقر جونز يعتقد أن الموت والمآسي كفيلان بإحباط المرء وإلزامه الصمت.

ما الذي يمكن توقعه ممن تخطوا الخمسين من العمر؟ لا أحد ممن تخطوا هذه السن يفهم أي شيء؛ فهم لديهم

مجموعة غريبة من الأفكار! هكذا فكر بوبى.

قال بوبى لنفسه: "أعتقد أن الحرب هى سبب هذا ـ لقد أحيطتهم بشدة لدرجة أنهم لم يعودوا بعدها قادرين على التفكير السليم".

شعر بوبى بالخجل من أبيه وبالأسى للحالة التى وصل إليها.

قال بوبى وقد تأكد من أن محاولة تفسير موقفه صارت ضربًا من المستحيل: "عذرًا يا والدى".

شعر الموفر جونز بالأسى تجاه ولده ـ وظهرت عليه أمارات الخجل ـ لكنه شعر أيضًا بالخزى تجاهه. إن ذلك الفتى ليس لديه أى إدراك لجدية الحياة، وحتى اعتذاره يبدو مزيفًا ولا يدل على أى مشاعر ندم.

تحرك الأب وابنه تجاه دار العبادة، وكلاهما يبذل مجهودًا خرافيًا ليبرر لنفسه أسلوب الآخر وسلوكه.

قال الموفر جونز لنفسه: "متى سيعثر بوبى لنفسه على وظيفة....؟".

وقال بوبى لنفسه: "كم من الوقت سأطيق البقاء هنا...؟".

ومع ذلك فقد كان كلاهما يحب الآخر حبًا شديدًا.

الفصل ٣

رحلة بالقطار

لم ير بوبى الجزء التالى لمغامرته، فقد اتجه فى صباح اليوم التالى إلى المدينة لرؤية صديق كان يفكر فى افتتاح ورشة لتصليح السيارات، وكان يظن أن مشاركة بوبى له فى ذلك المشروع ستكون ذات قيمة.

بعد أن قام بوبى وصديقه بعمل جميع الترتيبات، استقل بوبى قطار الحادية عشرة والنصف عائدًا إلى بلدته بعد يومين من مغادرته إياها. استقل بوبى القطار بالفعل ولكنه لحق به فى آخر وقت ممكن، حيث كان قد وصل إلى محطة سكك حديد بادينجتون والساعة تشير إلى ١١:٢٨. وانطلق يركض عبر نفق الركاب وصولًا إلى الرصيف رقم ٣ فى اللحظة التى بدأ القطار فيها التحرك. فاندفع بوبى بأقصى سرعة وقفز إلى أول عربة رآها، متجاهلًا محصلى التذاكر الساخطين والحمالين الذين يجرون من خلفه مباشرة.

عندما جذب بوبى مقبض الباب ليفتحه، سقط على

الرصيف على يديه وركبتيه، لكنه سرعان ما هب واقفًا مرة أخرى: فقد كان الباب محكم الإغلاق بواسطة حمّال قوى البنية، وعندما دخل بوبى القطار وجد نفسه أمام الراكب الوحيد بالمقصورة.

كانت العربة تخص ركاب الدرجة الأولى، وفى الركن المواجه للمحرك، جلست فتاة داكنة البشرة ترتدى تنورة حمراء وسترة خضراء قصيرة وقبعة شديدة الزرقة، وعلى الرغم من ذلك التشابه الواضح بينها وبين القردة التى تصاحب العازفين المتجولين (حيث كانت الفتاة ذات عينين حزينتين داكنتين ووجه متفضن البشرة)؛ فقد كانت جذابة الملامح إلى حد كبير.

وفى منتصف عبارة الاعتذار، توقف بوبى عن الكلام فجأة.

ثم أردف: "عجبًا، إنها أنت يا فرانكى! لم أرك منذ وقت بعيد".

"وأنا الأخرى لم أرك منذ سنين ـ اجلس لنتحدث".

ابتسم بوبى وقال:

"إن تذكرتى خاصة بالدرجة الثانية".

ردت فرانكى بلطف: "هذا لا يهم. سوف أدفع الفرق من أجلك".

قال بوبى: "إنك تثيرين رجولتى لمجرد التفكير فى الأمر؛ فكيف يمكن أن أسمح لسيدة أن تدفع لى أجرة القطار؟".

قالت فرانكى: "يبدو أن هذا هو الأمر الوحيد الذى نجيد

عمله هذه الأيام".

لمح بوبى شخصًا ضخم الجثة يرتدى ملابس زرقاء يقترب عبر الباب الفاصل بين العربات، فقال بر جولة: "سوف أدفع الفرق بنفسى".

قالت فرانكى: "دع الأمر لى".

ابتسمت فرانكى بلطف إلى محصل التذاكر الذى حرك قبعته تحية لها، ثم مد يده ليلتقط التذكرة البيضاء من يديها ويقوم بثقبها.

قالت فرانكى: "لقد حضر السيد جونز نوًا لكى يحادثنى فى أمر ما ليضع دقائق، لا أظن أن هذا سيمثل مشكلة، أليس كذلك؟".

"لا توجد مشكلة يا سيدتى، وأظن أن السيد جونز لن يبقى لوقت طويل". سعل المحصل بكياسة وأردف بجدية: "لن أعود إلى هذه العربة مرة أخرى حتى يغادر القطار بريستول".

قال بوبى عندما غادر المحصل: "يا لألأشياء التى يمكن للمرء أن يفعلها بابتسامة!".

هزت الليدى فرانسيس ديرويندت رأسها نفيًا وقالت:

"لست واثقة من أن ابتسامتى كانت السبب، وانما أعتقد أن السبب الحقيقى هو عادة أبى فى إعطاء المحصلين إكرامية خمسة شلنات كلما سافر بالقطار".

"لقد ظننت أنك قد تخليت عن العيش فى ويلز إلى الأبد".

تنهدت فرانسيس قائلة: "يا عزيزى، أنت تعلم كيف هو

الحال، وتعلم كيف يتصرف الآباء بطريقة عتيقة. علاوة على تصرفاتهم الغريبة، وحالة دورات المياه المتردية، وعدم وجود شيء يمكن عمله أو أشخاص يمكن رؤيتهم ـ وكون الناس لا يحضرون لزيارة الريف هذه الأيام! إنهم يقولون إنهم يقتصدون في نفقاتهم ولا يستطيعون تحمل تكاليف هذه الرحلة الطويلة. حسنًا، ماذا يجب على الفتاة أن تفعل لتستمتع بوقتها؟"

هز بوبي رأسه في أسف، وقد أدرك بحزن أبعاد المشكلة.

أكملت فرانكي قائلة: "على أية حال، بعد الحفل الذي حضرته بالأمس، تيقنت أن المنزل أيضًا لن يكون أسوأ حالا".

"وما خطب ذلك الحفل؟".

"لا شيء على الإطلاق ـ لقد كان مثل أي حفل آخر، بل قل إنه لا يختلف عن أي حفل آخر في أي شيء. كان من المفترض أن يبدأ الحفل في الثامنة والنصف مساء، وقد انطلق بعضنا بسياراتهم في حوالي التاسعة والربع، وبالطبع انضم إلينا بعض الأشخاص الآخرين، ولكننا انفصلنا عنهم في حوالي العاشرة تقريبًا. لقد تناولنا طعام العشاء وبعد فترة توجهنا إلى نادي ماريونيت ـ فقد كانت هناك شائعة أن المكان سيكتظ بالرواد في تلك السهرة، لكن لم يحدث أي شيء من هذا ـ وقد كان المكان خاليًا ومملًا. وعليه فقد تناولنا بعض المشروبات وبعدها انطلقنا إلى نادي بولرينج فوجدناه أكثر هدوءًا ورتابة من سابقه، وبعدها توجهنا إلى مقهى صغير، ومنه إلى مطعم للأسماك المقلية، وبعدها فكرنا في أن ننطلق لكي نتناول وجبة

الإفطار مع خال أنجيلا ونرى ما إذا كان سيندهش لرؤيتنا، لكنه لم يندهش على الإطلاق ـ بل شعر بالملل فقط، وبعدها توجه كل منا إلى منزله. بصراحة يا بوبي، ليست هذه هي الحياة التي أتمناها".

قال بوبي ـ وهو يكتم إحساسه بالحسد: "لا أعتقد ذلك".

لم يحلم بوبي يومًا أو حتى مر بخياله أن يكون عضوًا في نادي ماريونيت أو نادي بولرينج.

كانت علاقته بفرانكي علاقة غريبة الوصف.

ففي مرحلة الطفولة، اعتاد أن يذهب مع إخوته لكي يلعبوا مع الأطفال في القلعة. والآن وبعد أن كبروا جميعًا في السن، صار من النادر أن يقابل أحدهم الآخر. وعندما كانوا يتقابلون كانوا يستخدمون أسماء العائلات عند التخاطب، وفي المناسبات القليلة التي كانت تتواجد فيها فرانكي بالقلعة كان بوبي وإخوته يذهبون للعب التنس هناك، لكنّ فرانكي وأخويها لم يتم دعوتهم لحضور الصلوات أو الاحتفالات التي تقيمها دار العبادة؛ فقد بدا وكأن هناك إجماعًا ضمنيًا على أن أبناء عائلة ديرويت لن يستمتعوا بحضور هذه الاحتفالات ـ لكن على الجانب الآخر، كان وجود المزيد من اللاعبين دائمًا ما يكون أمرًا محببًا للاستمتاع بلعبة التنس. وربما كان هناك بعض الارتباك في التعامل على الرغم من استخدام أسماء العائلات، ولعل أبناء عائلة ديرويت كانوا يتصرفون بود زائد عن المطلوب منهم، وكأنهم أرادوا أن يظهروا لأبناء عائلة جونز أنه "لا يوجد فرق بينهم". وعلى الجانب الآخر، كان أبناء عائلة جونز يتصرفون

بطريقة أكثر رسمية، وكأنهم كانوا مصممين على ألا يطالبوا بمقدار من الصداقة أكثر من ذلك الذي يعرضه أبناء عائلة ديرويت. ولم يعد للعائلتين أي قاسم مشترك، اللهم سوى ذكريات لاتزال عالقة بأذهان أطفالهما. ومع ذلك، فقد ظل بوبي شديد التعلق بـ فرانكي وكان يسعد كثيرًا بالمناسبات النادرة التي يجمع بينهما القدر فيها.

قالت فرانكي بصوت مُرهَق: "لقد سئمت كل شيء - أولم يصبك السأم بعد؟".

فكر بوبي قليلًا وقال:

"كلا، لا أظنني أشعر بذلك".

قالت فرانكي: "يا له من أمر رائع يا عزيزي!".

قال بوبي - وهو يحاول جاهدًا ألا يترك لديها انطباعًا مؤلمًا: "إنني لا أقصد أنني منفتح الشهية على هذا العالم، بل إنني فقط لا أطيق الأشخاص الذين يتصفون بهذه الصفة".

شعرت فرانكي بقشعريرة تسري في جسدها لمجرد سماع تلك الكلمة.

وتمتمت قائلة: "أنا أعلم ذلك — إنهم أشخاص لا يُحتملون".

وتبادل كلاهما النظر إلى الآخر في إشفاق.

ثم قالت فرانكي فجأة: "بالمناسبة، ما قصة ذلك الرجل الذي سقط من فوق حافة الجرف؟".

قال بوبي: "لقد عثرت عليه أنا والطبيب توماس - لكن كيف علمت بهذا الأمر يا فرانكي؟".

"لقد قرأت عن الموضوع في الصحف - انظر".

وأشارت فرانكي بإصبعها إلى مقال صغير في الصحيفة بعنوان: "حادث مشئوم في منطقة سي ميست"، وكان نص الخبر:

تم التعرف على هوية ضحية حادث ماركيولت في الليلة الماضية من خلال صورة فوتوغرافية كان يحملها في جيبه، وقد تم التأكد من أن الصورة تخص السيدة ليو كايمان. وقد جرى اتصال بالسيدة كايمان التي سافرت على الفور إلى منطقة ماركيولت، حيث - تعرفت على صاحب الصورة وقالت بأنه أخوها أليكس بريتشارد، وقد علمنا من بعض المصادر أن السيد بريتشارد قد عاد مؤخرًا من سيام، حيث كان يعيش خارج إنجلترا منذ ما يقرب من عشر سنوات، وأنه كان قد بدأ للتو جولة على الأقدام. هذا وسوف يعقد التحقيق غدًا في مدينة ماركيولت.

سرحت أفكار بوبي مرة أخرى في ذلك الوجه ذي الملامح الجذابة، التي التقطتها عدسات ذلك المصور وخلدتها في تلك الصورة.

قال بوبي: "أعتقد أنني سوف أضطر لتقديم أقوالي في ذلك التحقيق".

"يا له من أمر مثير! سوف آتي لأسمعك".

قال بوبي: "لا أظن أنه سيكون هناك أي إثارة في الأمر - لقد وجدناه فقط".

"أكان ميتًا حين عثرتما عليه؟".

"كلا، لم يكن ميتا حينها؛ فقد مات تقريبًا بعد ربع ساعة من عثورنا عليه، وكنت بمفردى معه".

وسكت بوبى قليلًا.

فقالت فرانكى بلهجة تظهر تفهمها اللحظى الذى عجز عنه والد بوبى: "يا له من أمر محزن!".

قال بوبى: "إنه بالطبع لم يكن يشعر بأى شىء...".

"حقًا؟".

"لكن بأى حال... حسنًا... لقد بدا فى موفور الصحة والحيوية... بدا ذلك من النوع المنطلق من الرجال... يا لها من طريقة مميتة تنتهى بها حياة أحدهم... مجرد أن تنزلق قدمه فوق حافة جرف سخيف فى ليلة هبط فيها قليل من الضباب!".

قالت فرانكى بنفس اللهجة التى تعكس التفهم والتعاطف: "أفهم ما تعنيه".

ثم تساءلت على الفور: "هل تحدثت إلى أخته؟".

"كلا، لقد كنت بالبلدة لمدة يومين. كان علىّ رؤية أحد أصدقائى بشأن ورشة سيارات نعتزم افتتاحها معًا ـ أظن أنك تتذكرينه... بادجر بيدون".

"لا أطلتنى أتذكره".

"بالطبع تتذكرينه. لابد أنك تتذكرين صديقنا القديم بادجر ـ لقد كان أحول العينين".

عقدت فرانكى حاجبيها فى تفكير.

فأكمل بوبى بلهجة مرحة: "لقد كانت له ضحكة سخيفة

للغاية أشبه بنباح الكلب".

لم يزل حاجبا فرانكى منعقدين كما هما.

فأكمل بوبى: "ألا تذكرين ذلك الصبى الذى سقط من فوق مهره ونحن صغار، وانغرس رأسًا على عقب فى الطين واضطررنا إلى جذبه من قدميه لكى نخرجه؟".

قالت فرانكى وقد استعادت فجأة ذكريات الطفولة: "لقد تذكرت الآن ـ لقد كان دائم التلعثم".

فرد بوبى بافتخار: "إنه مازال يتلعثم حتى الآن".

قالت فرانكى بتساؤل: "ألم ينشئ حظيرة لتربية الدجاج ثم فشل المشروع؟".

"هذا صحيح".

"ألم يذهب بعدها للعمل فى مكتب سمسارة بورصة وفصلوه من العمل بعد شهر؟".

"هذا صحيح أيضًا".

"ثم أرسلته عائلته إلى أستراليا وعاد بعد ذلك بفترة؟".

"نعم".

قالت فرانكى: "بوبى، أظن أنك لا تنوى أن تستثمر أية أموال فى ذلك المشروع، أليس كذلك؟".

قال بوبى: "ليست لدىّ أموال لكى أستثمرها".

قالت فرانكى: "لا تفعل بأى حال من الأحوال".

قال بوبى: "من الطبيعى أن يكون بادجر قد حاول أن يجد شريكًا يمتلك بعض المال، لكن الأمر ليس بالسهولة التى تعتقدينها".

قالت فرانكى: "عندما تنظر حولك تعتقد أن الناس لا يمتلكون أية عقول على الإطلاق ـ لكنهم يمتلكون عقولاً بالفعل".

بدا وكأن بوبى قد استغرق وقتًا طويلاً حتى فهم ما تقصده فرانكى بتلك العبارة.

فقال بجدية: "اسمعى يا فرانكى، إن بادجر أحد الأشخاص الجيدين... بل هو أحد أفضل من قابلت من الناس".

قالت فرانكى: "إنهم دائمًا ما يكونون على هذه الحال".

"من تقصدين؟".

"أولئك الذين يذهبون إلى أستراليا ثم يعودون إلى هنا مجددًا. من أين أتى بالأموال اللازمة لبدء هذا المشروع على أية حال؟".

"لقد توفيت إحدى عماته أو خالاته وتركت له ورشة تتسع لست سيارات وبها ثلاث غرف علوية، وقد جمع أبواه مائة جنيه وأعطياها له لكى يشترى بها بعض السيارات المستعملة. سوف تفاجئين من حجم المكاسب التى من الممكن تحقيقها من بيع السيارات المستعملة".

قالت فرانكى: "لقد اشتريت سيارة مستعملة من قبل، وهى مسألة مؤلمة ولا أود الحديث عنها. لكن ما الذى دفعك إلى ترك البحرية؟ إنهم لم يفصلوك، أليس كذلك؟ ليس فى سنك الصغيرة هذه".

احمر وجه بوبى.

وقال بصوت غليظ: "بسبب عينىّ".

"لقد كنت دائمًا تعانى من متاعب فى عينيك ـ إننى أتذكر ذلك".

"أعلم ذلك، لكننى استطعت أن أجتاز الاختبارات بصعوبة، ثم جاءت مسألة الخدمة الخارجية... والتعرض لضوء الشمس القوى فى تلك البلاد، كما تعلمين... لقد تسبب ذلك فى زيادة متاعب عينى، وهكذا اضطررت لترك البحرية".

تمتمت فرانكى وهى تنظر خارج النافذة: "يا له من أمر محزن!".

ساد صمت مريك للحظات.

ثم صاح بوبى: "لكنه أمر مخز على أية حال. إن عينىّ ليستا بهذا الضعف... والأطباء يقولون إن حالتهما لن تزداد سوءًا. لقد كان بإمكانى أن أستمر فى أداء مهام عملى بامتياز".

قالت فرانكى: "إن عينيك تبدوان بخير".

وكانت تنظر مباشرة إلى عينى بوبى البنيتين بكل ما فيهما من سراحة عميقة.

قال بوبى: "وكما قلت لك، سوف أذهب لمشاركة بادجر".

أومأت فرانكى برأسها.

فتح أحد الخدم باب العربة وقال: "لقد حان وقت الغداء".

قالت فرانكى: "هلا ذهبنا؟".

ثم بدأ السير إلى عربة الطعام.

تراجع بوبى إلى مؤخرة العربة بشكل استراتيجى خلال الوقت الذى توقع فيه مرور محصل التذاكر.

وقال: "لا نريد من محصل التذاكر أن يضغط على ضميره أكثر من ذلك".

لكن فرانكى قالت إنها لا تعتقد أن محصلى التذاكر لديهم أى ضمير من الأساس.

كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة بقليل عندما وصل القطار إلى سيلهام ـ وهى المحطة الخاصة ببلدة ماركيولت.

قالت فرانكى: "هناك سيارة تنتظرنى، وسوف أقوم بتوصيلك فى طريقى".

"شكرًا لك ـ إنك بذلك سوف تنقذيننى من حمل ذلك الشىء اللعين لمسافة ميلين".

وركل حقيبة ملابسه فى امتعاض.

قالت فرانكى: "ثلاثة أميال وليس ميلين فقط".

"ميلين فقط إذا سلكت الطريق المار بملاعب الجولف".

" الطريق الذى وقعت فيه...".

"نعم ـ الطريق الذى يمر بالحافة التى سقط منها ذلك الرجل".

تساءلت فرانكى وهى تسلم حقيبة أدوات زينتها إلى خادمتها: "لا أظن أن أحدهم قد دفعه، أليس كذلك؟".

" دفعه؟ كلا بالطبع. لماذا تقولين ذلك؟".

قالت فرانكى بهدوء: "حسنًا، كان ذلك كفيلًا بأن يجعل المسألة أكثر إثارة، أليس كذلك؟".

الفصل ٤

التحقيق

عقد التحقيق الخاص بحادث مصرع أليكس بريتشارد فى اليوم التالى، وأدلى الطبيب توماس بأقواله بصفته مكتشف الجثة.

قال المحقق متسائلًا: "ألم يكن الرجل قد فارق الحياة عندما وجدته؟".

"كلا، لقد كان المتوفى لايزال يتنفس، لكن لم يكن هناك أمل فى إنقاذه؛ حيث إن...".

وهنا بدأ الطبيب فى وصف الحالة بعبارات طبية معقدة، فتقاطعه المحقق محاولًا تبسيط الأمور أمام هيئة المحلفين:

"بكلمات مبسطة، أنت تقصد أن ظهر الرجل كان مكسورًا، أليس كذلك؟".

قال الطبيب توماس بأسى: "نعم، إذا كنت تفضل استخدام مثل هذا الوصف".

ثم بدأ الطبيب يشرح كيف أنه توجه لجلب المساعدة، تاركًا

الرجل المحتضر فى رعاية بويى.

قال المحقق: "فيما يتعلق بسبب هذه المأساة، ما رأيك يا دكتور توماس؟".

قال الطبيب توماس: "يجب أن أقول إن الاحتمال الأكبر (نظرًا لعدم توفر أى دليل عن الحالة العقلية والنفسية للمتوفى) هو أن الفقيد قد سقط من فوق حافة الجرف دون قصد. وإذا وضعنا فى الاعتبار وجود بعض الضباب المتصاعد من البحر فى تلك الليلة، وكون الرصيف يتجه إلى الداخل بشكل مفاجئ عند تلك النقطة، فإننا نستطيع أن نقول إن الفقيد لم يلاحظ الخطر المحدق به بسبب الضباب الكثيف واتجه مباشرة نحو الحافة ـ وفى تلك الحالة كانت خطوتان فقط كافيتين لسقوطه من فوق حافة الجرف".

"ألم تكن هناك أى آثار للعنف؟ أقصد ذلك العنف الذى قد يسببه طرف آخر؟".

"أستطيع فقط أن أقول إن كل الإصابات التى تعرض لها الفقيد يمكن تبريرها على ضوء سقوط الجسم على الصخور من ارتفاع خمسين أو ستين قدمًا".

"يبقى احتمال الانتحار!".

"بالطبع يظل ذلك احتمالاً قائمًا، إلا أننى لا أستطيع أن أخمن ما إذا كان الفقيد قد سقط من فوق الحافة سهوًا أم سار إلى هناك وألقى بنفسه".

كان بويى جونز هو التالى على قائمة الشهود.

شرح بويى كيف أنه كان يلعب الجولف مع صديقه الطبيب

توماس، وكيف أنه قد ضرب الكرة فانطلقت بزاوية منحرفة نحو البحر، ولما كان هناك ضباب يتصاعد من سطح البحر فإن الرؤية كانت صعبة. قال بويى إنه ظن أنه قد سمع صوت صرخة، وللحظة اعتقد أن كرته قد أصابت شخصًا قادمًا، لكنه عاد وأدرك أنه من المستحيل أن تطير الكرة كل هذه المسافة.

"وهل عثرت على الكرة؟".

"نعم، لقد سقطت قبل الرصيف بحوالى مائة ياردة".

ثم بدأ بويى يشرح كيف وصلت كرتاهما من الحفرة السابقة إلى هذه البقعة وكيف انطلقت كرته لتسقط داخل الشق الجبلى.

وعند تلك النقطة استوقفه المحقق؛ لأن أقوال بويى التالية كانت ستكون تكرارًا لما قاله الطبيب توماس، لكن المحقق استجوبه بشكل مكثف بشأن تلك الصرخة التى سمعها.

قال بويى: "لقد كانت مجرد صرخة".

"صرخة استغاثة؟".

"أوه، كلا، لقد كانت مجرد نوع من الصياح، وفى الحقيقة، أنا لست متأكدًا من أننى قد سمعتها".

"أكانت صرخة اندهاش؟".

قال بويى بامتنان: "هذا أقرب للحقيقة ـ لقد كانت أشبه بالصيحة التى قد يطلقها رجل أصابته الكرة بشكل غير متوقع".

"أو رجل وضع قدمه فى الهواء وهو يظن أنه يضعها فوق الرصيف؟".

"نعم".

انتهى المحقق من استجواب بوبى بعد أن فرغ الأخير من توضيح أن الفقيد قد توفى بعد خمس دقائق تقريبًا من ذهاب الطبيب توماس لجلب المساعدة.

وعند هذه النقطة، كان المحقق يتطلع بلهفة إلى إنهاء هذا التحقيق بطريقة مثالية لا تترك مجالاً للشك فى كون ما حدث لا يعدو مجرد حادث عارض.

كانت السيدة ليو كايمان هى التالية على قائمة الشهود.

أطلق بوبى تنهيدة تعبر عن خيبة الأمل، وكأن لسان حاله يقول: أين ذلك الوجه الذى لاح فى الصورة التى سقطت من جيب الرجل الميت؟ إن المصورين هم أسوأ الكذابين على الإطلاق؛ فمن الواضح أن الصورة قد التقطت منذ عدة سنوات، ولكن مع هذا كان من الصعب تصديق أن تلك المرأة الساحرة صاحبة العينين الواسعتين قد تحولت إلى هذه المرأة صفراء الوجه بحاجبيها الرفيعين وشعرها المصبوغ. إن الزمن شىء مخيف للغاية. وكيف يا ترى ستبدو فرانكى بعد عشرين سنة من الآن؟ واقشعر بدن بوبى وهو يحاول تخيل ذلك المنظر.

وفى ذلك الوقت، كانت إميليا كايمان ـ التى تقطن فى ١٧ شارع حدائق ليونارد بمدينة باديتجتون ـ تدلى بأقوالها.

كان المتوفى ـ أليكس بريتشارد ـ هو شقيقها الوحيد، وكانت آخر مرة رأته فيها فى اليوم السابق للحادث المأساوى، عندما أعلن لها عن نيته فى القيام برحلة على الأقدام فى

سواحى ويلز. وأضافت إميليا أن شقيقها كان قد عاد مؤخرًا من الشرق.

سأل المحقق: "هل بدا سعيدًا وفى حالة عقلية طبيعية؟".

"أوه، تمامًا ـ لقد كان أليكس مرحًا طوال الوقت".

"على قدر علمك، هل كان هناك ما يشغل باله؟".

"أوه أنا واثقة من أنه لم يكن مشغول البال ـ لقد كان يتطلع إلى تلك الرحلة بلهفة شديدة".

"أنتم يعانى الراحل من أى متاعب مالية، أو أى نوع آخر من المتاعب فى الفترة الأخيرة من حياته؟".

قالت السيدة كايمان: "حقيقة، لا أستطيع الإجابة بالنفى أو الإثبات عن هذا السؤال. وكما ترى، فقد عاد أخى للتو من الخارج. وقبل ذلك لم أره منذ ما يقرب من عشر سنوات، علاوة على أنه لم يكن ممن يحبون كتابة الخطابات، ولكنه اصطحبنى إلى المسارح وتناول الغداء فى مطاعم للندن وأحضر لى هدية أو اثنتين، ولهذا لا أظن أنه كان يعانى ضائقة مالية. وقد كان فى حالة معنوية عالية؛ مما يجعلنى أستبعد أنه كان يعانى من أى نوع آخر من المشكلات".

"ماذا كانت مهنة شقيقك يا سيدة كايمان؟"

بدا وكأن السيدة قد اعتراها بعض الحرج.

"لا يمكننى أن أقول إننى أعرف مهنته بالتحديد، ولكنه كان يقول إنه يعمل بالتنقيب ـ إلى جانب أنه نادرًا ما كان يتواجد فى إنجلترا".

"هل تعلمين أى سبب قد يدفعه للانتحار؟".

"أوه، كلا؛ ولا يمكننى أن أصدق أنه قد فعل شيئًا كهذا ـ لابد أن ذلك كان مجرد حادث".

"كيف تفسرين حقيقة أن أخاك لم يكن يحمل معه أية أمتعة ـ ولا حتى حقيبة ظهر؟".

"لم يكن أخى يحب حمل حقائب الظهر، وكان يعتمد على إرسال الطرود يومًا بعد يوم، وقد أرسل طردًا فى اليوم السابق لسفره، وكان يحتوى على ملابس النوم وزوج من الجوارب، لكنه أرسله إلى منطقة ديربى شاير بدلًا من دينبى شاير؛ ولذلك لم يصل الطرد إلا اليوم".

"أما هذا يفسر نقطة غامضة إلى حد ما".

استمرت السيدة كايمان تشرح كيف أن السلطات قد اتصلت بها من خلال المصور الذى كان اسمه مكتوبًا على الصورة التى كانت فى جيب شقيقها، وأنها قد حضرت إلى ماركيولت بصحبة زوجها وتعرفت على جثة شقيقها على الفور.

وعندما نطقت السيدة كايمان بكلماتها الأخيرة، شهقت بصوت مسموع وبدأت تبكى.

نطق المحقق ببعض كلمات المواساة ثم أذن لها بالانصراف.

ثم بدأ المحقق فى مخاطبة المحلفين، وكانت وظيفتهم تتعلق بتحديد ما إذا كانت وفاة ذلك الرجل طبيعية أم لا. ولحسن الحظ، كانت المسألة واضحة للغاية؛ فلم يكن هناك أى دلائل تشير إلى أن السيد بريتشارد كان قلقًا أو مكتئبًا أو فى حالة عقلية تجعله ينهى حياته بنفسه ـ بل على العكس تمامًا. كان

الرجل فى صحة جيدة وحالة معنوية مرتفعة وكان يتطلع بلهفة للاستمتاع بإجازته. وأضاف المحقق أن المسألة كلها راجعة لسوء الحظ والتى تمثلت فى تصاعد الضباب من سطح البحر؛ مما جعل الرصيف المطل على حافة الجرف مكانًا خطرًا، وطالب المحقق هيئة المحلفين بالانضمام إليه فى مطالبة السلطات المحلية باتخاذ إجراء يضمن حماية المواطنين من مخاطر تلك المنطقة.

وعليه فقد أصدرت هيئة المحلفين حكمها على الفور.

"لقد وجدنا ـ نحن هيئة المحلفين ـ أن المتوفى قد لقى حتفه نظرًا لظروف مأساوية، ونحن نوجه نداء إلى مجلس المدينة بضرورة اتخاذ خطوات سريعة لوضع حاجز أو سور على الرصيف من الجانب القريب من البحر عند المنطقة المحيطة بالصدع الجبلى".

أومأ المحقق برأسه موافقًا على القرار.

وكانت هذه هى نهاية التحقيق!

www.liilas.com/vb3

الفصل ٥

السيد والسيدة كايمان

عندما عاد بوبى إلى دار العبادة بعد نصف ساعة من انتهاء التحقيق، أدرك أن صلته بوفاة أليكس برينشارد لم تنته بعد؛ فقد علم بوبى أن السيد والسيدة كايمان قد حضرا لمقابلته وأنهما الآن فى حجرة المكتب بصحبة والده. اتجه بوبى إلى حجرة المكتب، ووجد والده يجرى حديثًا لائقًا مع آل كايمان دون أن يبدو عليه أنه يستمتع بهذه المهمة.

قال الموقر جونز بارتياح "أوه! ها قد حضر بوبى".

وقف السيد كايمان وتقدم ناحية بوبى وهو يمد يده مصافحًا. كان السيد كايمان رجلًا ضخمًا متورد البشرة، يتصرف ببشاشة ودود، وإن كانت عيناه الباردتان الزائغتان تكذبان سلوكه هذا ـ أما بالنسبة للسيدة كايمان، فرغم أنها قد توصف بأنها جذابة الملامح بطريقة جريئة وفظة، إلا أنه لم يكن هناك تشابه يذكر بينها وبين صورتها فى مرحلة الشباب، ولم يبق فى ملامحها شىء من ذلك التعبير الحزين الذى كان

يميز تلك الملامح. وفى الواقع، لقد ظن بوبى أنه لولا أنها قد تعرفت على صورتها بنفسها، لكان هناك شك فى أن يتمكن أى شخص آخر من التعرف عليها.

قال السيد كايمان وهو يحيط يد بوبى بقبضته القوية المؤلمة: "لقد حضرت مع زوجتى ـ كان يجب أن أكون بجوارها؛ فزوجتى مرهفة المشاعر بطبيعتها".

كانت السيدة كايمان تتنفس بنحيب واضح.

وأكمل السيد كايمان يقول: "لقد حضرنا إلى هنا لمقابلتك؛ فقد توفى شقيق زوجتى بين ذراعيك، وكان من الطبيعى أن ترغب زوجتى فى معرفة كل ما يمكنك أن تخبرها به عن لحظاته الأخيرة".

قال بوبى بحزن: "طبعًا... بالتأكيد".

تجهم بوبى بعصبية والتقطت أذناه على الفور تنهيدة والده ـ تنهيدة لا تصدر سوى عن رجل دين يحترم قدسية الموتى.

قالت السيدة كايمان وهى تجفف عينيها: "مسكين يا أليكس... مسكين يا أليكس".

قال بوبى: "أعلم أنه أمر محزن".

تحرك بوبى فى مقعده بانزعاج.

قالت السيدة كايمان وهى تتطلع إلى بوبى بنظرة رجاء: "لو أنه أوصاك بكلمات أخيرة أو ترك معك رسالة، فمن الطبيعى أن أرغب فى معرفتها".

قال بوبى: "لكنه فى الواقع لم يقل شيئًا".

"ألم يقل أى شىء على الإطلاق؟".

ارتسمت خيبة الأمل والدهشة على ملامح السيدة كايمان حتى إن بوبى شعر برغبة فى الاعتذار إليها.

وقال: "كلا... حسنًا... فى الواقع، لم يقل أى شىء على الإطلاق".

قال السيد كايمان بجدية: "لقد كان ذلك خيرًا له ـ أقصد أن يقضى نحبه وهو فاقد الوعى بدون ألم ـ لابد أن تعتبرى الأمر رحمة من الله يا إميليا".

ردت السيدة كايمان: "ربما نكون على حق، ألا تظن أنه قد شعر بأى ألم؟".

قال بوبى: "أنا واثق من أنه لم يشعر بأى ألم".

تنهدت السيدة كايمان بارتياح.

وقالت: "حسنًا، نحمد الله على ذلك، ربما كنت أتمنى لو أنه ترك معك رسالة أخيرة، لكننى أدرك الآن أن الأمر أفضل هكذا. مسكين أليكس ـ لقد كان مولعًا بالانطلاق والحركة".

"نعم، ألم يكن كذلك بالفعل؟" هكذا رد بوبى، وقد تذكر الوجه البرونزى والعينين الزرقاوين. يا لها من شخصية جذابة، تلك التى كان يمتلكها أليكس بريتشارد ـ شخصية جذابة حتى فى لحظات الموت، ومن الغريب أن يكون شخص كهذا شقيقًا للسيدة كايمان أو صهرًا للسيد كايمان. لقد كان يستحق أشياء أفضل ـ أو هكذا أحس بوبى.

قالت السيدة كايمان: "إننا مدينان لك بالكثير دون شك".

قال بوبى: "أوه، لا عليك... أقصد... حسنًا، ليته كان

بإمكاني فعل شيء آخر... أقصد...".

تلعثم بوبي وهو يحاول بيأس أن يجد الكلمات المناسبة.

قال السيد كايمان: "لن تنسى صنيعك هذا". ومجددًا، عانى بوبي من قبضة السيد كايمان المؤلمة، ثم صافحته السيدة كايمان بيدها الواهنة، وأخيرًا نطق والده بالمزيد من عبارات التوديع ورافق بوبي آل كايمان إلى الباب الأمامي.

قال السيد كايمان: "وما الذي تفعله بحياتك أيها الشاب؟ هل أنت في إجازة من العمل أو شيء من هذا القبيل؟".

قال بوبي: "إنني أقضي معظم وقتي في البحث عن عمل". ثم سكت للحظة وأردف: "لقد كنت في البحرية".

قال السيد كايمان وهو يصافح بوبي: "إننا نعيش أوقاتًا صعبة دون شك. حسنًا، أتمنى لك التوفيق".

قال بوبي بأدب: "شكرًا لك".

ثم وقف يراقبهما وهما يسيران فوق ممر السير المغطى بالعشب.

ظل بوبي واقفًا في ذلك الموضع، وانتابته حالة من التأمل، واندفع سيل من الأفكار المتعارضة إلى داخل عقله... أفكار مشوشة... تلك الصورة الفوتوغرافية... وجه تلك الفتاة الذي زينته عيناها الواسعتان وشعرها المموج... وبعد عشرة أو خمس عشرة سنة يظهر وجه السيدة كايمان الذي لطخته مساحيق التجميل، وحاجباها المزججان، وعيناها الواسعتان اللتان غاصتا في محجريهما حتى بدتا كعينى عنزة قبيحة، وشعرها المصبوغ بالحناء. لقد زالت من وجهها كل آثار الشباب

والبراءة. يالقسوة الأيام! لعل كل ذلك كان بسبب زواجها من شخص دائم الابتهاج والصخب مثل السيد كايمان: فلو أنها تزوجت من شخص آخر، لربما كانت قد كبرت في السن بشكل أكثر أناقة. كأن يتزين شعرها ببضع شعرات رمادية، وتظل عيناها الواسعتان تنظران إلى العالم من وجه شاحب ناعم البشرة ـ لكن ربما كان كل ذلك مقدرًا...

تنهد بوبي وهز رأسه في أسى.

وقال في حزن: "هذا هو أسوأ ما في الزواج".

"ماذا قلت؟".

استفاق بوبي من تأملاته عندما أحس بوجود فرانكي، والتي كانت قد اقتربت منه دون أن يسمع وقع خطواتها.

قال بوبي: "مرحبًا".

"مرحبًا. لماذا تهاجم الزواج؟ وأي زيجة تقصد؟".

أجاب بوبي: "لقد كنت أتأمل فكرة عامة".

"أي فكرة هذه؟".

"الآثار المدمرة للزواج".

"من الذي تعرض للتدمير؟".

شرح لها بوبي ما يقصده، لكنه وجد فرانكي غير متعاطفة مع السيدة كايمان.

قالت فرانكي: "هذا محض هراء ـ إن المرأة تشبه صورتها تمامًا".

"ومتى رأيتها؟ هل حضرت التحقيق؟".

"بالطبع حضرت التحقيق. ماذا ظننت أنني فاعلة؟ لا

توجد نشاطات كافية فى هذا المكان، ويمكن النظر إلى تحقيق جنائى على أنه منحة من السماء لمن يشعرون بالملل. علاوة على أننى لم أحضر تحقيقًا جنائيًا من قبل. لقد كنت أشعر بإثارة لا حدود لها، وبالطبع كان التحقيق سيكون أكثر إثارة لو أنها كانت قضية قتل بالسم يحيطها الغموض، وكانت تحتوى على تقارير لخبراء تحليل السموم وما إلى ذلك؛ لكن لا يجب على المرء أن يبالغ فى الطمع عندما تقع قضية كهذه أمام عينيه. لقد ظللت حتى النهاية أتمنى وجود شكوك حول جريمة قتل، لكن يبدو أنه مجرد حادث عارض مع الأسف".

"يا لها من غريزة متعطشة للدماء تلك التى لديك يا فرانكى!".

"أعلم ذلك، ولعل السبب فى ذلك يعود إلى عامل الارتداد الوراثى (أو أيًا كان ما يسمونه ـ أنا لست واثقة من الاسم العلمى) ألا تعتقد ذلك؟ أنا واثقة من أننى متأثرة بعامل الارتداد الوراثى، ولقد كان الأطفال فى المدرسة يسمونني وجه القرد".

تساءل بويرو: "وهل تحب القرود جرائم القتل؟".

ردت فرانكى: "إنك تتحدث مثل مراسل لصحيفة صنداى. إن وجهات النظر الخاصة بمراسلينا حول هذا الموضوع هى موضع ترحيب".

قال بويرو وهو يحاول إعادة دفة الحوار إلى الموضوع الأصلى: "أتعلمين؟ أنا لا أتفق معك بشأن السيدة كايمان، فلقد كانت صورتها جميلة للغاية".

قاطعته فرانكى قائلة: "إنها مجرد تعديلات من قبل المصور ـ هذا كل ما فى الأمر".

"إذن فقد تم تعديل الصورة بدرجة لا تجعلك تدركين أنها حسن المرأة".

قالت فرانكى: "أنت أعمى بالتأكيد ـ لقد قام المصور بكل ما يسمح به فن التصوير، لكن ظلت الصورة تدل على قبح شديد".

قال بويرو ببرود: "إننى أختلف معك بشدة، على أى حال، أين رأيت الصورة؟".

"فى صحيفة *إيفننج إيكو* المحلية".

"لعلهم طبعوا الصورة بشكل سيئ".

قالت فرانكى بغضب: "يبدو أنك قد فقدت عقلك تمامًا ـ ومن أجل من؟ عاهرة قبيحة ملطخة بالمساحيق مثل تلك المرأة كايمان ـ ونعم، لقد وصفتها بالعاهرة".

قال بويرو: "فرانكى، إننى متدهش من تصرفك! كيف تستخدمين هذه الألفاظ فى هذا المكان المخصص للعيادة؟".

"حسنًا، ما كان يجب أن أتصرف بمثل هذه السخافة".

ساد الصمت للحظات، ثم قالت فرانكى وقد هدأت حدة غضبها فجأة:

"إن السخف بعينه هو أن نتشاجر بشأن تلك المرأة اللعينة، فقد جئت أقترح عليك لعب مباراة فى الجولف، فما رأيك؟".

قال بويرو بسعادة: "موافق بالطبع يا سيدتى".

وانطلقا يسيران فى هدوء وكانت المحادثة بينهما تتعلق

بالجولف والضربات المنحرفة والقوية وكيفية إتقان ضرب الكرة ببطء لكي تتهادى فوق العشب الأخضر.

بدا وكأن المأساة التي وقعت مؤخرًا قد انزاحت عن بؤرة تفكيرهما، حتى أطلق بوبي صيحة تعجب مفاجئة وهو يضرب الكرة ضربة رقيقة في منتصف الطريق إلى الحفرة الحادية عشرة.

قالت فرانكي: "ماذا هناك؟".

"لا شيء. لقد تذكرت فقط أمرًا ما".

"وما هو؟".

"حسنًا، لقد حضر آل كايمان إلى دار العبادة وسألاني عما إذا كان ذلك الرجل قد قال أي شيء قبل أن يموت ـ وقد أخبرتهما بأنه لم يقل شيئًا".

"وماذا في ذلك؟".

"لقد تذكرت توًا أنه قد قال شيئًا بالفعل".

"في الواقع، أنت لم تكن في حالتك المعهودة هذا الصباح".

"حسنًا، لم يكن ما قاله الرجل شبيهًا بكلمات الميت الأخيرة التي جاءا لسؤالي عنها، وأعتقد أن هذا هو السبب الذي جعلني لا أفكر في كلماته حينها".

قالت فرانكي بفضول: "وماذا قال الرجل؟".

"لقد قال: *"لماذا لم يسألوا إيفانز؟"*".

"يا له من شيء غريب يقوله أحدهم لحظة موته. أقال شيئًا آخر؟".

"كلا. لقد فتح عينيه ونطق بتلك الكلمات ـ بشكل مفاجئ ـ ثم فاضت روح ذلك المسكين".

قالت فرانكي وهي تقلب الأمر في رأسها: "حسنًا، لا داعي للشعور بالقلق: فلم يكن ما قاله الرجل مهمًّا".

"كلا، بالطبع. ومع ذلك فإنني أتمنى لو أنني ذكرت لهما ذلك. أترين، لقد قلت لهما إنه لم ينطق بأي شيء على الإطلاق".

قالت فرانكي: "حسنًا، الأمر سيان ـ أقصد أن ما قاله لا يشبه ـ على سبيل المثال ـ "قل لجلاديس إنني طالما أحببتها" أو "قل لأولادي إن الوصية في الخزانة الخشبية" أو أي من كلمات تلوني الأخيرة التي طالما قرأتها في الروايات الرومانسية".

"ألا تعتقدين أن الأمر يستحق أن أكتب إليهما بشأنه؟".

"ما كنت لأفعل ذلك لو أنني في موضعك؛ فالأمر ليس بهذه الأهمية".

"أظن أنك على حق" ـ هكذا رد بوبي ثم وجّه انتباهه إلى المباراة بحيوية متجددة.

لكن المسألة لم تغب عن عقله بشكل حقيقي ـ لقد كانت مسألة بسيطة ـ لكنها ظلت تؤرقه مما جعله يشعر بشيء من عدم الارتياح تجاهها. كان بوبي على يقين من أن وجهة نظر فرانكي هي الأصح والأكثر منطقية، وظل يردد في نفسه أن المسألة لا تمثل أي أهمية وأن عليه أن يتناساها، لكن ضميره ظل يؤنبه ـ لقد قال إن الرجل الميت لم ينطق بشيء، ولم تكن هذه هي الحقيقة. لقد كانت مسألة تافهة وسخيفة للغاية، لكنه

لم يشعر بالارتياح تجاهها.

وأخيرًا، وبدون تفكير، جلس بوبي على مكتبه في تلك الليلة وبدأ يكتب خطابًا إلى السيد كايمان.

عزيزي السيد كايمان، لقد تذكرت توًا أن سهرك الراحل قد قال شيئًا بالقرب قبل وفاته. أظن أن كلماته الحرفية كانت "لماذا لم يسألوا إيفانز؟" . إنني أعتذر عن عدم تذكري لهذا الأمر في صباح اليوم، لكني لم أعط أي أهمية لتلك الكلمات في ذلك الحين. وأعتقد أن هذا هو السبب في أنها قد غابت عن عقلي.

المخلص،

بوبي جونز.

بعد يومين، تلقى بوبي ردًا على خطابه:

عزيزي السيد جونز، لقد وصلني خطابك الذي أرسلته بتاريخ السادس من هذا الشهر، وإنني شاكر لك لتوضيحك الكلمات سهري الراحل حرفيًا على الرغم من تفاهتها. إن ما كانت زوجتي تأمل به هو أن شقيقها ربما يكون قد ترك لها رسالة أخيرة. ومع ذلك، شكرًا على كونك حي الضمير.

المخلص،

كايمان.

وشعر بوبي بأن إحسانه قد قوبل بالإساءة!

الفصل ٦

نهاية نزهة

في اليوم التالي تسلّم بوبي خطابًا ذا طبيعة مختلفة تمامًا:

لقد تمت كل الترتيبات يا صديقي العزيز (هكذا كتب بادجر بخط يد وأسلوب رديئين لا يعبران عن مستوى المدرسة الحكومية المتميزة التي تلقى فيها تعليمه). في الواقع لقد اشتريت خمس سيارات بالأمس مقابل خمسة عشر جنيهًا ـ وكانت عبارة عن سيارة أوستن، وسيارتين موريس، وسيارتين روفر. ومع أن كل السيارات لا تعمل حاليًا، إلا أنني أعتقد أن بإمكاننا إصلاحها جميعًا بشكل جيد. وعلى أي حال: فالسيارة تظل سيارة مهما كانت حالتها. ومادامت السيارة ستوصل المشتري إلى منزله دون أن تتعطل فهذا هو كل ما يتوقعه المشترون. لقد فكرت في افتتاح الورشة يوم الاثنين، وأنا أعتمد عليك في هذا الأمر فلا تخذلني يا صديقي العزيز. لابد أن أقول إن العملة كانت امرأة رائعة. أذكر أنني قد كسرت يومًا نافذة أحد جيرانها

وكان ذلك الرجل يتحدث معها دائمًا بوقاحة بسبب قطعها فلم تَنْسَ له هذا التصرف. وعليه فقد ظلت ترسل لي خمسة جنيهات في عيد ميلادي. ـ والآن ها هي قد تركت لي هذه الورشة.

إن النجاح على بعد خطوات، وهو نجاح مؤكد... أقصد أن السيارة تظل سيارة مهما كانت حالتها. ويمكن شراء السيارات المستعملة أو المعطلة بثمن زهيد جدًا، ثم تقوم بدهانها بطلاء جديد وهذا هو كل ما يهتم به المقلون عديمو الخبرة. سوف نلاقي في تلك الورشة نجاحًا عظيمًا. والآن، لا تنس ما قلته لك ـ سنبدأ العمل من يوم الاثنين القادم. إنني أعتمد عليك.

صديقك المخلص،

بادجر

أخبر بوبي والده بأنه سيتوجه إلى المدينة يوم الاثنين لشغل وظيفة، ولم يكن الوصف الذي قدمه بوبي للوظيفة كافيًا لإثارة حماس الموفر جونز، وقد يكون من المفيد أن نشير إلى أن الموفر جونز قد التقى بادجر بيدون في الماضي، ويبدو أن تلك الخبرة السابقة قد جعلته يعطي بوبي محاضرة مطولة حول فائدة ألا يضع نفسه في موضع المسئولية عن أي شيء، وحيث إن الموفر جونز لم يكن حجة في الأمور المالية أو التجارية فقد كانت نصيحته مبهمة من الناحية التقنية، ومع ذلك فقد كان معناها جليًا كضوء النهار.

في يوم الأربعاء من نفس الأسبوع تلقى بوبي خطابًا آخر ـ كان الخطاب مكتوبًا بخط يد مائل ويشير بوضوح إلى أن صاحبه

شخص أجنبي، أما محتواه فكان بكل تأكيد مفاجأة للشاب.

لقد كان الخطاب من شركة هيتريكي آند دالو بمدينة بيونس أيرس، والتي كانت ـ باختصار ـ تعرض على بوبي وظيفة في الشركة بمرتب ألف جنيه في العام.

لدقيقة أو دقيقتين ظن بوبي أنه يحلم ولا شك ـ ألف جنيه في العام! قرأ بوبي الخطاب مجددًا وبحرص. كان هناك ذكر لكون الشركة تفضل توظيف رجل بحرية سابق، وأن اسم بوبي قد رشح بواسطة شخص ما (دون ذكر اسمه) وأن الموافقة يجب أن تُرسل دون إبطاء، وأن على بوبي أن يستعد للسفر إلى بيونس أيرس خلال أسبوع.

"يا للحظ اللعين!" ـ هكذا صاح بوبي وهو ينفس عن مشاعره بطريقة غير ملائمة.

"بوبي!".

"عذرًا يا أبي ـ لقد نسيت أنك تقف هنا".

تنحنح الموفر جونز وقال:

"يجب أن أوضح لك أن...".

شعر بوبي أن تلك المحاضرة ـ والتي غالبًا ما ستكون محاضرة طويلة ـ يجب تفاديها بأي ثمن، وقد نجح في مسعاه هذا بعبارة بسيطة:

"لقد عرض عليّ أحدهم وظيفة بألف جنيه في السنة".

ظل الموفر جونز مفتوح الفم، وغير قادر على إصدار أي تعليق للحظة كاملة.

قال بوبي لنفسه بارتياح: "لقد ألجمه الخبر دون شك".

وأخيرًا قال الموقر جونز: "عزيزي بوبي، هل سمعتك حقًا وأنت تقول إن أحدهم عرض عليك وظيفة بألف جنيه في العام؟ ألف جنيه؟".

قال بوبي: "دفعة واحدة يا أبي".

قال الموقر جونز: "هذا مستحيل!".

لم يشعر بوبي بالإهانة لذلك التشكك الصريح؛ وذلك لأن تقديره الشخصي لقيمته النقدية لم يكن أعلى بكثير من تقدير والده.

فقال موافقًا كلام أبيه: "لابد أنهم مجانين دون شك".

"ومن يكون هؤلاء الناس؟".

ناوله بوبي الخطاب، فأخذ الموقر جونز يتطلع إليه بتشكك وهو يعدل وضع نظارته الأنفية، وأخيرًا قرأه بإمعان مرتين وقال:

"شيء لا يصدق... شيء عجيب للغاية!".

قال بوبي: "مجانين".

قال الموقر جونز: "يا ولدي العزيز، إنه لشيء رائع أن يتم اختيارك على أية حال؛ فالنزاهة هي رمز للبحرية، وأنت قد عملت بها. إن تلك الشركة قد أدركت قيمة شاب عمل في البحرية يتمتع بنزاهة لا تتزعزع وأمانة لم يتشكك رؤساؤه فيها يومًا ما. يمكنك دائمًا أن تعتمد على رجل مثلك ليقوم بالعمل المطلوب...".

قال بوبي: "ويسير على الصراط المستقيم".

نظر الموقر جونز إلى ولده بتشكك؛ فرغم أن تلك العبارة

البليغة كانت على طرف لسانه هو، إلا أن شيئًا ما في نبرة بوبي جعله يتشكك في أنه يعني حقًا ما يقول.

لكن بدت على بوبي أمارات الجدية بشكل واضح.

فقال بوبي: "أيًا كان دافعهم يا أبي، فلماذا اختاروني أنا؟".

"ما الذي تقصده بلماذا اختاروك أنت؟".

قال بوبي: "هناك الآلاف من زملائي في إنجلترا - شباب متحمسون ويمتلكون الكثير من المهارات، فلماذا وقع اختيارهم علي أنا؟".

"ربما أوصى بك فاند وحدتك السابق".

قال بوبي بتشكك: "نعم، ربما يكون ذلك صحيحًا. على أية حال، ليس لهذا أهمية الآن مادمت لا أستطيع قبول الوظيفة".

"لا تستطيع قبول الوظيفة؟ ولدي العزيز، ما الذي تقصده بهذا؟".

"حسنًا، إنني مرتبط بعمل مع بادجر كما ترى".

"بادجر؟ بادجر بيدون! ما هذا الهراء الذي تقوله؟ هذه وظيفة جدية!".

قال بوبي وهو يتنهد: "من الصعب أن أترك بادجر؛ فأنا مرتبط بالعمل معه".

"إن أي ترتيبات طفولية قمت بها مع بادجر بيدون لا تمثل أي قيمة".

"ولكنها تمثل قيمة بالنسبة لي".

"إن بادجر هذا شاب غير مسئول على الإطلاق، وقد بلغني

أنه دائم الإسراف وأنه مصدر متاعب لوالديه".

"لقد عانى بادجر من بعض الحظ السيئ، لكنه موضع ثقة دون شك".

"حظًا! أى حظ تقصد؟ إن ذلك الفتى لم يفعل شيئًا جيدًا واحدًا فى حياته".

"هذا غير صحيح يا أبى - لقد كان يقوم فى الخامسة صباحًا ليطعم تلك الدجاجات التى كان يربيها. ولم يكن خطؤه أن تلك الدجاجات قد أصيبت جميعها بمرض أو فيروس أو أيًا كان ما أصابها".

"أنا لم أوافق أبدًا على مشروع المزرعة هذا إنه محض عبث ويجب أن تتخلى عنه".

"لا أستطيع يا أبى؛ فقد وعدت بادجر ولن أستطيع أن أخذله. إنه يعتمد علىّ".

استمرت المناقشة على هذا النحو، ونظرًا لتحامل الموقر جونز على شخصية بادجر، فإنه لم يكن قادرًا على أن ينظر إلى أى وعد أعطاه ابنه لذلك الشاب على أنه وعد ملزم، واعتبر بوبى شخصًا عنيدًا وشديد التصميم على أن يعيش حياة الكسل والفشل مع أسوأ رفيق يمكن تخيله مهما كان الثمن. وعلى الجانب الآخر، فقد ظل بوبى يكرر ببلادة ودون تفكير أنه "لا يستطيع أن يخذل بادجر".

وأخيرًا غادر الموقر جونز الغرفة غاضبًا، وجلس بوبى على الفور ليكتب لشركة هينريكى آند دالو خطابًا يعلمهم فيه برفضه للعرض الذى قدموه.

تنهد بوبى وهو يكتب الخطاب. لقد كان يعلم أنه يتخلى عن فرصة لن تتاح له مجددًا، لكنه لم ير أى خيار آخر أمامه.

وفى وقت لاحق عند ملاعب الجولف، شرح بوبى المشكلة لفرانكى، التى أنصتت إليه الأخيرة باهتمام شديد.

"أكان عليك أن تذهب إلى أمريكا الجنوبية؟".

"نعم".

"هل كان السفر سيروق لك؟".

"نعم، ولم لا؟".

تنهدت فرانكى وقالت بافتتاح: "على أية حال، أظن أنك قمت بالتصرف السليم".

"تقصدين تجاه بادجر؟".

"نعم".

"ما كنت لأتخلى عن صديقى القديم، أليس كذلك؟".

"كلا، لكن كن حريصًا ألا يخدعك صديقك القديم، كما تسميه".

"أوه! سوف أكون حريصًا بالطبع. على أية حال، سوف تكون بخير؛ فأنا لا أملك أى أصول فى هذا المشروع".

قالت فرانكى: "لابد أن ذلك شىء جيد".

"لماذا؟".

"لا أدرى بالضبط؛ فقد بدت مسألة عدم امتلاك أى أصول شيئًا رائعًا وحرًا وغير مسئول، لكننى عندما أفكر فى الأمر أجد أننى لا أملك الكثير من الموجودات أيضًا. إننى أعلم أن أبى يعطينى مصروفًا، ويوجد الكثير من المنازل التى يمكننى

العيش فيها ولدىّ الكثير من الملابس والخدم وبعض الحلى التى تخص العائلة وحساب مفتوح فى كثير من المتاجر؛ لكن كل ذلك ملك للعائلة وليس ملكى أنا".

قال بوبى: "كلا، لكنك على أية حال..." لكنه توقف ولم يكمل عبارته.

فقالت فرانكى: "أوه، أعلم أنه موقف مختلف تمامًا".

قال بوبى: "نعم، إنه وضع مختلف للغاية".

شعر بوبى فجأة بإحباط شديد.

وسار كلاهما صامتًا حتى وصلا إلى الحفرة التالية.

فقالت فرانكى - بينما كان بوبى يضع كرته فوق كومة الرمل: "سوف أذهب إلى المدينة غدًا".

"غدًا؟ أوه... لقد كنت سأقترح عليك الخروج فى نزهة".

"لكم أحب الذهاب فى نزهة، لكنهم قاموا بترتيبات السفر بالفعل. إن والدى يعانى النقرس مجددًا".

قال بوبى: "يجب أن تبقى بجواره وترعيه".

"إنه لا يحب أن يرعاه أحد، بل إن الأمر يزعجه للغاية، وهو يفضل أن يقوم الخادم على رعايته؛ فهو شخص ودود ولا يمانع أن يلقى أبى بالأشياء فى وجهه ويناديه بالأحمق".

ضرب بوبى كرته برفق، فسارت تتهادى حتى سقطت فى المنطقة الرملية".

"يا لسوء الحظ!" - هكذا قالت وهى تضرب كرة مستقيمة ودقيقة باتجاه الحفرة.

ثم قالت فرانكى: "بالمناسبة، ربما يمكننا أن نتقابل فى

لندن. ألن تكون هناك قريبًا؟".

"يوم الاثنين، لكن أظن أن لا فائدة من ذلك!".

"ما الذى تقصده بـ "لا فائدة من ذلك"؟".

"أعنى أننى سأعمل ميكانيكيًا معظم الوقت أقصد أننى...".

قالت فرانكى: "وحتى إذا عملت ميكانيكيًا فإننى أظن أنك ستكون قادرًا على حضور حفل عشاء فاخر وارتداء الملابس الأنيقة مثل أى صديق من أصدقائى".

اكتفى بوبى بهز رأسه ولم يقل شيئًا.

فقالت فرانكى مشجعة: "حسنًا، سأقيم حفلًا لتناول السجق والعصائر إذا كنت تفضل ذلك".

"وما الفائدة من كل ذلك يا فرانكى؟ أقصد أنك لا تستطيعين أن تصنعى خليطًا من الأصدقاء - إن الأصدقاء الذين تصاحبينهم يختلفون كثيرًا عن أصدقائى".

قالت فرانكى: "دعنى أؤكد لك أن أصدقائى هم بالفعل خليط من الناس".

"أنت تتظاهرين بعدم فهم ما أقصده".

"يمكنك أن تُحضر بادجر معك إذا أحببت. ألا يمثل لك بادجر معنى الصداقة؟".

"أرى أنك تتحاملين على بادجر بعض الشىء دون سبب".

"ربما كان تلعثمه هو السبب: فالأشخاص الذين يتلعثمون يجعلوننى أتلعثم أنا الأخرى".

"اسمعى يا فرانكى، أنت تعلمين أنه لا فائدة من كل ذلك.

إنك ترغبين بصحبتي هنا فقط؛ وذلك لأنك لا تجدين ما تفعلينه وتعتقدين أن مصاحبتي خير من لا شيء. إنني أعلم أنك تعاملينني دائمًا بلطف شديد وأنا ممتن لهذا كثيرًا، لكنني أعلم أيضًا أنني لا أمثل لك شيئًا... أقصد أنني ...".

قالت فرانكي ببرود: "عندما تنتهي من التعبير عن عقدة النقص التي تعانيها، فربما يكون من الأفضل أن تحاول إخراج كرتك من المنطقة الرملية باستخدام المضرب الخشبي وليس الحديدي".

قال بوبي: "أتظنين ذلك... أوه! اللعنة!". أعاد بوبي المضرب الحديدي إلى حقيبة المضارب وأخرج المضرب الخشبي. أخذت فرانكي تتطلع إليه بتشفٍ واضح وهو يضرب الكرة خمس مرات متتالية دون نجاح؛ مما أدى لتصاعد سحابة من الرمال حولهما.

وأخيرًا قال بوبي وهو يلتقط الكرة: "هذه الحفرة من نصيبك".

قالت فرانكي: "أعتقد أنها كذلك. وبهذه الحفرة أكون قد فزت بالمباراة".

"هل نلعب الحفرة المتبقية على أية حال؟".

"كلا، لا أعتقد ذلك. فهناك الكثير من الأشياء التي يجب أن أفعلها".

"لا شك عندي في ذلك".

وسارا معًا في صمت إلى مقر نادي الجولف.

قالت فرانكي وهي تمد يدها مصافحة: "حسنًا، وداعًا

يا عزيزي ـ لقد كان من الرائع أن أستفيد من وجودك أثناء إقامتي هنا، وربما سأراك لاحقًا عندما لا يكون لدي أي شيء أفضل لأفعله".

"اسمعي يا فرانكي...".

"ولعلك تتفضل يومًا وتشرّف إحدى حفلات العشاء التي أقيمها، وأعتقد أنك تستطيع شراء أزرار قمصان من اللؤلؤ بثمن زهيد جدًا من متاجر وول ورث".

"فرانكي....".

لكن كلماته ضاعت في قلب الضوضاء التي مثلها محرك السيارة البنتلي التي أدارتها فرانكي توًا، ثم انطلقت مسرعة بها وهي تلوح له بيدها مودعة.

"اللعنة!" ـ هكذا صاح بوبي بنبرة حملت كل الغضب الذي يحتمل في صدره.

كان بوبي مقتنعًا أن فرانكي قد تصرفت بأسلوب مشين؛ ربما لم يعبر هو بكياسة عن طبيعة علاقتهما، لكنه لم يقل سوى الحقيقة على أية حال.

لكن ربما كان من الأفضل لو أنه لم يعبر عما يحسه تجاهها.

بدت الأيام الثلاثة التالية طويلة بشكل لا يمكن وصفه.

كان الموقر جونز يعاني من التهاب الحلق، مما استدعى أن يهمس بالكلمات كلما أراد أن يتحدث، لكنه لم يكن يتحدث إلا قليلًا. وكان من الواضح أنه يتحمل التواجد في نفس المكان مع ابنه الرابع بشق الأنفس ـ بل إنه ردد مرة أو مرتين مقولة من

إحدى مسرحيات شكسبير تصف الأولاد العاقين بأنهم أكثر إيلامًا لآبائهم من أسنان الأفاعي.

وفي يوم السبت، شعر بوبي بأنه ما عاد يطيق الإقامة بالمنزل، فطلب من السيدة روبرتس ـ التي كانت تتولى شئون دار العبادة هي وزوجها ـ أن تعد له بعض الشطائر وتضم إليها علبة العصير التي كان قد اشتراها في ماركيولت، ثم انطلق في نزهة بمفرده.

كان بوبي قد افتقد فرانكي بشدة خلال الأيام القليلة الماضية، وكان يحس أن هؤلاء العجائز ـ مثل والده ووالد فرانكي ـ يمثلون السور الذي يحول بينهما... إنهم حتى الآن يعيشون في الماضي ويرفضون التخلي عن تلك التقاليد الاجتماعية البالية.

تمدد بوبي على ضفة النهر التي كساها العشب، وأخذ يتجادل مع نفسه فيما إذا كان من الأفضل أن يتناول غداءه أولًا ثم يخلد إلى النوم لاحقًا، أو يخلد إلى النوم أولًا ثم يتناول غداءه فيما بعد.

وبينما هو على هذه الحال، حسمت المسألة للقائيًا لما غلبه النعاس دون أن يشعر بذلك.

عندما استيقظ بوبي، كانت الساعة تشير إلى الثالثة والنصف! تجهمت ملامح بوبي عندما خطر بباله كيف أن والده سيستنكر بشدة إضاعته لليوم بهذه الطريقة؛ وذلك لأن المؤقر جونز كان يؤمن بأن تمشية جيدة في أجواء الريف ـ لمسافة عشرة أميال أو نحوها ـ هي ما يجب أن يفعله أي شاب

سليم الصحة والعقل. وأدى هذا الاسترسال في التفكير إلى أن يردد بوبي مقولة والده الشهيرة: "وهكذا أكون قد استحققت غدائي".

فكر بوبي: "يا للغباء! لماذا يستحق المرء غداءه من خلال القيام بتمشية طويلة لا يريد القيام بها؟ وما فائدة تلك التمشية من الأساس؟ إذا كنت تستمتع بالمشي فهذه التمشية ستكون متعة ذاتية بحتة، وإذا كنت لا تستمتع بالمشي فسوف تكون شخصًا أحمق للقيام بهذا العمل المضني".

وعند وصوله إلى هذه القناعة، انقض بوبي على غدائه ـ غير المستحق ـ وبدأ يتناوله بشهية لا تنقطع. أزاح بوبي غطاء علبة العصير وهو يتنهد بارتياح، وأخذ يشرب بنهم.

وبعد أن ألقى بوبي بالعلبة الفارغة داخل أجمة من الشجيرات، تمدد على الأرض مرة أخرى.

أطلق بوبي لخياله العنان، وأخذ يفكر في أمور كثيرة. وأخذ يخطط خططًا عظيمة، ويتخيل مغامرات جريئة لا نهاية لها مما يود القيام بها، ثم بدأ النعاس يزحف إلى عينيه مجددًا، وانقض عليه النوم في لحظات.

نام...

نومًا عميقًا وهنيئًا...

الفصل ٧

هروب من الموت

قادت فرانكي سيارتها البنتلي الخضراء حتى توقفت بالقرب من رصيف يمتد أمام منزل واسع عتيق الطراز علقت فوق مدخله لوحة مكتوب عليها "سانت أساف".

قفزت فرانكي خارج سيارتها، ثم استدارت وقطفت بعض أزهار السوسن من الحديقة، ثم اتجهت إلى الباب وقرعت الجرس. انفتح الباب وظهرت من ورائه امرأة ترتدي زي الممرضات.

قالت فرانكي: "هل يمكنني رؤية السيد جونز؟".

قلبت الممرضة عينيها بين السيارة البنتلي وأزهار السوسن وفرانكي باهتمام شديد.

ثم قالت: "ومن الذي يريد رؤيته؟".

"الليدي فرانسيس ديبروينت".

ظهرت الإثارة واضحة على ملامح الممرضة، ويبدا أنها قد سعدت كثيرًا بتخمينها الصحيح.

THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92

ثم قادت فرانكى إلى داخل غرفة بالدور العلوى الأول.

"لديك زائر يا سيد جونز ـ والآن، من تخمن أن يكون ذلك الزائر؟ إنها مفاجأة سعيدة من أجلك".

نطقت المرضة بكل هذا بأسلوب مسرح معتاد فى المستشفيات.

قال بويى وقد هوجس بشدة: "يا إلهى! إنها فرانكى!".

"مرحبًا يا بويى. لقد أحضرت لك الزهور المعتادة ـ أعلم أنها تبدو كالزهور التى توضع على شواهد القبور، ولكن الاختيار كان محدودًا".

قالت المرضة: "أوه، ليدى فرانسيس، إنها زهور جميلة ـ سوف أضعها فى المزهرية".

ثم غادرت الغرفة.

جلست فرانكى فوق مقعد بدا من الواضح أنه خاص بالزوار.

وقالت: "حسنًا يا بويى، ما كل هذا؟".

قال بويى: "ربما تتعجبين من كل ما يحدث، لكن دعينى أخبرك بأننى الحدث المثير فى هذا المكان. لقد وجدوا فى معدتى ما يعادل ثمانى حيات من المورفين. سوف يكتبون عنى فى صحيفة لانسيت وفى الـ(د.ط.ب)".

قالت فرانكى: "وما هى الـ(د.ط.ب)؟".

"دورية الطب البريطانية".

"حسنًا، أكمل. شنّف آذانى بمزيد من الحروف الاستهلالية لأسماء الصحف".

"أتعلمين يا عزيزتى أن نصف حبة من المورفين تعتبر جرعة مميتة؟ لقد كان من المفترض أن أموت ست عشرة مرة، ورغم أن التجربة قد أثبتت إمكانية التعافى من آثار ست عشرة حبة مورفين فإن ثمانى حبات لا تزال كمية لها احترامها ـ ألا تتفقين معى؟ إننى النجم المتوج لهذا المكان لأن هذا المستشفى لم تمر عليه حالة كهذه من قبل".

"يا لحسن حظهم".

"أليس كذلك؟ لقد أعطتهم حالتى شيئًا يتحدثون بشأنه مع بقية المرضى".

عادت المرضة إلى الغرفة وهى تحمل المزهرية التى وضعت الأزهار بداخلها.

قال بويى: "أليس صحيحًا، أيتها المرضة، أنكم لم تروا حالة مثل حالتى من قبل؟".

قالت المرضة: "أوه! إنك ما كان يجب أن تكون هنا من الأساس؛ المكان الذى ينبغى أن تكون فيه الآن هو المقابر، لكنهم يقولون إن يد الموت لا تتخطف سوى الشباب الصالح".

ثم ضحكت إعجابًا بخفة ظلها وغادرت الغرفة مجددًا.

قال بويى: "أرأيت ما أعنيه ـ سوف أصبح شخصًا شهيرًا فى أنحاء إنجلترا كلها".

استمر بويى فى حديثه وقد تلاشت تمامًا كل آثار عقد النقص التى عبر عنها جيدًا فى حديثه الأخير مع فرانكى، بل بدا وكأنه يشعر بمتعة خاصة من سرد أدق تفاصيل حالته.

قالت فرانكى وهى تحاول قمعه: "هذا يكفى ـ فأنا لا أهتم

كثيرًا بجهاز غسيل المعدة. إن من يقصت إليك سيظن أن أحدًا لم يتعرض للتسمم من قبلك".

قال بوبى موضحًا: "هناك عدد قليل جدًا من الناس قد تعرضوا للتسمم بثمانى حبات من المورفين وتعطوا الأمر، وعلى أى حال، لا يبدو أن الأمر قد أثر فيك بشكل كاف".

قالت فرانكى: "إننى أشعر بالأسى حيال الأشخاص الذين دسوا لك السم".

"أعلم ذلك ـ لقد أهدروا كمية كبيرة من المورفين بلا طائل".

"لقد دسوا لك السم فى علبة العصير، أليس كذلك؟".

"نعم، لقد وجدنى بعض الأشخاص نائمًا كالقتيل فحاولوا إيقاظى دون جدوى، ثم انتابهم الذعر فحملونى إلى منزل ريفى وأرسلوا فى طلب الطبيب...".

قالت فرانكى بنفاد صبر: "أعرف الجزء التالى".

"فى البداية اعتقدوا أننى قد تناولت المورفين بشكل متعمد، لكنهم عندما استمعوا إلى قصتى انطلقوا للبحث عن علبة العصير ووجدوها فى الموضع الذى ألقيتها فيه، وعليه فقد قاموا بتحليل المكونات الموجودة بداخلها ـ ويبدو أن البقايا التى ظلت بداخلها كانت كافية لاكتشاف وجود المورفين".

"ألا يوجد أى شىء يدل على الطريقة التى وصل بها المورفين إلى العلبة؟"

"لا شىء على الإطلاق. لقد استجوبوا صاحب المتجر الذى اشتريت العلبة منه وفتحوا عددًا من العلب الموجودة فى المتجر،

ولكنهم لم يجدوا أى شىء مريب".

"لابد أن أحدهم قد وضع المورفين داخل العلبة فى أثناء نومك، أليس كذلك؟".

"هذا ما أظنه. إننى أتذكر أن الغطاء الورقى لفتحة العلبة لم يكن محكمًا كما يجب".

أومأت فرانكى بتفكر وقالت:

" حسنًا، إن ذلك يؤكد أن ما قلته لك فى القطار فى ذلك اليوم كان صحيحًا".

"وماذا قلت؟".

"لقد قلت لك إن ذلك الرجل ـ بريتشارد ـ قد تم دفعه من فوق الحافة".

رد بوبى بوهن: "إنك لم تقولى ذلك فى القطار، بل قلته ونحن فى المحطة".

"نفس الشىء".

"لكن لماذا...".

"هذا واضح يا عزيزى: فما الذى يدفع أحدهم إلى محاولة التخلص منك؟ إنك لست الوريث الوحيد لأحد الأثرياء أو شيئًا من هذا القبيل".

"ربما أكون كذلك، وربما تكون إحدى عماتى اللاتى لم أسمع بهن من قبل ـ والتى تعيش فى نيوزيلندا أو أى مكان آخر ـ قد تركت لى كل ثروتها".

"هذا هراء، فلن تترك لك عمتك المجهولة هذه شيئًا دون أن تعرفك، وإذا كانت لا تعرفك، فلماذا تترك كل ثروتها للابن

الرابع من أبناء أخيها؟ فى هذه الأوقات الصعبة التى نعيشها لن يكون من السهل - حتى على رجل دين - أن يكون لديه أربعة أبناء! كلا. إن المسألة واضحة للغاية. إن أحدًا لن يستفيد من موتك، ولذا يجب أن نستبعد هذا الدافع. وهناك أيضًا دافع الانتقام، إلا أننى لا أظنك قد أغويت ابنة أحد الصيادلة. أليس كذلك؟".

قال بويرو بضجر: "لا أتذكر شيئًا كهذا".

"أعلم ذلك - إن بعض الرجال يُغوُون الكثير من الفتيات لدرجة أنهم ينسون العدد الصحيح. لكن يمكننى أن أقول بكل ثقة إنك لم تغو أية فتيات من قبل".

"أنت تخجليننى يا فرانكى، ولماذا يجب أن تكون ابنة لأحد الصيادلة؟".

"ليس من السهل على أى شخص أن يحصل على المورفين، أما الصيادلة فيتوفر لديهم المورفين طوال الوقت".

"حسنًا، أنا لم أغو ابنة أحد الصيادلة حتى الآن".

"وهل لديك أعداء معروفون؟".

هز بويرو رأسه نافيًا.

قالت فرانكى بنبرة زهو: "ها قد عدنا إلى نفس الدافع - لابد أن للأمر علاقة بالرجل الذى دُفع من فوق حافة الجرف. ما رأى رجال الشرطة؟".

"إنهم يعتقدون أن الفاعل شخص مجنون".

"هذا هراء! فالمجانين لا يجوبون الطرقات وفى جعبتهم كمية كبيرة من المورفين بحثًا عن علبة عصير غريبة الشكل

لكى يضعوا المورفين بداخلها. كلا، لابد أن أحدهم قد دفع الرجل من فوق حافة الجرف، وبعد دقيقة أو دقيقتين حضرت أنت مما جعله يعتقد أنك شاهدته وهو يرتكب جريمته، وعليه فقد صمم على إزاحتك من طريقه".

"لا أظن أنها نظرية مقنعة يا فرانكى".

"ولم لا؟".

"حسنًا، بادئ ذى بدء، أنا لم أر أى شىء".

"نعم، لكنه لا يعلم ذلك".

"ولو أننى رأيت شيئًا، لكان حريًّا بى أن أشهد بذلك فى التحقيق".

قالت فرانكى على مضض: "نعم، أعتقد ذلك".

ثم ظلت تفكر للحظة أو اثنتين.

وأخيرًا قالت: "ربما ظن أنك قد رأيت شيئًا ولكنك لم تعتقد أن له أية أهمية لكنه، فى الواقع، مهم للغاية - إننى أعلم أن ما قلته قد يبدو معقدًا للغاية، لكن أظن أن الفكرة قد وصلت، أليس كذلك؟".

أومأ بويرو برأسه إيجابًا.

وقال: "نعم، لقد فهمت ما تقصدين، لكنه احتمال بعيد للغاية".

"أنا واثقة أن قضية حافة الجرف لها علاقة بما حدث لك؛ فقد كنت فى موقع الحادث - بل كنت الشخص الأول فى الوصول إلى هنالك...".

قال بويرو مذكرًا إياها: "لقد كان الطبيب توماس هناك

أيضًا، ولم يحاول أحدهم أن يسمّه".

ردت فرانكي بمرح: "ربما سيحاولون قريبًا أو لعلهم حاولوا وفشلوا".

"إن الأمر كله يبدو بعيد الاحتمال".

"أظن أنه منطقي للغاية؛ فلو حاول التخلص من شخصين دفعة واحدة في منطقة هادئة مثل ماركيوليت فسوف... انتظر... هناك أمر ثالث".

"وما هو؟".

"تلك الوظيفة التي عرضت عليك ـ أعلم أنها مسألة بسيطة، لكن يجب أن تعترف بأنها مريبة وتثير الشكوك. أنا لم أسمع يومًا بشركة أجنبية متخصصة في البحث عن ضباط البحرية السابقين وغير المعروفين في نفس الوقت".

"هل قلت غير المعروفين؟".

"إنك لم تذكر في دورية الطب البريطانية حينها. على أي حال، أظنك فهمت مقصدي ـ لقد رأيت شيئًا لم يكن من المفترض أن تراه ـ أو هكذا يظن الأشرار (أيًا كان اسمهم)، ولهذا فإنهم يحاولون أولًا التخلص منك عن طريق أن يعرضوا عليك وظيفة خارج البلاد، وعندما يفشل هذا المخطط، يحاولون إزاحتك من الطريق بشكل نهائي".

"ألا تظنين أنه تصرف متطرف بعض الشيء؟ وهو أيضًا مخاطرة كبيرة في كل الأحوال؟".

"أوه! لكن القتلة دائمًا متهورون بطبيعة الحال، وكلما ارتكبوا المزيد من الجرائم، زادت رغبتهم في ارتكاب المزيد

منها".

"مثلما حدث في رواية *بقعة الدم الثالثة*" ـ هكذا رد بوبي وهو يتذكر إحدى الروايات المفضلة لديه.

"نعم. وفي الحياة الواقعية أيضًا ـ كما حدث مع السيد سميث وزوجاته وعائلة أرمسترونج وآخرين".

"حسنًا يا فرانكي، ما ذلك الشيء الذي من المفترض أن أكون قد رأيته؟".

قالت فرانكي بانهزام: "هذا بالطبع هو مكمن الصعوبة. إنني أعلم أنك يستحيل أن تكون قد رأيت الدفعة التي أودت بحياة الرجل؛ لأنك لو رأيتها لكنت أخبرت الشرطة بذلك. ولكن ربما تكون قد رأيت شيئًا يتعلق بالقتيل نفسه؛ إذ ربما كان لديه وحمة في جسده أو أصابع مزدوجة المفصل أو أي علامة جسدية مميزة".

"أرى أن عقلك مرتبط كثيرًا بالروايات البوليسية ـ فلا يمكن أن يكون للأمر علاقة بأي علامة جسدية لأنني لو رأيت شيئًا كهذا، لكان رجال الشرطة رأوه أيضًا".

"نعم كانوا سوف يرونه ـ لقد كان افتراضًا غبيًا! إنها مسألة صعبة، أليس كذلك؟".

قال بوبي: "إنها نظرية مهتمة، وهي تجعلني أشعر بعدي أهميتي، لكني لا أعتقد أنها أكثر من مجرد نظرية بأي حال من الأحوال".

وقفت فرانكي وقالت: "أنا واثقة من أنني محقة. وعلى أي حال، يجب أن أذهب الآن ـ هل آتي لزيارتك غدًا؟".

"أوه تعالَى: فالموضوعات التى تتحدث فيها المرضات مكررة ومملة للغاية. بالمناسبة، لماذا عدت من لندن بهذه السرعة؟".

"لقد عدت بمجرد أن سمعت بما جرى لك يا عزيزى. إنه لأمر مثير أن يتعرض أحد أصدقائى لهذا التسمم الرومانسى".

قال بوبى بلهجة تذكير: "لا أدرى إن كان التسمم بالمورفين يعتبر شيئًا رومانسيًا أم لا".

"حسنًا، سوف آتى لزيارتك غدًا".

"أراك غدًا".

وبمجرد خروج فرانكى، دخلت المرضة وهى تحمل قدحًا من الشاى إلى بوبى.

وقالت: "لقد رأيت صورها كثيرًا فى الصحف، لكنها لا تتصرف مثل بقية الطبقة الأرستقراطية على أية حال. ولقد رأيتها كثيرًا من قبل وهى تقود سيارتها فى هذه الأنحاء، لكنى لم أرها عن قرب قبل اليوم - إنها ليست متعجرفة على الإطلاق، أليس كذلك؟".

قال بوبى: "أوه، كلا! ما كنت لأصف فرانكى بالمتعجرفة أبدًا".

"لقد قلت لإحدى المرضات إن تلك الفتاة تتصرف بشكل طبيعى مثل أى شخص آخر، وهى ليست متكبرة أو متعالية، بل إنها تبدو شبيهة بى أو بك - هذا ما قلته".

اصطدم رأى المرضة بمعارضة عقلية عنيفة وصامتة من

بوبى، لكنه لم يرد بشىء.

غادرت المرضة الغرفة وكأنها أحست بخيبة أمل من عدم استجابة بوبى.

وتركت بوبى غارقًا فى أفكاره.

انتهى بوبى من احتساء الشاى، وبدأ يقلب فى عقله الافتراضات التى اشتملت عليها النظرية الغريبة التى طرحتها فرانكى وانتهى به الحال إلى رفض هذه الافتراضات كلها، ثم بدأ يحاول أن يشغل تفكيره بأشياء أخرى.

وقعت عيناه على المزهرية التى تحمل أزهار السوسن - لقد كان تصرفًا رقيقًا من فرانكى أن تحضر له تلك الزهور، والتى كانت رائعة دون شك، لكنه تمنى لو أنه قد خطر ببالها أن تحضر له بعض الروايات البوليسية بدلًا من تلك الزهور، ثم أدار بوبى عينيه إلى الطاولة الموضوعة بجوار سريره، حيث كانت هناك رواية للروائى *كويدا* ونسخة من رواية *النبيل* للروائى جون *هالينهاكس*، وطبعة الأسبوع الماضى من صحيفة *ماركيوليت* ويكلى *تايمز* الأسبوعية. التقط بوبى رواية *النبيل* لـ جون *هالينهاكس*.

وبعد خمس دقائق من القراءة، وضع بوبى الرواية على الطاولة: فالنسبة لعقل تربى على الروايات البوليسية من قبيل *لغة الدم الثالثة* و *قضية مقتل الأرشيدوق* و *المغامرة الغريبة للخنجر الذهبى*، فإن رواية *النبيل* لـ جون *هالينهاكس* كانت تفتقر إلى الحيوية.

وبتنهيدة ضجر، التقط بوبى طبعة الأسبوع الماضى من

صحيفة *ماركيولت ويكلى تايمز* الأسبوعية.

وبعد لحظة أو اثنتين، كان بوبى يضغط على زر استدعاء الممرضة الموجود أسفل وسادته بشدة جعلت إحدى الممرضات تركض لاهثة إلى داخل الغرفة.

"ماذا جرى يا سيد جونز؟ هل تشعر بألم شديد؟".

صاح بوبى: "اتصلى بالقلعة وأخبرى الليدى فرانسيس بأن عليها أن تعود إلى هنا فى الحال".

"أوه، سيد جونز ـ لا يمكنك أن ترسل رسالة كهذه".

قال بوبى: "ألا يمكننى ذلك؟ لو أنه كان مسموحًا لى بمغادرة هذا الفراش اللعين، لرأيت سريعًا ما إذا كنتُ قادرًا على فعل ذلك أم لا؛ أما والحال كما هى الآن، فإن عليك أن تفعلى ذلك من أجلى".

"لكنها لن تكون قد عادت إلى القلعة بعد".

"أنت لا تعرفين سرعة سيارتها البنتلى".

"على الأقل لن تكون قد تناولت الشاى بعد".

قال بوبى: "اسمعى يا فتاتى العزيزة، لا تضيعى الوقت فى مجادلتى، بل اتصلى بالقلعة كما أخبرتك، وقولى للآنسة فرانسيس أن تأتى إلى هنا على الفور؛ لأن هناك شيئًا مهمًا يجب أن أخبرها به".

شعرت الممرضة بالهزيمة فغادرت الغرفة على مضض، لكنها أعطت لنفسها الحرية فى تحريف رسالة بوبى بعض الشىء.

وكان فحوى رسالتها كالتالى: إذا لم يكن فى ذلك إزعاج

للآنسة فرانسيس، فإن السيد جونز كان يتساءل عما إذا كان من الممكن أن تعود الآنسة إلى المستشفى؛ حيث إن هناك شيئًا مهمًا يود إخبارها به، لكن لا يجب على الليدى فرانسيس أن تتعب نفسها إذا لم تكن قادرة على المجىء.

رمت الليدى فرانسيس باختصار أنها ستأتى على الفور.

قالت الممرضة لإحدى زميلاتها: "أراهنك أن الليدى فرانسيس تحب هذا الفتى ـ هذه هى الحقيقة".

وصلت فرانكى إلى غرفة بوبى واللهفة تطل من عينيها.

وقالت على الفور: "ما سر هذا الاستدعاء اليائس؟".

كان بوبى يجلس فى فراشه، وقد ظهر التورد على وجنتيه، وكان يلوح بنسخة من صحيفة *ماركيولت ويكلى تايمز* الأسبوعية.

"انظرى يا فرانكى".

نظرت فرانكى.

ثم قالت: "ماذا هناك؟".

"هل هذه هى الصورة التى كنت تصممين أنها عندما قلت إنها قد تعرضت للتعديل قليلًا لكنها شديدة الشبه بالسيدة كايمان؟".

كان إصبع بوبى يشير إلى نسخة باهتة بعض الشىء من الصورة المنشورة بالصحيفة، وقد كتبت هذه الكلمات تحتها: "الصورة التى وجدت بجيب الضحية والتى تم التعرف عليه من خلالها؛ والصورة تخص السيدة كايمان، شقيقة القتيل".

"هذا هو ما قلته، وهو صحيح أيضًا وأنا لا أرى أى اختلاف

بين هذه الصورة وبين السيدة كايمان؟".

"ولا أنا أيضًا".

"لكنك قلت...".

"أعلم أنني قلت غير ذلك، لكن اسمعني يا فرانكي" ـ وصار صوت بوبي مؤثرًا بشدة وهو يردف ـ "هذه ليست الصورة التي وجدتها في جيب القتيل وأعدت وضعها هناك...".

نظرا كلاهما إلى الآخر في صمت.

ثم قالت فرانكي ببطء: "في هذه الحالة...".

"إما أنه كانت هناك صورتان...".

"...وهو أمر غير مرجح...".

"أو...".

ثم توقفا مجددًا عن الكلام.

أخيرًا قالت فرانكي: "ذلك الرجل... ما اسمه؟".

قال بوبي: "باسينجتون هوينش".

"لابد أنه قد بدل الصورة!".

الفصل ٨

لغز الصورة

حدق كل منهما في مواجهة الآخر وهما يحاولان استيعاب التغير الذي طرأ على الموقف.

قال بوبي: "لا يمكن أن يكون أي شخص آخر؛ فهو الشخص الوحيد الذي كانت لديه الفرصة لتبديل الصورة".

"ما لم تكن هناك صورتان، كما قلنا من قبل".

"لقد اتفقنا على أن ذلك غير مرجح؛ إذ لو كانت هناك صورتان لحاول رجال الشرطة التعرف على هويته من خلال الصورتين ـ وليس من خلال صورة واحدة".

قالت فرانكي: "على أية حال، من السهل معرفة ذلك عن طريق سؤال رجال الشرطة. وفي الوقت الراهن سوف نفترض أنه كانت هناك صورة واحدة ـ أقصد الصورة التي رأيتها وأعدتها إلى جيب الرجل. لقد كانت الصورة موجودة في جيبه عندما غادرته، ولم تعد كذلك عندما حضر رجال الشرطة؛ ولهذا فإن الشخص الوحيد الذي كان قادرًا على أخذ الصورة

ووضع الصورة الأخرى هو ذلك الشخص المدعو باسينجتون فرينش ـ كيف كان شكل ذلك الرجل يا بويرو؟".

قطب بويرو جبينه وهو يحاول جاهدًا تذكر ملامح الرجل.

"كان شخصًا يصعب وصفه؛ فقد كان ذا صوت لطيف، ويبدو أشبه بالنبلاء أو الأرستقراطيين، لكنني لم أميز ملامحه بشكل محدد، وقال إنه غريب عن المنطقة وذكر شيئًا عن كونه قد حضر للبحث عن منزل".

قالت فرانكي: "يمكننا التحقق من ذلك بسهولة؛ وذلك لأن ويلر وأوين هما سمسارا العقارات الوحيدان في المنطقة..."، ثم ارتعدت فرانكي فجأة وهي تردف: "بويرو، هل خطرت هذه الفكرة ببالك؟ لو أن بريتشارد قد تم دفعه من فوق الجرف ـ فلابد أن فرينش هو من قام بذلك...".

قال بويرو: "هذا تصور قاس للغاية ـ لقد بدا فرينش كشخص لطيف ورقيق".

قالت فرانكي: "لكن أندري يا بويرو، نحن لا نستطيع التأكد من كونه قد دُفع عمدًا".

"لقد كنت متأكدًا من هذا طوال الوقت".

"كلا. لقد أردت أن يكون الأمر بهذه الطريقة لأن ذلك سيجعل القصة تزداد إثارة، لكن حتى الآن لا يمكن إثبات الأمر أو نفيه. إذا كانت جريمة قتل، فكل الأمور تتماشى مع ذلك؛ ظهورك المفاجئ الذي أفسد خطة القاتل، واكتشافك للصورة، وبالتالي، الحاجة للتخلص منك وإزاحتك من الطريق".

قال بويرو: "هناك خلل في هذا التصور".

"لماذا تظن ذلك؟ لقد كنت الشخص الوحيد الذي رأى الصورة، وبمجرد أن تركت فرينش بمفرده مع الجثة، قام بتدمير الصورة الذي لم يرها أحد سواك".

لكن بويرو استمر في هز رأسه نافيًا.

وقال: "كلا، هذا غير كاف. لأننا افترضنا للحظة أن تلك الصورة كانت شديدة الأهمية لدرجة تجعلهم يضطرون إلى "إزاحتي من الطريق" ـ كما تصفين الأمر ـ فإن الإجراء الذي كانوا سيقومون به للتخلص مني كان ينبغي أن ينفذ في حينها. وبطبيعة الحال ذهبت إلى لندن ولم أقرأ صحيفة ماركيولت ويكلي تايمز أو أيًا من الصحف الأخرى التي نشرت الصورة كانت مجرد مصادفة بحتة ـ شيء لا يمكن لأحد أن يعتمد عليه، والاحتمال الأرجح هو أنني كنت سأقرأ الصحف في اليوم التالي وأقول على الفور: "هذه ليست الصورة التي رأيتها" فلماذا انتظر المجرم حتى ينتهي التحقيق لكي يتخلص مني في حين أن الأمور كلها كانت واضحة أمام عينيه من البداية؟".

قالت فرانكي بإصرار: "هذه نقطة غير منطقية بالمرة".

"وهناك نقطة أخرى: أنا لست واثقًا تمام الثقة بالطبع، لكنني أكاد أجزم بأن فرينش لم يكن هناك عندما أعدت وضع الصورة داخل جيب القتيل؛ حيث إنه وصل إلى المكان بعد ذلك بخمس دقائق تقريبًا".

قالت فرانكي مجادلة: "لعله كان يراقبك طوال الوقت".

قال بويرو ببطء: "لا أعرف كيف كان بإمكانه القيام بذلك؛ فقد كان هناك مكان واحد فقط تستطيعين منه النظر إلى

أسفل بحيث تشاهدين بالتحديد المكان الذى كنت أقف فيه بجوار جثة الرجل. إن الجرف دائرى الشكل ويتسع إلى الداخل كلما انحدرت إلى أسفل، ولذا فإن من يقف بأعلى الحافة لا يستطيع رؤية القاع ـ هناك فقط مكان واحد يسمح بذلك. وعندما وصل فريتش إلى تلك البقعة سمعت صوته على الفور. فمن السهل سماع صدى وقع الأقدام وأنت بالأسفل. وربما كان يقف بمكان قريب، لكننى أكاد أقسم أنه لم يكن ينظر إلى أسفل حتى سمعت صوته".

"إذن فأنت تعتقد أنه لم يعرف بأنك قد رأيت الصورة؟".

"لست أرى كيف كان بإمكانه معرفة ذلك".

"وهو بالتأكيد لم يكن خائفًا من كونك قد رأيته وهو يقوم بالأمر ـ أقصد جريمة القتل ـ لأن ذلك أمر غير معقول؛ حيث إنك ما كنت لتلتزم الصمت حيال ذلك بالتأكيد. يبدو وكأن السبب كان شيئًا آخر".

"المشكلة هى أننى لست أرى سببًا يدفع أحدهم لقتلى".

"لعله شيئًا لم يعرفوه إلا بعد التحقيق ـ لا أدرى لماذا أشير إلى القاتل بصيغة الجمع؟".

"ولم لا؟ فعلى أى حال، لابد أن آل كايمان كانوا متورطين فى الأمر، ولعلها عصابة من الأشرار ـ وأنا أحب العصابات!".

قالت فرانكى بشرود: "هذا ذوق سيئ ـ إن جرائم القتل التى يرتكبها شخص بمفرده أرقى وأرفع مقامًا، بوبى!".

"ماذا؟".

"ما الذى قاله بريتشارد ـ قبيل موته؟ أتدرى، لقد أخبرتنى

ـ الأمر عندما كنا فى ملاعب الجولف بالأمس القريب... ذلك السؤال الغريب الذى تطق به الرجل؟".

"*لماذا لم يسألوا إيفانز؟*".

"نعم، ماذا لو كان هذا هو السبب؟".

"لكنه سؤال سخيف لا معنى له".

"إننى أعلم أنه يبدو كذلك، لكن ربما كانت له أهمية كبيرة. إننى واثقة من أن هذا السؤال هو مفتاح السر. أوه، كلا. أنا أتصرف بغباء ـ أنت لم تخبر آل كايمان بخصوص هذا السؤال، أليس كذلك؟".

قال بوبى ببطء: "فى الواقع، لقد أخبرتهما به".

"أفعلت ذلك حقًا؟".

"نعم، لقد أرسلت إليهما خطابًا فى عشية ذلك اليوم، وأخبرتهما أننى اعتقدت أن السؤال لا أهمية له ولهذا غاب عن ذهنى عندما قابلتهما".

"وماذا حدث؟".

"أرسل إلى السيد كايمان خطابًا، واقتضى فيه بأدب على أن السؤال بالطبع لا يمثل أى أهمية، لكنه شكرنى على المجهود الذى قمت به ـ لقد شعرت بأننى شخص أحمق".

"وبعد يومين تلقيت خطابًا من شركة غريبة تعرض عليك مبلغًا كبيرًا من المال من أجل أن تسافر إلى أمريكا الجنوبية؟".

"نعم".

قالت فرانكى: "حسنًا، أنا لا أعلم أى دليل آخر تريد،

لقد حاولوا استدراجك بهذه الطريقة أولًا فرفضت عرضهم، وكانت الخطوة التالية هي أنهم أخذوا يراقبونك عن كثب، وانتهزوا أفضل فرصة لاحت أمامهم لكي يدسوا كمية كبيرة من المورفين في علبة العصير التي كانت بحوزتك".

"إذن فآل كايمان متورطان في الأمر؟".

"بالطبع، إن آل كايمان متورطان في الأمر!".

قال بوبي بتأمل: "نعم، لو أن فرضيتك هذه صحيحة، فلابد أن لهما يدًا في المسألة. وطبقًا لنظريتك الحالية، فإن الأمر ربما يكون قد تم بهذه الطريقة: تم دفع الرجل الميت ـ ولنطلق عليه السيد إكس ـ بشكل متعمد من فوق حافة الجرف ـ وقد تم ذلك افتراضيًا بواسطة السيد (ب.ف) ـ (عذرًا لاستخدام الحروف الأولية). ولما كان من المهم جدًا ألا يتم التعرف على الهوية الحقيقية للسيد إكس فقد تم وضع صورة للسيدة (ك) في جيبه وإزالة صورة الجميلة الغامضة من هناك. (من كانت تلك المرأة يا ترى؟)".

قالت فرانكي بحدة: "ركز على الموضوع الرئيسي".

"وهكذا تنظر السيدة (ك) حتى تظهر الصورة في صفحات الجرائد ثم تحضر واصفة قناع الأخت الثكلى وتتعرف على السيد إكس على أنه شقيقها الذي كان يعيش بالخارج".

"ألا تصدق أنه ربما يكون أخاها بالفعل؟".

"ولا للحظة! أندرين! لقد كانت هذه المسألة تحيرني طوال الوقت؛ حيث كان آل كايمان من طبقة اجتماعية متدنية تمامًا. أما الرجل الميت فكان... حسنًا، أعلم أن كلامي سيبدو غريبًا

قليلًا وأشبه بكلام المجانين الإنجليز ذوي الأصول الهندية، ولكن الرجل كان يشبه نبلاء العصور الوسطى بالفعل".

"ولم يكن آل كايمان كذلك على الإطلاق؟".

"على الإطلاق".

قالت فرانكي بنبرة ساخرة: "وهكذا، وبعد أن سارت الأمور على أحسن ما يرام من وجهة نظر آل كايمان ـ إذ تم التعرف على الجثة بنجاح، وانتهى التحقيق إلى أن الوفاة كانت بسبب حادث، وصارت كل الأمور كما يجب ـ أتيت أنت وأفسدت كل شيء".

"*لماذا لم يسألوا إيفانز؟*" كرر بوبي العبارة بنبرة تأملية، ثم أردف: "أندرين! إنني لا أرى في تلك العبارة ما يمكن أن يخيف أو يزعج أحدهم".

"آه، هذا لأنك لا تعرف. إن الأمر أشبه بألغاز الكلمات المتقاطعة: إنك تقوم بكتابة جزء من كلمة سر، وتظن أنه جزء سهل للغاية وأن الجميع سوف يخمنون كلمة السر على الفور، ثم تفاجأ بشدة عندما لا يستطيع أي منهم تخمينها مطلقًا. لابد أن عبارة "*لماذا لم يسألوا إيفانز؟*" كانت شديدة الأهمية بالنسبة لهم، ولهذا لم يدركوا أنها لا تعني لك أي شيء على الإطلاق".

"يا لهم من أغبياء!".

"أوه، إنهم كذلك بالفعل، لكن من المحتمل أنهم ربما ظنوا أنه إذا كان بريتشارد قد قال ذلك، فربما يكون قد قال شيئًا آخر قد تتذكره في الوقت المناسب. على أية حال، إن قومًا بهذه

العقلية الشريرة ما كانوا ليخاطروا ويتركوا شيئًا للمصادفة. وقد ظنوا أنهم سيكونون أكثر أمنًا إذا تخلصوا منك".

"لكنهم خاطروا كثيرًا عندما حاولوا تسميمي ـ لماذا لم يحاولوا تدبير "حادث" آخر كما فعلوا مع القتيل؟".

"كلا، كلا. كان ذلك سيكون غباءً شديدًا ـ حادثان لا يفصل بينهما سوى أسبوع واحد؟ وربما كان ذلك ليوحي بوجود رابط بين الحادثين، ولعل ذلك كان كفيلًا بجعل الناس يتساءلون عن الحادث الأول. كلا، إنني أعتقد أن هناك نوعًا من البساطة الجريئة التي ميزت الطريقة التي استخدموها للتخلص منك، وهي توحي بذكاء كبير في الوقت ذاته".

"ومع ذلك فقد قلت للتو إن الحصول على المورفين ليس بالأمر السهل".

"ليس أمرًا سهلًا بالطبع: فعليك أن توقع على دفاتر صرف المواد السامة، وهناك إجراءات أخرى معقدة. أوه هذه المسألة تمثل طرف خيط: فأيًا كان من دس السم لك فهو شخص بإمكانه الحصول على كميات من المورفين".

قال بوبي: "ربما كان طبيبًا أو ممرضة في مستشفى أو صيدليًا".

"حسنًا، لقد كنت أفكر في العناقير المهربة من الخارج".

قال بوبي: "من الصعب أن يكون هؤلاء الأشخاص متورطين في أنواع مختلفة من الجرائم".

"أتدري؟ إن المشكلة الكبرى كانت ستتمثل في غياب الدافع، وذلك لأن موتك لن يفيد أي شخص. فما الذي كان سيعتقده

رجال الشرطة؟".

"أن شخصًا مجنونًا هو من ارتكب الجريمة، وهذا هو اعتقاد رجال الشرطة بالفعل".

"أرأيت؟ إن المسألة بسيطة للغاية".

انفجر بوبي في الضحك فجأة.

"ما الذي يضحكك هكذا؟".

"مجرد فكرة أنه لابد وأنهم الآن يستشيطون غضبًا! لقد كانت هذه الكمية من المورفين تكفي لقتل خمسة أو ستة أشخاص ـ وها أنذا حي أرزق رغم ذلك".

قالت فرانكي: "إنها أعجوبة بسيطة من أعاجيب الحياة التي لا يستطيع المرء أن يتنبأ بها مسبقًا".

قال بوبي بنبرة جادة: "السؤال الآن ـ ماذا يمكن أن نفعل بعد أن عرفنا كل ذلك؟".

قالت فرانكي على الفور: "أوه الكثير من الأشياء".

"مثل...؟".

"حسنًا... نحاول التأكد من مسألة الصورة... وأنه كانت هناك صورة لا صورتان، وكذلك يمكننا تقصي مسألة البحث عن منزل تلك التي أدعاها باسينجتون فرينش".

"من المرجح أننا لن نجد شيئًا مريبًا بشأن هذه المسألة".

"لماذا تقول ذلك؟".

"استمعي إليّ يا فرانكي وفكري في الأمر لدقيقة. لابد أن يكون باسينجتون فرينش فوق مستوى الشبهات، ويجب أن يكون شخصًا لا غبار عليه من أي ناحية. ولا يجب فقط ألا يكون

هنالك ما يربطه بالقتيل، بل يجب أن يمتلك سببًا قويًا ومنطقيًا للتواجد في ذلك المكان. ربما يكون قد اخترع مسألة البحث عن منزل من وحي اللحظة، ولكنني أراهن على أنه لم يستمر في البحث عن منزل بعد لقائي به، ولا يجب أن يكون هناك أي تلميح إلى وجود "غريب غامض في موقع الحادث" ـ إنني أعتقد أن باسينجتون فريشن هو اسمه الحقيقي وأنه شخص فوق مستوى الشبهات".

قالت فرانكي بتأمل: "نعم، هذا استنتاج جيد للغاية. لن تكون هنالك أي صلة بين باسينجتون فريشن وأليكس بريتشارد. والآن، فإنني أتمنى لو أننا فقط استطعنا أن نعرف من يكون ذلك القتيل في الحقيقة".

"حينها قد تتغير الأمور".

"إذن فمن المهم جدًا ألا يتم التعرف على جثة الرجل الميت. بدليل التمثيلية التي قام بها آل كايمان، ورغم ذلك تظل خطوتهم هذه تنطوي على مخاطرة كبيرة".

"لا تتمنّ أن السيدة كايمان قد تعرفت على جثة القتيل بأسرع وقت ممكن؛ فحتى لو كانت قد ظهرت صور الرجل في الصحف بعد ذلك (وأنت تعلمين كم تكون تلك الصور باهتة وغير واضحة المعالم)، فسوف يقول الناس فقط: "من الغريب أن ذلك الرجل بريتشارد ـ الذي سقط من فوق الجرف ـ يشبه السيد إكس بدرجة كبيرة!"".

قالت فرانكي بمكر: "لابد أن هنالك أبعادًا أكبر للمسألة. ولابد أن السيد إكس كان رجلاً لا يمكن افتقاده بسهولة...

أقصد أنه من المستبعد أن يكون رب أسرة، وذلك لأن زوجته أو أقاربه سوف ينطلقون على الفور إلى أقرب قسم شرطة للإبلاغ عن اختفائه".

"أحسنت يا فرانكي. كلا، لابد أنه كان شخصًا في طريقه إلى الخارج أو عاد من الخارج توًا (لقد كانت السمرة تغلو بشرته بشكل واضح ـ كأنه كان صياد حيوانات أو رحالة مغامرًا)، ولا يمكن أن يكون له أي أقارب من الدرجة الأولى ممن يعرفون تحركاته".

قالت فرانكي: "نحن نستنتج بشكل رائع، لكني أتمنى ألا تكون كل استنتاجاتنا خاطئة".

قال بوبي: "هذا مرجح جدًا، لكني أعتقد أن ما قلناه حتى الآن يبدو منطقيًا بشكل كبير ـ هذا إذا سلمنا بإمكانية حدوث هذه القصة غير المحتملة".

تجاهلت فرانكي عبارة "غير المحتملة" بإشارة خفيفة من يدها.

وقالت: "السؤال هو: ماذا ينبغي أن نفعل الآن؟ يبدو لي أن هنالك ثلاث زوايا نستطيع من خلالها متابعة هذه القضية".

"أكملي يا شيرلوك هولمز".

"الزاوية الأولى هي أنت ـ لقد قاموا بمحاولة لقتلك، ومن المرجح أن يقوموا بمحاولة ثانية. لكننا قد نتمكن هذه المرة من "اصطيادهم" ـ كما يقول رجال الشرطة...أقصد أن نستخدمك "كطُعم" للإيقاع بالعصابة".

قال بوبي بانفعال: "كلا، شكرًا لك يا فرانكي ـ لقد كنت

محظوظًا جدًا هذه المرة، لكنني قد لا أكون كذلك في المرة الثانية إذا غيروا أداة القتل إلى سكين حادة أو مسدس. لقد نويت أن أعتني بنفسي جيدًا في المستقبل، ولهذا يمكننا استبعاد فكرة "الطعم" هذه".

قالت فرانكي بتهيدة: "كنت أظن أنك ستقول هذا - إن شباب هذه الأيام خائرو العزيمة...هكذا يقول أبي؛ فهم لا يستمتعون بعدم الراحة وما عادوا يطيقون القيام بأمور خطيرة ومزعجة - يا له من شيء مؤسف!".

قال بوبي بلهجة حازمة: "شيء مؤسف للغاية - ما هي الخطة الثانية للهجوم؟".

قالت فرانكي: "أن نبدأ من عبارة "*لماذا لم يسألوا إيفانز؟*"، فمن المحتمل أن القتيل قد جاء إلى هنا لمقابلة إيفانز هذا. والآن، إذا كان بإمكاننا العثور على إيفانز....".

قاطعها بوبي قائلًا: "أتدرين كم شخصًا يدعى إيفانز في ماركيولت؟".

قالت فرانكي: "سبعمائة على ما أعتقد".

"على الأقل! ربما يمكننا القيام بشيء في هذه الناحية، لكني أشك في أننا سنصل إلى أي نتيجة".

"نستطيع وضع قائمة بكل من يُدعَون إيفانز، وتزور الأشخاص الأقرب للشبهة من بينهم".

"وعمّ ستسألهم؟".

قالت فرانكي: "هنا تكمن الصعوبة".

قال بوبي: "نحن بحاجة إلى معرفة المزيد، وبعدها قد تصبح

فكرتك في البحث عن إيفانز مفيدة. ما الخطة رقم ٢؟".

"هذا الرجل باسينجتون فرينش - إنه يمثل النقطة الملموسة الوحيدة التي نستطيع أن نتحرك منها: فهو اسم غير شائع. سوف أسأل أبي؛ فهو يعرف أسماء كل العائلات المقيمة في هذه المنطقة وأقاربهم المنتشرين في المناطق المحيطة".

قال بوبي: "نعم، وربما ننجح في الوصول إلى شيء بهذه الطريقة".

"على أية حال، سوف نقوم بتصرف ما، أليس كذلك؟".

"بالطبع سنفعل. هل تظنين أنني سأقف مكتوف اليدين بعد أن حاولوا تسميمي بثماني حبات من المورفين؟".

قالت فرانكي: "هذه هي الروح المطلوبة".

رد بوبي: "علاوة على ذلك، يجب أن أمحو الإهانة التي تعرضت لها بسبب جهاز غسيل المعدة".

قالت فرانكي: "هذا يكفي، لأنك سوف تنطلق في الحديث بأسلوب مزعج وغير محتشم إذا لم أوقفك الآن".

قال بوبي: "إنك لا تمتلكين أي تعاطف أنثوي على الإطلاق!".

محظوظًا جدًا هذه المرة، لكنني قد لا أكون كذلك في المرة الثانية إذا غيروا أداة القتل إلى سكين حادة أو مسدس. لقد نويت أن أعتني بنفسي جيدًا في المستقبل، ولهذا يمكننا استبعاد فكرة "الطعم" هذه".

قالت فرانكي بتهيدة: "كنت أظن أنك ستقول هذا - إن شباب هذه الأيام خائرو العزيمة...هكذا يقول أبي؛ فهم لا يستمتعون بعدم الراحة وما عادوا يطيقون القيام بأمور خطيرة ومزعجة - يا له من شيء مؤسف!".

قال بوبي بلهجة حازمة: "شيء مؤسف للغاية - ما هي الخطة الثانية للهجوم؟".

قالت فرانكي: "أن نبدأ من عبارة "*لماذا لم يسألوا إيفانز؟*"، فمن المحتمل أن القتيل قد جاء إلى هنا لمقابلة إيفانز هذا. والآن، إذا كان بإمكاننا العثور على إيفانز....".

قاطعها بوبي قائلًا: "أتدرين كم شخصًا يدعى إيفانز في ماركيولت؟".

قالت فرانكي: "سبعمائة على ما أعتقد".

"على الأقل! ربما يمكننا القيام بشيء في هذه الناحية، لكني أشك في أننا سنصل إلى أي نتيجة".

"نستطيع وضع قائمة بكل من يُدعَون إيفانز، وتزور الأشخاص الأقرب للشبهة من بينهم".

"وعمّ ستسألهم؟".

قالت فرانكي: "هنا تكمن الصعوبة".

قال بوبي: "نحن بحاجة إلى معرفة المزيد، وبعدها قد تصبح

فكرتك في البحث عن إيفانز مفيدة. ما الخطة رقم ٢؟".

"هذا الرجل باسينجتون فرينش - إنه يمثل النقطة الملموسة الوحيدة التي نستطيع أن نتحرك منها: فهو اسم غير شائع. سوف أسأل أبي؛ فهو يعرف أسماء كل العائلات المقيمة في هذه المنطقة وأقاربهم المنتشرين في المناطق المحيطة".

قال بوبي: "نعم، وربما ننجح في الوصول إلى شيء بهذه الطريقة".

"على أية حال، سوف نقوم بتصرف ما، أليس كذلك؟".

"بالطبع سنفعل. هل تظنين أنني سأقف مكتوف اليدين بعد أن حاولوا تسميمي بثماني حبات من المورفين؟".

قالت فرانكي: "هذه هي الروح المطلوبة".

رد بوبي: "علاوة على ذلك، يجب أن أمحو الإهانة التي تعرضت لها بسبب جهاز غسيل المعدة".

قالت فرانكي: "هذا يكفي، لأنك سوف تنطلق في الحديث بأسلوب مزعج وغير محتشم إذا لم أوقفك الآن".

قال بوبي: "إنك لا تمتلكين أي تعاطف أنثوي على الإطلاق!".

www.liilas.com/vb3

الفصل ٩

بخصوص السيد باسينجتون فرينش

لم تصبح فرانكي وقتًا دون الانطلاق إلى هدفها. وشنت هجومها الأول على أبيها في نفس الليلة.

قالت فرانكي: "أبي، هل تعرف شخصًا يدعى باسينجتون فرينش؟".

لم يستوعب اللورد مارشينجتون ـ الذي كان مستغرقًا في قراءة مقال سياسي ـ سؤالها للوهلة الأولى.

وقال بحدة: "إن الأمريكان، لا الفرنسيين، هم من يرتكبون كل تلك الحماقات ويعتقدون كل هذه المؤتمرات فيضيعون وقت وأموال البلاد بلا طائل...".

حرصت فرانكي على أن تشتت عقله حتى وصل اللورد مارشينجتون ـ الذي كان ينطلق في الحديث كأنه قطار يجري فوق خط سكك حديدية جديد ـ إلى نقطة توقف.

ثم كررت عبارتها: "كنت أسأل عن آل باسينجتون فرينش".

قال اللورد مارشينجتون: "وماذا بشأنهم؟".

لم تكن فرانكى تدرى ماذا تريد أن تعرف بشأن تلك العائلة، لكنها ألقت بتصريح وهى تعرف جيدًا أن أباها يستمتع بالمعارضة:

"إنهم إحدى عائلات يوركشير، أليس كذلك؟".

"هراء - بل إحدى عائلات هاميشاير، وهناك فرع للعائلة يعيش فى مدينة شروبشاير بالطبع، وهناك فروع للعائلة فى أيرلندا. إلى أى فرع من العائلة ينتمى من تسألين عنه؟".

قالت فرانكى: "لست متأكدة".

"لست متأكدة؟ ماذا تقصدين؟ يجب أن تكونى متأكدة".

قالت فرانكى: "إن الناس يتدفعون فى الحديث هذه الأيام دون الاهتمام بذكر أسماء العائلات".

"يتدفعون...يتدفعون...هذا هو كل ما يفعله الناس! فى أيام شبابى كنا نسأل الناس عن أسماء عائلاتهم، وهكذا كان المرء يعلم جيدًا موضع قدميه؛ فإذا قال أحدهم إنه من فرع العائلة بمدينة هاميشاير يستطيع المرء أن يرد عليه : حسنًا جدًا، لقد تزوجت جدتك من ابن عم والدى - وهكذا نجد الرابط الذى يصلنا ببعض".

قالت فرانكى: "لابد أنه كان زمنًا جميلاً للغاية، لكن لا يوجد أى وقت لأبحاث النسب والجغرافيا هذه الأيام".

"كلا...لم يعد لديكم أى وقت هذه الأيام لأى شىء سوى تناول تلك المشروبات السامة".

أصدر اللورد مارشينجتون تأوهًا وهو يحرك ساقه المصابة

بالنقرس، والتى لم تتحسن حالتها كثيرًا بوضعها داخل محلول صنع من زجاجات الشراب الفارغة فى قبو المنزل.

قالت فرانكى: "أهى عائلة ثرية؟".

"أتقصدين آل باسينجتون فرينشر؟ لا أستطيع أن أجزم بذلك؛ فقد تعرض فرع العائلة بمدينة شروبشاير لمتاعب مالية شديدة، حسب ما أعتقد، بسبب ضريبة التركات وبعض الأسباب الأخرى. وقد تزوج أحد أفراد فرع العائلة بمدينة هاميشاير بوريثة لثروة ضخمة، وأظن أنها كانت امرأة أمريكية".

قالت فرانكى: "لقد جاء أحدهم إلى المنطقة مؤخرًا، وأظن أنه قد حضر للبحث عن منزل".

"يا لها من فكرة غريبة! وما الذى سيفعله أحدهم بمنزل فى هذه الناحية؟".

فكرت فرانكى: "هذا هو السؤال".

فى اليوم التالى، دلفت فرانكى إلى داخل مكتب ويلر وأوين - مسارى العقارات.

هب السيد أوين واقفًا لاستقبالها بنفسه؛ فمنحته فرانكى ابتسامة فاترة وجلست فوق أحد المقاعد.

"ماذا يمكننى أن أفعل من أجلك، ليدى فرانسيس؟ إننى لا أعتقد أنك تفكرين فى بيع القلعة على ما أفترض. ها! ها!"، وضحك السيد أوين إعجابًا بخفة ظله.

قالت فرانكى: "ليتنا نستطيع بيعها - كلا، فى الواقع، أظن أن صديقًا لى قد حضر إلى هنا منذ عدة أيام - يدعى السيد

باسينجتون فرينش - وكان يبحث عن منزل".

"آه نعم، بالفعل. إنني أتذكر هذا الاسم جيدًا. وهو ينطق بتخفيف الفاء!".

قالت فرانكي: "هذا صحيح".

"لقد سأل عن عدة منازل صغيرة تطل على البحر من أجل شراء أحدها. وكان مضطرًا للعودة إلى المدينة في اليوم التالي، ولهذا لم يتمكن من معاينة الكثير من المنازل. لكنني فهمت أنه ليس في عجلة من أمره، ومنذ رحيله ظهر منزل أو منزلان مناسبان بسوق العقارات، وقد أرسلت إليه التفاصيل الخاصة بكل منزل لكن لم يصلني أي رد منه".

تساءلت فرانكي: "هل أرسلت خطابك إلى عنوانه بلندن... أم...عنوان منزله الريفي؟".

قال: "دعيني أرَ". ثم نادى على كاتب شاب: "فرانك، أريد عنوان السيد باسينجتون فرينش".

رد الكاتب الشاب بطلاقة: "روجر باسينجتون فرينش، قصر ميروای كورت، ضاحية ستافيرلي، بمدينة هانتس".

قالت فرانكي: "آه إذن فهو لم يكن السيد باسينجتون فرينش الذي أقصده، ولابد أن هذا الرجل هو ابن عمه. لقد استغربت أن يكون السيد باسينجتون فرينش هنا ولا يأتي للبحث عني".

قال السيد أوين بتعقل: "أمر منطقي للغاية".

"لابد أنه قد حضر لمكتبك يوم الأربعاء، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح، قبل السادسة والنصف بقليل. إننا نغلق

مكتب في تمام السادسة والنصف، وأنا أتذكر الأمر بشكل خاص لأنه كان اليوم الذي وقع فيه ذلك الحادث المؤلم. لقد سقط أحدهم من فوق حافة الجرف، وقد بقي السيد باسينجتون فرينش بجوار الجثة حتى جاء رجال الشرطة. وقد بدا منزعجًا بشدة عندما حضر إلى هنا. لقد كانت مأساة حزينة وإنذارًا متأخرًا بضرورة وضع حاجز للرصيف عند تلك المنطقة، ودعيني أخبرك، ليدي فرنسيس، أن مجلس المدينة قد تعرض لانتقادات شديدة؛ فهي منطقة خطيرة، وأنا لا أفهم لماذا لم تتعرض تلك المنطقة لحوادث أخرى عديدة من قبل".

قالت فرانكي: "إنه أمر غير مفهوم بالفعل".

غادرت فرانكي المكتب وهي غارقة في تأملاتها؛ فقد بدت كل أفعال السيد باسينجتون فرينش واضحة وفوق مستوى الشبهات، كما تنبأ بوبي تمامًا. لقد كان الرجل أحد أبناء فرع عائلة باسينجتون فرينش في هاميشاير، وقد منح مكتب سمسار العقارات عنوانه الحقيقي، بل إنه ذكر دوره في الحادث أمام السمسار؛ فهل من الممكن أن يكون السيد باسينجتون فرينش شخصًا بريئًا للغاية كما يبدو من تصرفاته؟".

أحست فرانكي ببذرة من الشك تتغرس في قلبها، لكنها سرعان ما اقتلعتها بقوة وهي تقول لنفسها: "كلا، إن رجلاً يريد شراء منزل صغير كان سيفضل أحد أمرين: إما أن يذهب إلى سمسار العقارات في وقت مبكر من اليوم، أو يبقى في المنطقة حتى اليوم التالي، وليس من المعقول أن يذهب أحدهم إلى سمسار عقارات في السادسة والنصف مساءً

ثم يسافر إلى لندن فى صباح اليوم التالى. ولماذا يسافر إلى المنطقة من الأساس؟ لم لَمْ يكتف بإرسال خطاب إلى سمسار العقارات؟".

وأخيرًا قررت: أن ياسينجتون فريتش واحد من المجرمين. كانت وجهتها التالية هى قسم الشرطة.

كان المفتش ويليامز أحد معارف فرانكى؛ حيث نجح يومًا فى تعقب خادمة مجهولة العنوان كانت قد هربت من القلعة بعد أن سرقت بعض مجوهرات فرانكى.

"مساء الخير أيها المفتش".

"مساء الخير، ليدى فرانسيس. أتمنى ألا يكون هناك ما يسوء".

"ليس بعد، لكننى أفكر فى السطو على أحد البنوك؛ لأننى أعانى من ضائقة مالية!".

أطلق المفتش ضحكة مجلجلة تنبئ عن معرفته السابقة بخفة ظل فرانكى.

قالت فرانكى: "فى الواقع، لقد جئت أطرح عليك بعض الأسئلة التى تثير فضولى".

"أهذا هو الأمر، ليدى فرانسيس؟".

"والآن أخبرنى، أيها المفتش، عن الرجل الذى سقط من فوق حافة الجرف ـ بريتشارد، أو أيًا كان اسمه...".

"اسمه بريتشارد بالفعل".

"لقد كانت معه صورة واحدة فى جيبه، أليس كذلك؟ لقد أخبرنى أحدهم أنه كان يحمل ثلاث صور!".

قال المفتش: "صورة واحدة فقط، وكانت تخص شقيقته، وقد حضرت شقيقته وتعرفت على جثته".

"يا له من شىء سخيف أن يدعى أحدهم وجود ثلاث صور!".

"أوه! هذا أمر سهل يا سيدتى. إن مراسلى الصحف لا يكترثون كثيرًا بحجم المبالغات التى ينشرونها، وكثيرًا ما يخطئون فهم الموضوع بالكامل".

قالت فرانكى: "أعلم ذلك، وقد سمعت قصصًا خيالية عن الحوادث". صمتت فرانكى للحظة ثم بدأت تطلق العنان لخيالها: "لقد سمعت أن جيوب الرجل كانت محتشة بمستندات تثبت أنه جاسوس شيوعى، وهناك قصة أخرى تقول إن جيوبه كانت مليئة بالمخدرات، وقصة أخرى تفيد بأن جيوبه كانت مكتظة بعملات نقدية مزيفة".

ضحك المفتش بعلو شدقيه.

وقال: "هذه قصة لطيفة".

"أظن أن جيوبه لم تكن تحوى سوى الأشياء المعتادة".

"بل وقلة منها: فقد كان هناك منديل غير معبز الشكل، وبعض العملات الصغيرة، وعلبة سجائر، وعدد قليل من الأوراق البنكية ـ غير موضوعة فى حقيبة، لكن لم تكن معه أى خطابات، وقد كان من الممكن أن نعانى الأمرّين فى التعرف على شخصيته لو لم تكن معه تلك الصورة ـ يمكن تسمية هذا الأمر تدخلًا من العناية الإلهية!".

قالت فرانكى: "لعله كان كذلك".

وطبقًا لمعلوماتها الخاصة، اعتبرت فرانكي عبارة "تدخلًا من العناية الإلهية" غير مناسبة للموقف؛ فقالت فرانكي وهي تحاول أو تدبر دفة المحادثة:

"لقد ذهبت لزيارة السيد روبرت جونز، ابن الموفر جونز، بالأمس ـ ذلك الشاب الذي تعرض لحادث تسمم. يا لها من قصة شديدة الغرابة!".

قال المفتش: "آه! هذه بالتأكيد قصة شديدة الغرابة، ولم أسمع بقصة مثلها من قبل؛ فهو شاب لطيف وكريم الأصل وليس له عدو واحد في هذا العالم. أتعلمين، لدي فرانسيس! هناك أحداث غريبة تجري هذه الأيام. على أية حال، أنا لم أسمع يومًا بقاتل مجنون يتصرف بهذه الطريقة".

"أهناك أية أدلة تشير إلى مرتكب الجناية؟".

كانت فرانكي تتساءل وعيناها مفتوحتان عن آخرهما.

وأضافت: "إن المرء ليشعر بالإثارة وهو يسمع كل هذا!".

ظهرت أمارات الرضا على وجه المفتش، وبدا أنه يستمتع كثيرًا بتلك المحادثة الودية مع ابنة أحد اللوردات، وكان ما زاد من استمتاعه هو أن الليدي فرنسيس لم تكن يومًا فتاة متهورة أو مغرورة.

قال المفتش: "لقد شوهدت إحدى السيارات بالقرب من المنطقة التي وجد بها السيد روبرت، وكانت سيارة زرقاء داكنة من طراز تالبوت، وقد ذكر شاهد عيان كان يقف على زاوية شارع لوك أنه رأى سيارة زرقاء داكنة من طراز تالبوت ورقمها (جي.جي٨٢٨٢) تسير باتجاه سانت بوتولف".

"وهل تعتقد أن...؟".

"إن (جي.جي٨٢٨٢) هو رقم سيارة أحد رجال الدين بمدينة سانت بوتولف".

ظلت فرانكي لدقيقة أو اثنتين تقلب في عقلها فكرة وجود رجل دين قاتل متخصص في قتل أبناء رجال الدين، لكنها رفضت الفكرة وهي تطلق تنهيدة تعبر عن خيبة الأمل.

وقالت: "لست أظن أنك تشتبه في هذا الرجل، أليس كذلك؟".

"لقد اكتشفنا أن سيارته لم تغادر مرآب القصر طوال فترة مساء ذلك اليوم".

"إذن فقد كان رقمًا خاطئًا".

"نعم، لكن ما زال لدينا وصف السيارة الصحيح".

وقفت فرانكي استعدادًا للرحيل وقد ارتسمت على وجهها تعبيرات الإعجاب، ولم تكلف نفسها عناء إصدار تعليق يوحي بخيبة الأمل، لكنها قالت لنفسها:

"لابد أنه يوجد عدد كبير من السيارات التالبوت ذات اللون الأزرق الداكن في إنجلترا!".

وعندما عادت إلى القلعة، أخذت دليل الهاتف الخاص بمدينة ماركيولت من موضعه على طاولة الكتابة بحجرة المكتبة وحملته إلى غرفتها، وظلت تبحث في الدليل لعدة ساعات.

لكن النتيجة لم تكن مرضية.

لقد كان هناك أربعمائة واثنان وثمانون شخصًا يحملون اسم "إيفانز" في مدينة ماركيولت.

صاحت فرانكي: "اللعنة!".

ثم بدأت تعد الخطط من أجل المستقبل.

الفصل ١٠

تدبير حادث

انضم بوبى إلى بادجر فى لندن فى الأسبوع التالى، وكان بوبى قد تلقى عدة مراسلات غامضة من فرانكى، وكانت معظمها مكتوبة بخط يد أشبه بالخربشة غير المقروءة لدرجة أن بوبى لم يتمكن من القيام بما هو أكبر من تخمين معناها. على أية حال، كانت الفكرة العامة هى أن فرانكى لديها خطة وأن عليه (بوبى) ألا يفعل أى شىء حتى تتصل به. وقد رحب بوبى كثيرًا بذلك الطلب لأنه لم يكن بمقدوره فعل أى شىء. حيث إن بادجر كان قد ورط نفسه ومشروعه فى متاعب جمة بكل الطرق الممكنة وغير الممكنة. وظل بوبى مشغولًا ليلًا ونهارًا فى محاولة لترتيب الفوضى غير العادية التى سببها صديقه.

وفى تلك الفترة، بقى بوبى متيقظًا وحذرًا للغاية؛ فقد كان تأثير ثمانى جرعات من المورفين كافيًا لجعل من تعرض لتسممه بها شديد التشكك فى الطعام والشراب ودفعه إلى أن يحضر إلى لندن مسدسه العسكرى الذى كان ينزعج بشدة من

فكرة حمله.

وعندما كان بوبي على وشك أن يشعر بأن المسألة كلها كانت مجرد كابوس استثنائي، رأى السيارة البنتلي الخاصة بفرانكي تقطع الطريق بصوتها المزعج ثم تتوقف خارج الورشة. خرج بوبي لاستقبال السيارة وهو يرتدي ثياب العمل المتسخة بالزيوت، وكانت فرانكي تجلس خلف عجلة القيادة وبجانبها شاب كثيف الملامح.

قالت فرانكي: "مرحبًا ـ هذا جورج أربثنوت. إنه طبيب، وسوف نحتاج إليه؟".

أجفل بوبي قليلًا بينما كان يتبادل مع جورج إيماءات تعارف بسيطة.

وقال متسائلًا: "هل أنت متأكدة من أننا سنحتاج إلى طبيب؟ ألا ترين أنك متشائمة بعض الشيء؟".

قالت فرانكي: "أنا لم أقصد أننا سنحتاج إليه بصفته طبيبًا، بل إنني أحتاج إليه من أجل خطة أعمل على تنفيذها. اسمع، ألا يوجد مكان نستطيع التحدث فيه؟".

نظر بوبي إلى المكان من حوله.

وقال بتشكك: "حسنًا، هناك غرفة نومي".

ردت فرانكي: "ممتاز".

ثم خرجت من السيارة وسارت ـ هي وجورج أربثنوت ـ وراء بوبي الذي صعد سلمًا خارجيًا يؤدي إلى حجرة نوم صغيرة الحجم.

قال بوبي وهو يقلب عينيه في أرجاء الحجرة: "لا أدري إن

كان هناك مكان تستطيعان الجلوس فيه".

وحقيقة لم يكن هناك مكان للجلوس؛ فقد كان الكرسي الوحيد بالحجرة مكتظًا بما بدا واضحًا أنه كل محتويات خزانة ملابس بوبي.

قالت فرانكي: "يمكننا الجلوس على السرير".

ثم ألقت بثقلها فوق السرير، وفعل جورج أربثنوت الشيء نفسه، فأصدر السرير صريرًا بدا وكأنه صرخة احتجاج.

قالت فرانكي: "لقد خططت لكل شيء. في البداية سنحتاج إلى سيارة ـ إحدى سيارات المرآب ستفي بالغرض".

قال بوبي: "أتقصدين أنك تريدين شراء إحدى سياراتنا؟".

"نعم".

قال بوبي بامتنان واضح: "هذا لطف بالغ منك يا فرانكي، لكن لا يجب عليك القيام بذلك؛ هأنا بالفعل أرفض أن أخدع أصدقائي".

قالت فرانكي: "لقد فهمت الأمر بشكل خاطئ تمامًا مع أنه ليس كما تتخيله على الإطلاق. أنا أعرف ما تقصد ـ إنك تظن أن الأمر أشبه بابتياع ملابس وقبعات رديئة التصميم من إحدى صديقاتي عندما تفتتح متجرًا للملابس. إنه شيء مزعج بالفعل، لكن لابد من القيام به لمساعدة الأصدقاء. وعلى كل حال، فالمسألة لا علاقة لها بهذه الفكرة من قريب أو بعيد ـ إنني فعلًا بحاجة إلى سيارة".

"وماذا عن سيارتك البنتلي؟".

"البنتلى لا تصلح".

قال بوبى: "أنت مجنونة".

"كلا. لست كذلك. فالبنتلى لن تصلح للغرض الذى أريد السيارة لأجله".

"وما هو ذلك الغرض؟".

"أن أحطمها".

تأوه بوبى ووضع إحدى يديه على جبهته.

وقال: "إننى لا أشعر بأننى بخير هذا الصباح".

وعندئذ تحدث جورج أريشوت للمرة الأولى، وقد خرج صوته عميقًا وكئيبًا:

"إنها تعنى أنها ستتعرض لحادث".

قال بوبى باستغراب: "وكيف علمت بذلك؟".

أطلقت فرانكى تنهيدة سخط.

وقالت: "بطريقة أو بأخرى - يبدو أننا قد بدأنا بداية خاطئة. والآن استمع إلىّ بهدوء يا بوبى وحاول أن تستوعب ما سأقوله لك. إننى أعلم أن عقلك فى إجازة طويلة، لكن بإمكانك أن تفهم ما سأقوله إذا ركزت جيدًا!".

وتوقفت للحظة ثم أكملت.

"إننى أتعقب باسينجتون فرينش".

"اسمعى... اسمعى".

"إن باسينجتون فرينش - وأقصد باسينجتون فرينش الذى تعرفه - يعيش بمنزل ميروای كورت بقرية ستافيرلى - إحدى قرى مدينة هامبشاير. ومنزل ميروای كورت ملك لشقيق

باسينجتون فرينش، ويعيش صديقنا باسينجتون فرينش هناك مع أخيه وزوجته".

"زوجة من؟".

"زوجة الأخ بالطبع، هذه ليست النقطة المهمة؛ فالنقطة المهمة هى كيف يمكن لك أو لى أو لكلينا أن نجد طريقة لحظنا ذلك القصر. لقد ذهبت إلى هناك واستكشفت المنطقة المحيطة بالمنزل. إن ستافيرلى قرية تقليدية محدودة السكان، وهذا يعنى أن وصول غرباء للإقامة بها سيكون أمرًا مكشوفًا للجميع ومسألة غير منطقية لا يقوم بها أى عاقل، ولهذا فقد وضعت خطة، وهذه هى خطوطها العريضة: بينما تقود الليدى فرنسيس ديرووينت سيارتها بإهمال زائد عن الحد تصطدم بالسور القريب من بوابة منزل ميروای كورت، وينتج عن الحادث تحطم كامل للسيارة، وغيبوبة وهمية للآنسة فرنسيس، التى تحمل إلى المنزل وهى تعانى من ارتجاج فى المخ وصدمة عصبية مما يستوجب عدم تحركها مطلقًا".

"ومن الذى سيقول هذا؟".

"جورج - أرأيت الآن دور جورج فى الخطة؟ لا يمكننا أن نخاطر بأن يفحصنى طبيب غريب ويقول إنه لا يوجد أى عطب بجسمى، أو قيام شخص فضولى بحمل جسمى الهزيل ونقلى إلى المستشفى المحلى. كلا. فما سيحدث هو كالآتى: يمر جورج بالمكان، وهو يقود سيارته (من الأفضل أن تتبع لنا سيارة أخرى) ثم يرى الحادث، فيقفز خارج سيارته ويتولى زمام الأمور قائلًا: "أنا طبيب - تراجعوا للوراء من فضلكم

(هذا إن تواجد أي شخص في موضع الحادث)، يجب أن نقوم بنقلها إلى ذلك المنزل - أي منزل هذا، ميروای كورت؟ سوف يكون كافيًا للقيام بفحص شامل لحالتها". وهكذا يتم حملي إلى أفضل غرفة شاغرة بالمنزل، وسواء كان آل باسينجتون فرينش متعاطفين أو ممانعين بشدة، فسوف يغلبهم جورج على أمرهم. وعليه فسوف يقوم جورج بالفحص الشامل ثم يخرج من الغرفة ويدلي بتشخيصه. "لحسن الحظ الحالة ليست بالخطورة التي تصورتها؛ فلا توجد عظام مكسورة، لكنَّ هناك احتمالاً لوجود ارتجاج بالمخ، ولهذا لا يجب تحت أي ظرف أن أغادر الفراش لمدة يومين أو ثلاثة أيام، وبعد ذلك، سأصبح قادرة على العودة إلى لندن. وبعدها يغادر جورج المكان وتصبح مسألة كسب ود أهل المنزل متروكة لبراعتي".

"ومتى أظهر في الأحداث؟".

"لن تظهر".

"اسمعي...".

"يا طفلي العزيز، تذكر أن باسينجتون فرينش يعرفك، أما أنا فلم يقابلني مطلقًا ولا يعرف عني شيئًا، علاوة على أنني في موقف قوي للغاية لأن لدي لقبًا رسميًا - أرأيت كيف تقنع الألقاب في بعض المواقف؟ وبالنسبة لهم، لن أكون شابة شاردة تحاول الدخول إلى المنزل لأسباب غامضة، وإنما سينظرون إليّ باعتباري ابنة أحد اللوردات، ولهذا فسوف يعاملونني باحترام شديد. أما بالنسبة لجورج؛ فهو طبيب حقيقي ولهذا ستبدو الأمور فوق مستوى الشبهات".

قال بوبي بتعاسة: "أوه! أظن أنك على حق".

قالت فرانكي بنبرة زهو: "أعتقد أنها خطة محكمة للغاية".

تساءل بوبي: "ألن يكون لي أي دور على الإطلاق؟".

شعر بوبي بجرح ينهش قلبه - وكأنه كلب حُرم من عظمة بشكل غير متوقع. لقد كان يشعر بأنه من اكتشف هذه الجريمة، وها هو الآن يُستبعَد من الأحداث.

"بالطبع سيكون لك دور يا عزيزي - سوف تربي شاربك".

"أوه! أربي شاربي، أحقًا؟".

"نعم. كم سيستغرق ذلك من وقت؟".

"أسبوعين أو ثلاثة أسابيع، على ما أعتقد".

"يا إلهي! لم يكن لدي فكرة أن الأمر يستغرق كل هذا الوقت. ألا يمكنك تسريع العملية قليلاً؟".

"كلا، لم لا أنمي شاربًا مستعارًا؟".

"الآن الشوارب المستعارة تبدو مزيفة، وكثيرًا ما تفلت من أحد الجوانب أو تسقط من فوق الوجه أو تبدو رائحتها كرائحة الغراء اللاصق، ولكن انتظر لحظة. أعتقد أن هناك نوعًا من الشوارب المستعارة تستطيع لصقه فوق شعر الشارب الطبيعي ولا يمكن اكتشافه على الإطلاق، وأظن أن صانع الشعر المستعار بأحد المسارح يستطيع أن يجهز لك شاربًا كهذا".

"من المحتمل أن يظن أنني هارب من العدالة".

"ليس مهمًا ما يظنه".

"وماذا أفعل بعد أن أحصل على الشارب المستعار؟".

"ارتد زي سائق وقم بقيادة السيارة البنتلي إلى قرية

سنافيرلي".

قال بوبي ـ وقد تهللت أساريره: "أوه، فهمت".

فأردفت فرانكي: "أترى، هذه هي فكرتي: لا أحد ينظر إلى سائق بنفس الطريقة التي ينظر بها إلى شخص عادي. وعلى أية حال، لقد رآك باسينجتون فوينش لدقيقة أو اثنتين ولابد أنه كان مرتبكًا جدًا وهو يفكر فيما إذا كان باستطاعته أن يبدل الصورة في وقت مناسب، ولقد كنت بالنسبة له مجرد شاب أحمق يلعب الجولف، ولم يكن الموقف كما حدث مع آل كايمان الذين جلسا أمامك وتحدثا إليك وكانا يحاولان عمدًا دراسة شخصيتك جيدًا. إنني أراهن بكل ما أملك أنه لو رآك باسينجتون فوينش في زي سائق، ما كان ليتعرف عليك حتى بدون شاربك. ربما كان يفكر أن وجهك يذكره بوجه شخص ما ـ وليس أكثر من ذلك. ومع وجود الشارب المستعار سوف تسير الأمور بأمان تام. والآن أخبرني، ما رأيك في خطتي؟".

قلب بوبي الخطة في عقله للحظات.

وقال بصراحة: "أصدقك القول يا فرانكي! أعتقد أنها خطة جيدة".

قالت فرانكي بحيوية: "في هذه الحالة، هيا بنا نذهب لنبتاع بعض السيارات. بالمناسبة، أظن أن جورج قد كسر سريرك".

قال بوبي بلطف: "لا يهم، فلم يكن سريرًا جيدًا من الأساس".

ونزلوا جميعًا إلى الورشة حيث قابلهم شاب عصبي

المظهر، صغير الذقن بشكل لافت وتعلو وجهه ابتسامة لطيفة، وقد حياهم قائلًا: "مرحى...مرحى!". كان مظهره العام مثيرًا قليلًا نظرًا لحقيقة أن عينيه كان بينهما تباعد واضح وهما تنظران إلى نفس الاتجاه.

قال بوبي: "مرحبًا يا بادجر ـ أنت تتذكر فرانكي، أليس كذلك؟".

لم يكن بادجر يتذكر فرانكي بوضوح، لكنه قال بأسلوب ودي: "طبعًا...طبعًا!".

قالت فرانكي: "في آخر مرة رأيتك، كنت منغرسًا في الطين رأسًا على عقب وكان علينا أن نجذبك من قدميك".

قال بادجر: "كلا، لماذا تقولين ذلك؟ لماذا...لابد أن ذلك كان...كان... و...و...والاس".

قالت فرانكي: "هذا صحيح ـ لقد كان والاس".

قال بادجر: "لقد كنت دائمًا لا...لا... أجيد ركوب الخيل".

ثم أضاف بحزن: "وما زل...زل... زلت كذلك".

قال بوبي: "إن فرانكي تريد شراء سيارة".

فردت فرانكي: "سيارتين ـ فلابد أن يكون لدى جورج سيارة أيضًا؛ فسيارته محطمة في الوقت الحالي".

قال بوبي: "نستطيع أن نؤجر له إحدى سياراتنا".

قال بادجر: "حسنًا، تفضلا لرؤية السيارات التي لد... لدينا".

قالت فرانكي، وهي منبهرة بالتدرج الصارخ في ألوان السيارات ما بين القرمزي والأخضر الفاتح: "إن السيارات

تبدو أنيقة للغاية".

فرد بوبى بتجهم: "إنها تبدو على ما يرام".

قال بادجر: "هذه السن...السيارة بحالة جيدة جدًا بالنسبة لسيارة كرايسلر مست ...مستعملة".

فقال بوبى: "كلا، هذه السيارة غير مناسبة، أيًا كانت السيارة التى ستشتريها، فلابد ألا تقل سرعتها عن أربعين ميلًا فى الساعة".

صوب بادجر إلى شريكه نظرة توبيخ.

وقال بوبى بتفكير: "إن السيارة الستاندرد فى حالة سيئة للغاية، ولكننى أعتقد أنها كافية لإيصالك إلى هدفك، أما الإيسيكس فهى فى حالة أفضل كثيرًا ولكنها تناسب الغرض المطلوب، وسوف تسير لمسافة مائتى ميل على الأقل قبل أن تتعطل".

قالت فرانكى: "حسنًا جدًا، سوف أشترى الستاندرد".

جذب بادجر شريكه إلى جانب قريب.

وتمتم قائلًا: "ما...ما رأيك فى السن...السعر؟ لا أريد أن أنق...أتقاضى من أحد أصدقائك مبلغًا كبيرًا - ما رأيك فى عش...عشرة جنيهات؟".

قالت فرانكى، وهى تتدخل فى المناقشة: "عشرة جنيهات ثمن مناسب، وسوف أدفع ثمن السيارة الآن".

تساءل بادجر بصوت أقرب للهمس: "من تكون حقًا؟".

فهمس له بوبى ببعض الكلمات.

فقال بادجر باحترام: "هذه هى المرة الأ...الأولى التى أرى

فيها شخصًا يحمل لق...لقبًا رسميًا وبس...ويستطيع الدفع نقدًا".

تحول بوبى بـ فرانكى وجورج عند السيارة البيضاء المتوقفة بالخارج.

وتساءل: "متى تنوين تنفيذ خطتك هذه؟".

فقالت فرانكى: "كلما أسرعنا كان ذلك أفضل، ولهذا فرأينا تنفيذها فى عصر الغد".

"اسمعى، ألا يمكننى التواجد هناك؟ سوف أضع لحية مستعارة إذا أردت".

قالت فرانكى: "قطعًا لا، فربما تفسد اللحية كل شىء إذا سقطت عن وجهك فى وقت غير مناسب، ولكننى لا أرى أى مانع فى أن تكون هناك دراجة بخارية يرتدى قبعة كبيرة ونظارة واقية ضخمة. ما رأيك يا جورج؟".

تحدث جورج أربثنوت للمرة الثانية قائلًا:

"حسنًا...كلما زاد العدد، زاد المرح".

وخرج صوته أشد كآبة عن ذى قبل.

www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3

الفصل ١١

تنفيذ الحادث

تم تحديد نقطة تجمع فريق تنفيذ الحادث العظيم عند منطقة تبعد عن قرية ستافيرلى بمسافة ميل. وهى المنطقة التى يتفرع فيها الطريق المؤدى إلى القرية من الطريق العام المؤدى لمدينة كندوفر.

وصل ثلاثتهم إلى هناك بسلام، برغم أن سيارة فرانكى، الستاندرد، كانت تظهر علامات ضعف واضحة عند كل تل تعبره.

وكان موعد اللقاء هو الواحدة تمامًا.

وكانت فرانكى قد قالت: "لا نريد أن يقاطعنا أحد أثناء التخطيط للحادث. ورغم أنى أعتقد أنه نادرًا ما يمر أحد بهذا الطريق، فإن اختيار وقت الغداء سيجعلنا فى أمان تام".

وسارا لمسافة نصف ميل فوق الطريق الجانبى ثم أشارت فرانكى إلى المكان الذى اختارته لتنفيذ حادث الاصطدام.

وقالت: "لا يوجد مكان أفضل من هذا ـ إن الطريق يسير

بشكل مستقيم أثناء هبوطه من فوق هذه الهضبة. ثم ينعطف ـ كما ترون ـ بشكل حاد ومفاجئ حول الجزء الناتئ من السور. وهذا السور هو سور منزل ميرواى كورت. وإذا أشعلنا محرك السيارة وتركناها تهبط من فوق التل بتأثير قوة الدفع فسوف تصطدم بالسور وينتج عن ذلك تحطم كامل للسيارة".

قال بوبى موافقًا: "أظن أنك على حق. لكن لابد من تواجد أحدنا عند زاوية الطريق لكى يتأكد من عدم قدوم أحدهم من الاتجاه المعاكس".

قالت فرانكى: "هذا صحيح. نحن لا نريد أن نورط شخصًا آخر فى الحادث وربما نعرض حياته لخطر الموت أو العجز التام. يمكن لجورج أن يأخذ سيارته إلى هناك ويديرها بحيث يبدو كأنه كان قادمًا من الاتجاه العكسى. وعندما يلوح لنا بمنديله، سوف نتأكد من أن الطريق خال تمامًا".

قال بوبى بقلق: "إنك تبدين غاية فى الشحوب يا فرانكى. هل أنت واثقة من أنك بخير؟"

قالت فرانكى موضحة: "لقد وضعت مساحيق تجميل تجعلنى أبدو شاحبة الوجه. لا أظنك تتوقع أن أحمل إلى المنزل ووجهى متورد بالصحة والحيوية".

قال بوبى بنبرة تقدير: "كم أن النساء مخلوقات رائعة! إنك تبدين تمامًا مثل فرد مريض".

قالت فرانكى: "أعتقد أنك فظ للغاية. والآن سوف أذهب للوقوف بجوار البوابة المفضية إلى منزل ميرواى كورت. وهى تقع عند هذا الجانب من التنوء. ولحسن الحظ لا يوجد كوخ

لحارس البوابة. عندما يلوح جورج بمنديله وألوح أنا بمنديلى، تبدأ فى دفع السيارة من فوق التل".

قال بوبى: "سوف أبقى عند عتبة السيارة لتوجيهها على الطريق. وعندما تتزايد سرعتها كثيرًا، سوف أقفز منها".

قالت فرانكى: "لا تؤذ نفسك".

"سأكون حريصًا جدًا على ألا يحدث ذلك؛ فحدوث حادث حقيقى عند موضع حادث مزيف سوف يعقد الأمور بشدة".

قالت فرانكى: "حسنًا. انطلق يا جورج".

أومأ جورج برأسه، وقفز داخل السيارة الثانية وانطلق بها ببطء هابطًا التل، ووقف بوبى وفرانكى ينظران إليه.

وقال بوبى بخشونة مفاجئة: "سوف... تعتنين بنفسك، أليس كذلك يا فرانكى؟ أقصد... لا ترتكبى أى تصرف أحمق".

"سوف أكون بخير... وألتزم الحذر التام. بالمناسبة، أظن أنه من الأفضل ألا أكتب لك بشكل مباشر. ولذلك سأرسل رسائلى إلى جورج أو إلى خادمتى أو إلى شخص آخر لكى يوصلها إليك".

"إننى أتساءل عما إذا كان جورج سينجح فى مهمته كطبيب!".

"ولم لا ينجح؟".

"حسنًا، لا يبدو عليه أنه قد اكتسب بعد أسلوب رعاية المرضى والتحدث اللبق معهم".

قالت فرانكى: "أعتقد أنه سيتصرف بشكل جيد، ومن الأفضل أن أنطلق الآن. سوف أعلمك بالموعد الذى أريد منك

أن تحضر فيه بالسيارة البنتلى إلى هنا".

"سوف أنشغل بمسألة الشارب المستعار حتى ذلك الحين. أراك قريبًا يا فرانكى".

وتبادلا النظرات للحظة، ثم أومأت فرانكى وبدأت تسير إلى أسفل التل.

كان جورج قد أدار السيارة ثم أعادها إلى الوراء خلف الجزء البارز من السور.

اختفت فرانكى للحظة ثم عادت للظهور على الطريق وهى تلوح بمنديلها، وظهر تلويح آخر بمنديل عند المنعطف الواقع فى أسفل الطريق.

عندئذ حرك بوبى ناقل التروس إلى التعشيقة الثالثة، ثم حرر المرامل وهو يقف على عتبة الباب. تحركت السيارة بصعوبة إلى الأمام، وقد منعتها تروس التعشيق من الاندفاع، لكن كانت زاوية انحدار التل حادة بما يكفى لإدارة المحرك. وبدأت السيارة تتحرك بسرعة أكبر، وظل بوبى يوجه عجلة القيادة. وفى آخر لحظة ممكنة، قفز من السيارة.

اندفعت السيارة تهبط التل وارتطمت بالسور بقوة مناسبة، وسارت الأمور على ما يرام ـ وتم تنفيذ الحادث بنجاح!

رأى بوبى فرانكى وهى تركض بسرعة إلى موقع الحادث وتضع نفسها وسط حطام السيارة، ودار جورج بسيارته حول زاوية السور ثم أوقفها بالقرب من حطام السيارة.

اعتلى بوبى دراجته البخارية وهو يطلق تنهيدة، ثم انطلق مبتعدًا باتجاه لندن.

وفى موقع الحادث كان جورج وفرانكى مشغولين فى وضع اللمسات الأخيرة.

تساءلت فرانكى: "هل أتمرغ فى الأرض قليلًا لكى تتسخ ملابسى بالأتربة؟".

قال جورج: "حسنًا، لا بأس فى ذلك. والآن، أعطينى قبعتك".

تناول جورج القبعة وأحدث بها تجويفًا كبيرًا، وأطلقت فرانكى صيحة امتعاض مكتومة.

فقال جورج موضحًا: "هذا هو الدليل على حدوث ارتجاج الشج. والآن، استلقى أرضًا فى نفس موضعك؛ فأنا أعتقد أننى سمعت جرس دراجة".

وفى نفس تلك اللحظة، ظهر من وراء الزاوية فتى فى السابعة عشرة من العمر يقود دراجته وهو يطلق صفيرًا مستمرًا. توقف الفتى على الفور، وقد راقه المنظر الفريد الذى رأته عيناه.

تمتم الفتى: "مرحى! هل وقع حادث تصادم؟".

رد جورج بسخرية: "كلا، لقد صدمت تلك الشابة سيارتها بالسور عن قصد".

تقبل الشاب ـ كما كان متوقعًا ـ تعليق جورج على أنه نوع من الرد الساخر وليس الحقيقة المجردة، وأجاب بتلذذ: "تبدو بحالة سيئة، أليس كذلك؟ هل هى ميتة؟".

قال جورج: "ليس بعد، ولهذا يجب نقلها إلى أقرب مكان ممكن. أنا طبيب. ما ذلك المكان هناك؟".

"هذا منزل ميروای كورت، وهو يخص السيد باسينجتون فرينش، إنه قاضى الصلح بالمنطقة".

قال جورج بلهجة آمرة: "يجب نقلها إلى هناك على الفور. هيا، اترك دراجتك وساعدنى فى حملها".

ركن الفتى دراجته إلى جوار السور، وتقدم طائعًا فرحًا لمد يد العون، وتعاون جورج والفتى على حمل فرانكى وسارا بها فى الطريق المؤدى إلى منزل لطيف عتيق الطراز، يشبه قصور الإقطاعيين.

بدا وكأن تقدمهما إلى المنزل كان موضع مراقبة؛ حيث تقدم خادم عجوز إلى الباب لمقابلتهم.

قال جورج بجفاف: "لقد وقع حادث تصادم ـ أهناك غرفة يمكننى حمل تلك الشابة إليها؟ إنها بحاجة إلى عناية فورية".

تراجع الخادم إلى ردهة المنزل بأسلوب مرتبك، وتبعه جورج والفتى عن قرب، وهما لا يزالان يحملان جسد فرانكى المترهل، ثم دلف الخادم إلى غرفة على يسار الردهة. ومن نفس الغرفة خرجت امرأة طويلة، حمراء الشعر، زرقاء العينين بلون السماء الصافية، وتبلغ من العمر حوالى الثلاثين.

تعاملت المرأة مع الموقف الطارئ بسرعة كبيرة.

فقالت: "هناك غرفة نوم إضافية فى الطابق الأرضى. هلا حملتماها إلى هناك؟ هل أتصل بطبيب؟".

قال جورج موضحًا: "أنا طبيب. كنت مارًّا بسيارتى من المنطقة ورأيت وقوع الحادث".

"أوه! هذا من حسن حظها ـ تفضلا من هنا من فضلكما".

ثم قادتهما إلى داخل غرفة لطيفة بها نافذة تطل على حديقة المنزل.

تساءلت المرأة: "هل إصابتها بالغة؟".

"لا أستطيع أن أجزم بذلك قبل فحصها".

فهمت السيدة باسينجتون فرينش تلميحه وتراجعت إلى خارج الغرفة، ورافقها الفتى وانطلق يصف وقائع الحادث بإسهاب وكأنه كان شاهد عيان على وقوعه.

"لقد اصطدمت بالسور بمنتهى السرعة... فتحطمت سيارتها تمامًا... وعندما اقتربت من الحطام وجدتها ملقاة على الأرض وقد انبعجت قبعتها تمامًا، وكان ذلك السيد يمر بسيارته بالقرب من المكان و.....

واستمر الفتى يصف ما حدث من وحى خياله حتى تخلصت منه السيدة بأن أعطته شلنًا كمكافأة.

وفى تلك الأثناء كان جورج وفرانكى يتحادثان بصوت هامس.

"عزيزى جورج، لا أظن أن هذا الأمر قد يؤثر على مستقبلك المهنى، أليس كذلك؟ لا أظنهم سيشطبون اسمك من سجلات الأطباء أو يسحبون منك رخصة مزاولة المهنة، أم تراهم سيفعلون ذلك؟".

قال جورج بتجهم: "هذا أمر محتمل إذا خرج هذا الأمر من على الكتمان".

قالت فرانكى: "لن يحدث هذا، فلا تقلق يا جورج، إننى لن

أتخلى عنك أو أخذلك"، ثم أضافت بلطف: "لقد أديت عملًا رائعًا. إننى لم أسمعك تتحدث كثيرًا كما فعلت اليوم".

تنهد جورج ونظر إلى ساعته.

وقال: "سوف أتظاهر بأننى مازلت أقوم بعملية الفحص لثلاث دقائق أخرى".

"وماذا عن السيارة؟".

"سوف أتفق مع أصحاب إحدى الورش لكى يقوموا بسحبها من هنا".

"حسنًا".

استمر جورج ينظر إلى ساعته، وأخيرًا قال بارتياح:

"حان الوقت".

قالت فرانكى: "جورج، لقد تصرفت بشهامة ونبل كبيرين، وأنا لا أدرى لماذا وافقت على مساعدتى من الأساس".

رد جورج: "ولا أنا ـ لقد كان تصرفًا أحمق".

أومأ لها جورج برأسه وقال:

"وداعًا. استمتعى بوقتك".

قالت فرانكى: "إننى أتساءل عما إذا كان ذلك سيحدث".

كانت تفكر حينها فى ذلك الصوت الهادئ الخالى من المشاعر، ذى اللكنة الأمريكية الواضحة.

خرج جورج يبحث عن صاحبة ذلك الصوت، فوجدها تنتظره فى حجرة الجلوس.

قال جورج بشكل مفاجئ: "حسنًا... يسعدنى أن أقول إن الحالة ليست بالسوء الذى كنت أخشاه؛ فقد تعرضت لارتجاج

بسيط وقد بدأت آثاره تزول، لكن لابد من بقائها فى ذلك الفراش لمدة يوم أو نحوه". وسكت للحظة ثم أردف: "يبدو أنها الليدى فرانسيس ديرويشت".

قالت السيدة باسينجتون فرينش: "أوه، عجبًا! إننى أعرف بعض أقربائها ـ آل درايكوتس ـ معرفة جيدة".

قال جورج: "أنا لا أدرى ما إذا كان من المناسب أن تستضيفيها بمنزلك، لكن إذا كان من الممكن أن تبقى هنا اليوم أو يومين فسوف...". ثم سكت جورج دون أن يكمل.

"أوه، بالطبع، لن تكون هناك مشكلة فى ذلك يا دكتور...؟".

"أرنشوت. بالمناسبة، سوف أتولى مسألة سيارتها؛ حيث إننى سأمر بإحدى الورش فى طريقى".

"شكرًا جزيلًا لك يا دكتور أرنشوت، كم كان من حسن الحظ أن يتصادف مرورك فى وقت وقوع الحادث! أظن أنه من الأفضل أن يقوم أحد الأطباء بتفقد حالتها غدًا لكى يرى إذا كانت تتحسن بشكل جيد".

قال جورج: "لا أرى ضرورة لذلك؛ فكل ما تحتاج إليه هو الراحة والهدوء".

"سيجعلنى ذلك أشعر باطمئنان أكبر، وكذلك يجب إخطار عائلتها".

قال جورج: "سوف أتولى مسألة إخبار عائلتها. أما بالنسبة لمسألة قيام طبيب بتفقد حالتها... حسنًا، يبدو أنها تنتمى إلى طائفة دينية تؤمن بأن الشفاء مادام من عند الله فلا داعى مطلقًا لقيام طبيب بفحصها. لقد انزعجت بشدة عندما

وجدتنى بالقرب من فراشها".

قالت السيدة باسينجتون فرينش: "أوه، يا إلهى!".

قال جورج مطمئنًا إياها: "لكنها ستكون على ما يرام - يمكنك الوثوق بكلامى".

قالت السيدة باسينجتون فرينش بتشكك: "إذا كان هذا هو رأيك يا دكتور أربثنوت".

قال جورج: "هو كذلك. وداعًا يا سيدتى. ويحى! لقد نسيت إحدى أدواتى بغرفة النوم".

ودلف جورج بسرعة إلى غرفة النوم واقترب من جانب الفراش.

وقال بصوت هامس مضطرب: "فرانكى، إنك تنتمين إلى طائفة كريستيان ساينس، فلا تنسَىْ ذلك".

"لكن لماذا؟".

"كان علىّ أن أقول ذلك للتخلص من الموقف".

قالت فرانكى: "حسنًا... لن أنسى!".

الفصل ١٢

فى معسكر العدو

قالت فرانكى لنفسها: "ها أنا ذا قد وصلت بسلام إلى قلب معسكر العدو. والآن، يتوقف الأمر علىّ أنا".

وبينما هى شاردة فى أفكارها إذ بها تسمع صوت طرقات على الباب أعقبه دخول السيدة باسينجتون فرينش إلى الغرفة.

رفعت فرانكى نفسها قليلًا فوق الوسادة الموضوعة أسفل رأسها.

وقالت بصوت واهن: "إننى فى شدة الأسف إذ سببت لك كل هذا الإزعاج".

قالت السيدة باسينجتون فرينش: "ليس ثمة إزعاج على الإطلاق". ومجددًا، سمعت فرانكى ذلك الصوت الهادئ الجذاب ذا اللكنة الأمريكية، وتذكرت ما قاله اللورد مارشينجتون عن أن أحد أفراد فرع عائلة باسينجتون فرينش بمدينة هامبشاير كان قد تزوج بوريثة أمريكية.

أردفت السيدة باسينجتون فرينش: "يقول الطبيب أريثوت إنك ستكونين بخير خلال يوم أو اثنين إذا التزمت الهدوء والراحة".

شعرت فرانكى أنه من المفترض عند هذه النقطة أن تقول شيئًا عن "الخطأ البشرى" أو "طبيعة تفكير البشر" لكنها خشيت أن تقول شيئًا خاطئًا.

قالت فرانكى: "إنه يبدو كشخص طيب، وقد تصرف معى بلطف شديد".

فقالت السيدة باسينجتون فرينش: "لقد بدا كطبيب متمكن رغم صغر سنه. من حسن الحظ أن تصادف مروره وقت وقوع الحادث".

"نعم. أليس كذلك؟ رغم أنى لا أعتقد أننى كنت بحاجة إليه".

فردت مضيفتها: "لا يجب أن نكثرى من الحديث. سوف أرسل خادمتى ببعض الملابس النظيفة وأطلب منها مساعدتك على تغيير ملابسك، وترتيب الفراش لضمان راحتك".

"هذا لطف بالغ منك".

"على الإطلاق".

شعرت فرانكى بلحظة من تأنيب الضمير بينما كانت المرأة الأخرى تنسحب من الغرفة.

وقالت لنفسها: "إنها تبدو مخلوقة لطيفة وطيبة. وليست موضع شك على الإطلاق".

وللمرة الأولى شعرت فرانكى بأنها تمارس خدعة دنيئة

على مضيفتها. لقد كان عقلها مشغولًا بشدة بصورة القاتل باسينجتون فرينش وهو يدفع ضحية بريئة من فوق حافة الجرف لدرجة أن الشخصيات الأقل دورًا فى تلك المسرحية الدرامية لم تجد لنفسها مكانًا فى مخيلة فرانكى.

فكرت فرانكى: "حسنًا... لابد أن أستكمل ما بدأته، ولكنى أتمنى لو أنها لم تكن بمثل هذا اللطف معى".

أمضت فرانكى فترة ظهيرة ومساء سادهما الملل؛ حيث ظلت راقدة فى غرفتها المظلمة. وقد زارتها السيدة باسينجتون فرينش مرة أو مرتين لكى تتفقد حالها، لكنها اكتفت بالنظر ولم تبق طويلًا معها.

وفى اليوم التالى، سمحت فرانكى لضوء النهار بدخول غرفتها وعبرت عن رغبتها فى بعض الرفقة؛ ولذلك حضرت مضيفتها وجلست معها لبعض الوقت. اكتشفت المرأتان وجود العديد من المعارف والأصدقاء المشتركين، وبنهاية اليوم شعرت فرانكى - رغم وخز الضمير - أنهما قد أصبحتا صديقتين.

أشارت السيدة باسينجتون فرينش عدة مرات إلى زوجها وولدها الصغير تومى. بدت سيدة المنزل امرأة بسيطة، مرتبطة بشدة بمنزلها، ومع ذلك فقد شعرت فرانكى - لسبب أو لآخر - أنها ليست سعيدة للغاية؛ فقد كان هناك تعبير قلق يظهر أحيانًا فى عينيها ولا يتوافق كثيرًا مع عقل يشعر بالسلام الداخلى.

فى اليوم الثالث نهضت فرانكى من سريرها وتم تقديمها إلى سيد المنزل.

كان رجلاً ضخمًا، ممتلئ الوجنتين، ذا مظهر طيب، ولكنه شارد الفكر، وقد بدا واضحًا أن الرجل يمضي معظم وقته في حجرة مكتبه. ومع ذلك فقد لاحظت فرانكي أنه شديد الولع بزوجته، وإن كان لا يشغل نفسه كثيرًا بشئونها.

أما تومي، ابنهما الصغير، فكان في السابعة من العمر، وبدا من الواضح أنه طفل صحيح الجسد، مولع باللعب، وأن والدته ـ السيدة سيلفيا ياسينجتون فرينش ـ تحبه حبًا شديدًا.

قالت فرانكي وهي تتنهد: "إن المكان هنا لطيف جدًا".

وكانت متمددة فوق كرسي طويل داخل حديقة المنزل.

وأردفت: "لست أدري إن كان السبب هو الضربة التي تلقيتها في رأسي أو كان هناك سبب آخر، لكنني أشعر بأنني لا أريد التحرك ـ أريد أن أظل مستلقية هنا لأيام وأيام".

ردت سيلفيا ياسينجتون فرينش بنبرتها الهادئة الشاردة: "حسنًا، ابقي كما أنت... أقصد لا تتعجلي العودة إلى المدينة".

وأردفت تقول: "إنها لمتعة كبيرة بالنسبة لي أن أستضيفك هنا في منزلي؛ فأنت مرحة وذكية للغاية، ووجودك هنا يشعرني بالسعادة".

قالت فرانكي لنفسها: "إذن فهي تحتاج لشيء يشعرها بالسعادة".

وفي نفس الوقت شعرت فرانكي بالخجل من نفسها.

كانت المرأة الأخرى تقول: "إنني أشعر بأننا قد أصبحنا صديقتين بالفعل".

وزادت كلماتها من إحساس فرانكي بالخجل.

لقد كان ما تفعله شيئًا لئيمًا... شيئًا حقيرًا... شيئًا وضيعًا.

سوف تتخلى عن تلك الخطة! وتعود إلى المدينة من فورها...

وكانت مضيفتها مازالت تتحدث:

"لن يكون الوضع هنا عملاً طيلة الوقت؛ فغدًا سيعود شقيق زوجي، وأنا واثقة من أنه سيروق لك؛ فكل الناس تحب روجر".

"أيعيش معكم بالمنزل؟".

"بشكل متقطع ـ إنه شخص لا يعرف الراحة، وهو يطلق على نفسه "متشرد العائلة"، وربما يكون ذلك صحيحًا إلى حد ما؛ فهو لا يستقر بعمل لفترة طويلة ـ بل إنني أعتقد أنه لم يعمل بوظيفة حقيقية في حياته، لكن بعض الناس يكونون على هذه الحال ـ وخاصة في العائلات العريقة. وهم عادة ما يكونون أشخاصًا يتمتعون بأسلوب ساحر وجذاب. إن روجر شخص متعاطف للغاية، ولا أدري ماذا كنت سأفعل بدونه في هذا الربيع عندما مرض تومي".

"وماذا كانت علة تومي؟".

"كان قد تعرض لحادث سقوط قوي من فوق الأرجوحة ـ لابد أنها كانت مربوطة إلى فرع شجرة ضعيف مما أدى إلى انكساره. لقد كان روجر مستاءً للغاية لأنه هو من كان يؤرجح تومي في ذلك اليوم ـ كما تعلمين، يدفع الأرجوحة بقوة إلى أعلى، بالطريقة التي يحبها الأطفال. لقد ظننا في البداية أن تومي قد تعرض لإصابة خطيرة في عموده الفقري، لكن تبين أنها مجرد إصابة بسيطة وهو الآن أفضل حالاً".

قالت فرانكى، بابتسامة، وقد سمعت صوت صياح وهتاف خافت يأتى من بعيد: "إنه بالتأكيد يبدو أفضل حالاً".

"أعلم ذلك ـ إنه يبدو فى خير صحة الآن، وهو أمر يبعث الارتياح فى قلبى كأم؛ فلقد كان من سوء حظ هذا الصبى أن تعرض لكثير من الحوادث، بل إنه كاد يتعرض للغرق فى الشتاء الماضى".

قالت فرانكى بتفكر: "أكاد يغرق حقًا؟".

لم تعد فرانكى تفكر فى العودة إلى المدينة، بل إن كل إحساس بتأنيب الضمير قد تلاشى من عقلها تمامًا.

حوادث!

وتساءلت بينها وبين نفسها عما إذا كان روجر فرينش قد تخصص فى ارتكاب الحوادث.

وأخيرًا قالت:

"إذا كنت جادة حقًا فى استضافتى، فإننى أود البقاء هنا لوقت أطول. لكن ألن يمانع زوجك فى تواجدى هنا بهذا الشكل؟".

تكورت شفتا سيلفيا باسينجتون فرينش فى تعبير غريب وهى تقول: "هنرى؟ كلا، هنرى لن يمانع ـ هنرى لا يمانع فى أى شىء هذه الأيام".

نظرت إليها فرانكى بفضول.

وقالت لنفسها: "لو أنها كانت تعرفنى جيدًا لكانت أخبرتنى بما يعتمل بداخلها؛ فأنا أعتقد أن هناك الكثير من الأمور الغريبة التى تجرى بهذا المنزل".

انضم إليهما هنرى باسينجتون فرينش لتناول الشاى وتفرست فرانكى فى ملامحه جيدًا. كان هناك بالتأكيد شىء غريب بشأن ذلك الرجل ـ كان نمط شخصيته واضحًا للغاية: فهو رجل نبيل من أعيان الريف، بسيط، ومرح، ومحب للرياضة. إن رجلاً مثل هذا ليس من المفترض أن يجلس وهو يرتجف بعصبية وهو يكاد يفقد أعصابه، ثم يسقط فى هوة من الشرود يستحيل إخراجه منها؛ ثم يرد بإجابات ساخرة ومريرة على أى كلام يوجه إليه، لكنه لم يكن دائمًا على هذا النحو؛ ففى مساء تلك الليلة، وتحديدًا عند وقت العشاء، ظهر الرجل بمظهر جديد تمامًا؛ فقد كان يمزح، ويضحك، ويروى القصص، وبدا ـ فى حدود قدراته ـ رجلاً متقد الذكاء، بل إن فرانكى قد شعرت أنه أكثر ذكاء مما يجب؛ وذلك لأن ذكاءه بدا غير طبيعى ومخالفًا لشخصيته.

قالت فرانكى لنفسها: "إن لديه عينين غريبتين تخيفانى قليلاً".

ومع ذلك لم تشتبه فى قيام هنرى باسينجتون فرينش بارتكاب أى شىء؛ فقد كان أخوه ـ وليس هو ـ من تواجد فى ماركيولت فى ذلك اليوم المشئوم.

وفيما يتعلق بذلك الشقيق، كانت فرانكى تتطلع إلى مقابلته باهتمام ولهفة؛ فطبقًا لافتراضها واقتراض بوبى، فإن ذلك الرجل كان قاتلاً، وكانت هذه هى فرصتها لمقابلة القاتل وجهًا لوجه.

وقد أشعرها ذلك بالعصبية للحظات.

لكن أنى له أن يخمن أنها تعرفه جيدًا؟

كيف يمكن له ـ بأى طريقة كانت ـ أن يربط بينها وبين جريمته التى نفذها بنجاح؟

ولهذا قالت لنفسها: "إنك تخلقين وحشًا مهولًا من لا شيء".

وصل روجر باسينجتون فرينش قبل تناول الشاى عصر اليوم التالى.

ولم تقابله فرانكى حتى موعد تناول الشاى؛ فقد كان من المفترض بها أن تخلد إلى الراحة فى فترة الظهيرة.

وعندما خرجت للحديقة ـ حيث وضعت أقداح الشاى ـ قالت سيلفيا مبتسمة:

"ها هو متشرد العائلة. ليدى فرانسيس ديرويلت، دعينى أقدم لك شقيق زوجى".

رأت فرانكى رجلًا طويلًا، نحيل الجسد، فوق الثلاثين بقليل، وله عينان لطيفتان، وعلى الرغم من أنه كان بإمكانها رؤية ما كان يعنيه بوبى بأن وجه الرجل كان بحاجة إلى نظارة أحادية وشارب رفيع، فلم تستطع منع نفسها من ملاحظة تلك الزرقة الشديدة التى ميزت عينيه. ومد كلاهما يده لمصافحة الآخر.

قال روجر: "منذ أن جئت وأنا أسمع عن الطريقة التى حاولت بها تحطيم سور المنزل".

قالت فرانكى: "سوف أعترف بأننى أسوأ سائق فى العالم. لكننى كنت أقود سيارة قديمة وخربة؛ حيث إن سيارتى الخاصة

كانت بحاجة لإصلاح، ومن ثم فقد اشتريت سيارة رخيصة ومستعملة لكى أتنقل بها مؤقتًا".

قالت سيلفيا: "لقد أخرجها من بين حطام السيارة طبيب شاب شديد الوسامة".

قالت فرانكى موافقة: "لقد كان شابًا لطيفًا".

وصل تومى فى تلك اللحظة وقذف بنفسه بين ذراعى عمه وهو يطلق صيحات مرحة.

قال تومى: "هل أحضرت لى القطار اللعبة؟ لقد قلت إنك ستحضره... لقد قلت إنك ستحضره".

قالت سيلفيا: "أوه، تومى! لا يجب أن تطلب الهدايا من أحد".

قال روجر: "لا عليك يا سيلفيا، لقد وعدته بذلك. لقد أحضرت القطار معى يا صديقى العزيز". نظر روجر إلى زوجة أخيه بشكل عارض وقال: "ألن يأتى هنرى لتناول الشاى؟".

قالت سيلفيا ـ وقد عادت تلك النبرة المقهورة لصوتها: "لا أظن ذلك، فأنا أعتقد أنه ليس بحالة جيدة اليوم".

ثم أردفت باندفاع:

"أوه، روجر، كم أنا سعيدة بعودتك!".

وضع روجر يده على ذراعها وقال:

"كل الأمور ستكون بخير، عزيزتى سيلفيا".

وبعد احتساء الشاى، شارك روجر ابن أخيه اللعب بالقطار.

ظلت فرانكى تتطلع إليهما وقد انتاب عقلها اضطراب

شديد.

وأخذت تفكر: بالتأكيد لا يبدو هذا الرجل من عينة الرجال القادرين على دفع رجل بريء من فوق جرف. هذا الشاب الرائع لا يمكن أن يكون قاتلاً بارد الدم!

إذن لابد أنهما ـ هى وبوبى ـ كانا مخطئين على طول الخط، أو على الأقل بشأن هذا الجزء من القضية.

فى تلك اللحظة، شعرت فرانكى بأنها متأكدة من أن روجر باسينجتون فرينش لم يكن من دفع بريتشارد من فوق الجرف.

إذن من فعل ذلك؟

كانت لا تزال مقتنعة بأنه قد تم دفعه عمدًا: فمن فعل ذلك يا ترى؟ ومن الذى وضع المورفين فى شراب بوبى؟

وعندما فكرت فى المورفين، خطر ببالها فجأة تفسير لعينى هنرى باسينجتون فرينش الغريبتين، وخصوصًا بؤبؤيهما الثاقبين كرأسى دبوس.

ووجدت نفسها تتساءل: هل كان هنرى باسينجتون فرينش مدمنًا للمخدرات؟

الفصل ١٣

آلان كارستيرز

تلفت فرانكى، بشكل لا يخلو من الغرابة، تأكيدًا لتلك النظرية فى موعد لم يتجاوز اليوم التالى، وقد جاء التأكيد من روجر نفسه.

كانا قد انخرطا فى لعب مباراة تنس فردية ضد بعضهما البعض، ثم جلسا بعد ذلك لتناول المشروبات المثلجة.

وقد ظلا يتحدثان عن موضوعات متعددة غير مهمة، وقد ازدادت فرانكى إدراكًا لسحر شخص سافر إلى كل أنحاء العالم، مثل روجر باسينجتون فرينش، ولم تستطع فرانكى أن تمنع نفسها من التفكير فى أن "متسكع العائلة" يختلف بشدة عن شقيقه الرصين ذى العقلية الجادة.

كان الصمت قد ساد بينهما أثناء مرور تلك الأفكار بعقل فرانكى، وقد انقطعت حبال الصمت فجأة عندما تحدث روجر بنبرة صوت مختلفة تمامًا عن أسلوب حديثه السابق.

"لدى فرانسيس، سوف أفعل شيئًا غريبًا ـ إننى أعلم أننى

قد تعرفت عليك منذ أقل من أربعة وعشرين ساعة، لكنى لدى شعور داخلى بأنك الشخص الوحيد الذى أستطيع أن أطلب منه النصيحة".

قالت فرانكى باندهاش: "النصيحة؟".

"نعم: فأنا متحير بين قرارين ولا أدرى أيهما أتخذ".

توقف للحظة عن الكلام، وكان يميل بجسده إلى الأمام، مؤرجحًا مضرب التنس بين ركبتيه، وقد قطب جبينه قليلًا، وبدا مهمومًا ومنزعجًا.

"إن الأمر يتعلق بأخى، ليدى فرانسيس".

"ماذا عنه؟".

"إنه يتعاطى المخدرات ـ أنا واثق من ذلك".

تساءلت فرانكى: "وما الذى يجعلك تعتقد ذلك؟".

"كل شىء ـ هيئته... تغير مزاجه بشكل غير طبيعى... وهل لاحظت شكل عينيه؟ إن بؤبؤيهما يبدوان مثل رأس الدبوس".

أقرت فرانكى: "لقد لاحظت ذلك، لكن ماذا تظن أنه يتعاطى؟".

"مورفين، أو نوعًا من أنواع الأفيون".

"هل هو على هذه الحال منذ وقت طويل؟".

"لقد لاحظت بداية تلك التغيرات منذ ستة أشهر مضت. إننى أتذكر أنه كان يشتكى كثيرًا من الأرق وقلة النوم، لكن لست أدرى متى بدأ تعاطى تلك المواد، ولابد أن ذلك قد حدث بعد ذلك بوقت قصير".

تساءلت فرانكى بنبرة عملية: "وكيف يحصل على

المخدرات؟".

"أظن أنها تأتيه عن طريق البريد. هل لاحظت كيف يبدو عصبيًا ومضطربًا فى بعض الأيام عند وقت تناول الشاى؟".

"نعم، لاحظت ذلك".

"لقد خمنت أن ذلك هو الوقت الذى ينفد فيه مخزونه من المخدرات وينتظر المزيد، وبعد أن يصل البريد فى الساعة السادسة، يذهب إلى حجرة مكتبه ويعاود الظهور فى وقت العشاء، وهو فى حالة مزاجية مختلفة تمامًا".

أومأت فرانكى وقد تذكرت تلك الطريقة الرائعة وغير الطبيعية التى كان هنرى يتحدث بها أحيانًا وقت العشاء.

وقالت متسائلة: "ولكن من أين تأتى المخدرات تحديدًا؟".

"هذا ما لا أعرفه: فلا يوجد طبيب محترم سيوافق على إعطائها له، ولكنى أظن أن هناك مصادر متعددة للحصول على المخدرات فى لندن إذا دفع المرء نقودًا كثيرة".

أومأت فرانكى بتأمل.

كانت تتذكر أنها قد اقترحت على بوين وجود عصابة لتهريب المخدرات، ولكنه رد بأن المرء لا يستطيع المزج بين أنواع كثيرة من الجرائم، ولقد كان أمرًا غريبًا أن يصلا فى مرحلة مبكرة فى تحقيقاتهما إلى آثار لوجود أمر كهذا.

وكان من الغريب أيضًا أن يكون المشتبه به الرئيسى فى القضية هو من يلفت انتباهها إلى تلك الحقيقة، وقد جعلها ذلك الأمر مقتنعة أكثر من أى وقت مضى ببراءة روجر باسينجتون فرينش من تهمة القتل.

ومع ذلك فقد كانت هناك مسألة تبديل الصورة التى لا يمكن تفسيرها. وقد ذكّرت فرانكى نفسها بأن الدليل الذى يدين روجر لا يزال ثابتًا كما كان من قبل. وعلى الجانب الآخر، فإن ما يدحض تلك التهمة كان فقط شخصية الرجل. ولقد اعتاد الجميع أن يقولوا إن القتلة عادة ما يكونون أشخاصًا ساحرين!

تخلصت فرانكى من تلك الأفكار والتفتت إلى رفيقها مجددًا.

وقالت بتساؤل: "لماذا تخبرنى بهذا الأمر تحديدًا؟".

قال روجر ببساطة: "لأننى لا أعرف ماذا أفعل بشأن سيلفيا".

"أتعتقد أنها لا تعلم؟".

"بالتأكيد هى لا تعلم. لكن هل علىّ أن أخبرها؟".

"إنها مسألة عالية فى الصعوبة...".

"إننى أعلم أنها مسألة صعبة، ولهذا السبب ظننت أنك قد تستطيعين مساعدتى لأن سيلفيا قد تعلقت بك كثيرًا - إنها لا تهتم كثيرًا بأى من السيدات اللاتى يعشن بالقرب من هنا. لكنها أعجبت بك على الفور، وقد أخبرتنى هى بذلك. ماذا يجب أن أفعل، ليدى فرانسيس؟ فلو أننى أخبرتها بهذا الأمر فسوف أضيف عبئًا جديدًا إلى حياتها".

قالت فرانكى: "لعلها إذا علمت بالأمر يكون لها بعض التأثير على زوجها".

"إننى أشك فى ذلك؛ فعندما يتعلق الأمر بإدمان المخدرات

لا يكون حتى لأقرب وأعز الناس إلى قلب المدمن تأثير عليه".

"هذه وجهة نظر يائسة، ألا تتفق معى؟".

"إنها الحقيقة - لكنّ هناك طرقًا للعلاج بالطبع؛ فلو أن هنرى قد يوافق على دخول مصحة للعلاج... فى الواقع هناك مصحة قريبة يديرها الدكتور نيكلسون".

"لكنه لن يوافق أبدًا، أليس كذلك؟".

"ربما يوافق - أحيانًا تستطيعين التأثير على متعاطى المورفين عندما يكون فى حالة ندم شديد؛ بحيث يكون مستعدًا لفعل أى شىء لشفاء نفسه. وإننى أميل إلى التفكير بأنه من الممكن دفع هنرى إلى تلك الحالة العقلية بسهولة إذا اعتقد أن سيلفيا لا تعلم... أقصد إن وُضعت مسألة معرفتها بإدمانه أمام عينيه كنوع من التهديد. وإذا نجح العلاج (وهم يطلقون على المصحة "مصحة لعلاج الأعصاب" بالطبع)، فلن تكون سيلفيا بحاجة إلى معرفة ذلك مطلقًا".

"وهل سيكون عليه أن يترك المنزل من أجل العلاج؟".

"إن المصحة التى أتحدث عنها تبعد عنا بثلاثة أميال فقط، وهى تقع فى الجانب الآخر من القرية، وتدار بواسطة طبيب كندى يدعى الدكتور نيكلسون، وهو طبيب بارع جدًا حسبما سمعت، ومن حسن الحظ أن هنرى يحب ذلك الرجل. صمتًا... ها قد جاءت سيلفيا".

انضمت إليهما سيلفيا باسينجتون فرينش وهى تقول: "هل لعبتما بنشاط؟".

قالت فرانكى: "ثلاث مجموعات، وقد تعرضت للهزيمة فى

كل مجموعة".

قال روجر: "لقد لعبت مباراة جيدة للغاية".

قالت سيلفيا: "إننى كسولة جدًا فيما يتعلق بلعب التنس. لابد أن ندعو آل نيكلسون للحضور لزيارتنا قريبًا: فزوجة الطبيب نيكلسون مغرمة بلعب التنس". ثم أردفت سيلفيا وقد لاحظت النظرة التى تبادلاها: "ماذا...ماذا هناك؟".

قال روجر: "لاشىء... لقد تصادف فقط أننى كنت أحدث الليدى فرانسيس عن آل نيكلسون قبل حضورك".

"من الأفضل أن تخاطبها باسم فرانكى، كما أفعل أنا. أليس شيئًا غريبًا أنه فى بعض الأحيان عندما تتحدث عن شخص أو شىء، تجد أحدهم يتحدث عن نفس الشخص بعدك تمامًا؟".

تساءلت فرانكى: "إنهما كنديان، أليس كذلك؟".

"هو كندى دون شك، لكننى أعتقد أنها إنجليزية ـ وإن كنت غير واثقة تمامًا. وهى امرأة رقيقة وجميلة للغاية... ولها ملامح ساحرة تزينها تلك العيون الواسعة ذات النظرة الحزينة. وأنا أظن أنها غير سعيدة لسبب أو لآخر ـ لابد أن حياتها كئيبة للغاية".

"أظن أن الطبيب نيكلسون يدير مصحة علاجية، أليس كذلك؟".

"نعم ـ يتولى حالات اضطراب الأعصاب وإدمان المخدرات. وأنا أظن أنه ناجح للغاية، بل يمكننى أن أقول إنه رجل مثير للإعجاب".

"هل يروق لك؟".

ردت سيلفيا بطريقة مفاجئة: "كلا. لا يروق لى". ثم أردفت بعدة بعد لحظة أو اثنتين: "لا يروق لى على الإطلاق".

وفى وقت لاحق، أشارت سيلفيا إلى صورة موضوعة فوق البيانو، لامرأة جميلة واسعة العينين، وقالت لـ فرانكى:

"هذه هى سيلفيا نيكلسون ـ وجه شديد الجاذبية، أليس كذلك؟ منذ وقت قريب أتى إلى هنا رجل بصحبة بعض أصدقائنا، وقد أثارت تلك الصورة إعجابه بشدة، وأظن أنه يريد أن يتعرف إلى صاحبة الصورة".

ضحكت سيلفيا وأردفت:

"سوف أدعوهما إلى تناول العشاء معنا ليلة الغد، وأود أن أعرف رأيك بشأنه".

"بشأنه؟".

"نعم، لقد أخبرتك بأننى لا أطيقه، مع أنه رجل وسيم للغاية".

كان هناك شىء فى نبرة صوتها جعل فرانكى تتطلع إليها بسرعة، لكن سيلفيا باسينجتون فرينش أعرضت عنها وبدأت تزيل بعض الزهور الذابلة من المزهرية.

قالت فرانكى لنفسها ـ بينما كانت تمشط شعرها الأسود الغزير وترتدى ملابسها استعدادًا لحضور العشاء فى تلك الليلة: "لابد أن أستجمع أفكارى". ثم أردفت بعزم شديد: "لقد حان الوقت للقيام ببعض التجارب".

هل كان روجر باسينجتون فرينش ذلك الشخص الشرير

الذى ـ تخيلته هى وبوبى أم تراهما كانا مخطئين؟

لقد اتفقت هى وبوبى أن من حاول التخلص من بوبى لابد أن يكون لديه طريقة سهلة للحصول على المورفين، وبطريقة ما ينطبق ذلك بشكل كبير على روجر باسينجتون فرينش ـ فإذا كان أخوه هنرى يتلقى المورفين بالبريد، فسوف يكون من السهل على روجر أن يسرق بعضًا منه ويستخدمه فى أغراضه الخاصة.

تناولت فرانكى ورقة وكتبت عليها: "المهمة رقم (١): اكتشفى أين كان روجر فى يوم ١٦ من هذا الشهر ـ اليوم الذى تسمم فيه بوبى".

وظنت فرانكى أنها ترى بوضوح الطريقة التى ستتبعها لاكتشاف ذلك.

ثم كتبت: "المهمة رقم (٢): أخرجى صورة الرجل الميت ولاحظى التغييرات التى سترتسم على الوجوه ـ إن وجدت، وكذلك لاحظى ما إذا كان روجر سيتر بوجوده فى ماركيوليت فى ذلك اليوم".

شعرت فرانكى ببعض العصبية تجاه تنفيذ المهمة الثانية: فقد كان تنفيذها يتطلب الكشف عن معرفتها بالحادث بشكل صريح. على الجانب الآخر، فقد وقع الحادث المأساوى فى المنطقة التى تعيش بها، ولهذا فسوف يعتبر ذكرها الحادث بشكل عارض أمرًا طبيعيًا لا غبار عليه.

طوت فرانكى ورقة المهام ثم أحرقتها.

وتمكنت من فتح باب الحديث حول النقطة الأولى بشكل

طبيعى فى وقت العشاء.

فقالت بصراحة لـ روجر: "أتدرى! ينتابنى شعور قوى بأننا قد تقابلنا من قبل، وأشعر بأن ذلك اللقاء حدث منذ وقت قريب أيضًا ـ ألم نتقابل فى الحفل الذى أقامته الليدى شاين بفندق كلاريدج، يوم السادس عشر من هذا الشهر؟".

قالت سيلفيا بسرعة: "لا يمكن أن نكونا قد تقابلنا يوم السادس عشر؛ لأن روجر كان موجودًا هنا فى ذلك اليوم ـ إننى أتذكر ذلك جيدًا لأننا أقمنا حفلًا للأطفال فى ذلك اليوم وما كنت لأستطيع فعل أى شىء فى ذلك اليوم لو لم يكن روجر بجوارى".

ألقت سيلفيا نظرة امتنان إلى شقيق زوجها، فابتسم لها روجر هو الآخر!

قال روجر لـ فرانكى: "لا أشعر بأننى قد قابلتك أبدًا من قبل"، ثم أضاف بلطف واضح: "أنا واثق من أننى كنت سأتذكر أمرًا كهذا!".

فكرت فرانكى: "لقد حسمت المسألة: فلم يكن روجر باسينجتون فرينش فى ويلز فى اليوم الذى تعرض فيه بوبى للتسمم".

وكذلك تمكنت فرانكى من التحدث فى النقطة الثانية بسهولة كبيرة فى وقت لاحق. وكانت فرانكى قد قادت الحوار نحو المناطق الريفية، والملل الذى يصاحب الحياة فيها، والاهتمام الذى يثيره أى حادث محلى مثير يقع فيها.

قالت فرانكى: "لقد سقط أحد الرجال من فوق حافة

الجرف فى منطقتنا خلال الشهر الماضى، وقد شعرنا بإثارة لا حدود لها، ثم ذهبت لحضور التحقيق بكل لهفة وحماس، لكن للأسف، كان التحقيق مملاً للغاية".

تساءلت سيلفيا: "هل تدعى هذه المنطقة ماركيولت؟".

أومأت فرانكى بالإيجاب.

وقالت موضحة: "إن قلعة ديرويلت تقع على بعد سبعة أميال فقط من منطقة ماركيولت".

صاحت سيلفيا: "روجر، لابد أن ذلك هو الرجل الذى وجدته"؛ فنظرت إليه فرانكى بتساؤل.

فقال روجر: "فى الواقع لقد كنت موجودًا فى موقع الحادث، وبقيت بجوار جثة الرجل حتى جاء رجال الشرطة".

قالت فرانكى: "لقد ظننت أن من وجد الجثة هو أحد أبناء القائمين على دار العبادة".

"هذا صحيح، لكنه كان مضطرًا للذهاب للعزف على الأرغن أو شىء كهذا، وعليه فقد ذهب وبقيت أنا بجوار الجثة".

قالت فرانكى: "يا لها من مصادفة غريبة! لقد سمعت بوجود شخص آخر فى موقع الحادث لكننى لم ألتقط اسمه - إذن فقد كنت أنت ذلك الشخص؟".

غلف المكان إحساس عام يشبه المقولة الشهيرة، "عجبًا! كم أن هذا العالم مكان صغير!". وشعرت فرانكى بأنها تؤدى دورها ببراعة.

قال روجر: "لعل المرة الأولى التى رأيتنى فيها كانت هناك - فى ماركيولت؟".

قالت فرانكى: "فى الواقع أنا لم أكن متواجدة بالبلدة وقت وقوع الحادث، لكننى عدت من لندن بعد يومين من حدوثه - أكنت موجودًا وقت التحقيق؟".

"كلا، لقد عدت إلى لندن فى صبيحة اليوم التالى للحادث".

قالت سيلفيا: "لقد كانت لديه فكرة سخيفة بخصوص شراء منزل فى تلك المنطقة".

قال هنرى بأسينجتون فرينش: "بل قولى فكرة مجنونة".

قال روجر بانشراح صدر: "على الإطلاق".

فردت سيلفيا: "أنت تعلم جيدًا، يا روجر، أنه بمجرد شرائك لهذا المنزل، كانت شهوة الترحال ستنتابك وتنطلق إلى الخارج مجددًا".

"أوه، سوف أستقر فى يوم ما يا سيلفيا".

قالت سيلفيا: "عندما تقرر الاستقرار فى مكان فمن الأفضل أن تستقر بالقرب منا، وليس فى مكان بعيد كـ ويلز".

ضحك روجر ثم التفت إلى فرانكى وقال:

"هل توصل التحقيق إلى أى أمر مثير بشأن الحادث؟ إننى لا أظنهم اكتشفوا أنه كان انتحارًا أو شيئًا كهذا؟".

"أوه، كلا، لقد جرى التحقيق بشكل عادى وحضر بعض أقرباء القتيل وتعرفوا عليه؛ يبدو أن الرجل كان يقوم بجولة سياحية على الأقدام - إنه أمر محزن للغاية لأنه كان رجلًا شديد الوسامة، هل رأيتم صورته فى الصحف؟".

قالت سيلفيا بغموض: "أظن أننى رأيتها، لكننى لا أتذكر

شكله جيدًا!".

"لدى قصاصة من الجريدة المحلية بالطابق العلوي وتظهر فيها صورته بوضوح".

كانت فرانكي تتحرك بحماس شديد؛ فركضت إلى الطابق العلوي وعادت وهي تمسك في يدها بقصاصة الجريدة، التي سرعان ما ناولتها إلى سيلفيا واقترب منهما روجر حتى ينظر إلى القصاصة من وراء كتف سيلفيا.

قالت فرانكي بأسلوب فتاة مراهقة: "ألا تعتقدين أنه وسيم الملامح؟".

قالت سيلفيا: "إنه كذلك بالفعل. إنه يشبه كثيرًا ذلك الرجل - ألان كارستيرز، ألا تظن ذلك يا روجر؟ أتذكر أنني قلت ذلك عندما رأيت الصورة للمرة الأولى".

قال روجر موافقًا: "إنه يشبهه كثيرًا في هذه الصورة، لكن لم يكن هناك شبه حقيقي عندما رأيته في موقع الحادث".

قالت سيلفيا وهي تعيد القصاصة إلى فرانكي: "لا يمكن التأكد من ملامح أحدهم بواسطة صورة في جريدة، ألا تتفقون معي في ذلك؟".

وافقتها فرانكي على استحالة ذلك.

وتحولت المحادثة بعد ذلك إلى موضوعات أخرى.

ذهبت فرانكي إلى فراشها وهي عاجزة عن الوصول إلى استنتاج ثابت؛ فقد تفاعل الجميع مع الصورة بشكل بدا طبيعيًا للغاية، ولم تكن محاولة روجر الجريئة للبحث عن منزل مسألة سرية.

وكل ما نجحت في الحصول عليه كان مجرد اسم... اسم رجل يدعى ألان كارستيرز.

الفصل ١٤

الطبيب نيكلسون

شنت فرانكي هجومًا جديدًا على سيلفيا في صباح اليوم التالي.

وبدأت هجومها بأن قالت بشكل عابر: "ما اسم ذلك الرجل الذي ذكرته بالأمس؟ آلان كارستيرز. أليس كذلك؟ يخيل إلي أنني سمعت ذلك الاسم من قبل".

"لعلك سمعته بالفعل: فالرجل يُعَدُّ بشكل ما أحد المشاهير على ما أعتقد: إنه كندي وهو أحد أنصار المذهب الطبيعي، وصياد محترف للحيوانات البرية، ومستكشف معروف. إنني لا أعرفه بشكل فعلي، لكن آل ريفنجتون - وهم من أصدقائنا - كانوا قد أحضروه إلى هنا يومًا لتناول الغداء. إنه رجل جذاب للغاية - قوي البنية، ذو بشرة برونزية اللون وعينين زرقاوين لطيفتين".

"إنني كنت واثقة من أنني سمعت اسمه من قبل".

"لا أظن أنه قد حضر إلى هذه المنطقة من قبل، وقد سافر في السنة الماضية إلى رحلة استكشافية في قارة إفريقيا بصحبة

ذلك المليونير، جون سافاج ـ ذلك الرجل الذى ظن أنه مصاب بالسرطان فتخلص من حياته بتلك الطريقة المأساوية، ويقال إن كارستيرز قد سافر إلى جميع أنحاء العالم: شرق إفريقيا، أمريكا الجنوبية ـ جميع العالم على ما أعتقد".

قالت فرانكى: "يبدو كشخص مغامر لطيف".

"أوه، لقد كان كذلك بالفعل، وهو شديد الجاذبية أيضًا".

قالت فرانكى: "من العجيب أنه يشبه الرجل الذى سقط من فوق حافة الجرف فى ماركيولت".

"إننى أتساءل عما إذا كان لكل شخص شبيه".

بدأت المرأتان تتبادلان الحوادث الشهيرة فى التشابه بين البشر، وخصوصًا قصة أدولف بيك الشهيرة، مع الإشارة من بعيد إلى حادثة ليون مايل. كانت فرانكى حريصة على عدم الإشارة مجددًا إلى ألان كارستيرز؛ لأنها كانت تعلم أن إظهار المزيد من الاهتمام به سيكون خطأً قاتلاً.

لكنها كانت تشعر فى عقلها أنها قد وضعت يدها على أول الخيط، وكانت مقتنعة بأن ألان كارستيرز هو ضحية مأساة الجرف فى ماركيولت؛ فقد كانت كل الشروط تنطبق عليه ـ فلقد كان الرجل بلا أقارب أو أصدقاء حميمين داخل البلاد. وكان من المرجح ألا يلاحظ أحد اختفاءه لوقت طويل، وذلك لأن رجلاً كثير الارتحال إلى شرق إفريقيا أو أمريكا الجنوبية ليس من المرجح أن يفتقده أحدهم على الفور، علاوة على ذلك، فقد لاحظت فرانكى أنه على الرغم من كون سيلفيا باسينجتون فرينش قد علقت على التشابه بينه وبين الصورة

الموجودة فى الجريدة، فلم يخطر ببالها ولو للحظة أن ذلك الرجل هو نفسه ألان كارستيرز.

وقد ظنت فرانكى أن تلك النقطة تعد مسألة نفسية مثيرة للاهتمام.

إننا نادرًا ما نظن أن الأشخاص الذين يظهرون فى أخبار الصحف قد يكونون أشخاصًا رأيناهم أو قابلناهم.

حسنًا... إن ألان كارستيرز هو ذلك الرجل الميت، والخطوة التالية هى معرفة المزيد عن ألان كارستيرز. لقد بدا أن صلته بعائلة باسينجتون فرينش كانت سطحية للغاية؛ فقد تم إحضاره إلى منزلهم بالصدفة البحتة وبواسطة بعض الأصدقاء. ماذا كان اسمهم؟ آل ريفنجتون ـ سجلت فرانكى الاسم فى ذاكرتها حتى يمكنها الرجوع إليه فى المستقبل.

لقد كانت هذه النقطة جديرة بالبحث والتحقيق، لكن من الأفضل أن يتم الأمر ببطء؛ فطرح الأسئلة بشأن ألان كارستيرز يجب أن يتم بحذر شديد.

قالت فرانكى لنفسها وهى عابسة: "إننى لست مستعدة لتعرض للتسمم أو الضرب على الرأس ـ لقد كانوا مستعدين للتخلص من بوبى دون أن يفعل أى شىء على الإطلاق...".

وسرحت أفكارها بشكل مفاجئ إلى تلك العبارة الغريبة التى بدأت عندها المسألة برمتها.

إيفانز! من يكون إيفانز؟ وأين يأتى دور إيفانز فى الأحداث؟

قالت فرانكى لنفسها بتصميم: "عصابة مخدرات". ربما

راح أحد أقرباء كارستيرز ضحية لتلك العصابة مما جعل كارستيرز يقرر أن يكشف أمرهم، ولعله عاد إلى إنجلترا لذلك الهدف، وربما يكون إيفانز عضوًا سابقًا في العصابة ثم اعتزل وانتقل للعيش في ويلز، وقد يكون كارستيرز قد قدم رشوة إلى إيفانز لكي يفضح بقية أفراد العصابة ووافق إيفانز على ذلك. فحضر كارستيرز لمقابلته، لكن شخصًا ما لحق بـ كارستيرز وقتله.

أكان ذلك الشخص هو روجر باسينجثون فرينش؟ يبدو ذلك احتمالاً بعيدًا. أما بالنسبة لآل كايمان، فقد أصبحوا الآن أقرب كثيرًا للصورة التي رسمتها فرانكي في رأسها عن عصابة تهريب المخدرات.

ومع ذلك تبقى هناك مسألة الصورة ـ لو أن أحدهم يدري أمر تلك الصورة.

في ذلك المساء، كان الجميع ينتظرون حضور آل نيكلسون لتناول طعام العشاء، وبينما كانت فرانكي تنهي ارتداء ملابسها سمعت صوت سيارتهما وهي تقف أمام الباب الأمامي للمنزل. ولما كانت نافذتها تطل على ذلك الباب فلم تستطع أن تمنع نفسها من إلقاء نظرة.

كان هناك رجل طويل القامة يغادر مقعد السائق لسيارة زرقاء قاتمة من طراز تالبوت.

سحبت فرانكي رأسها إلى الداخل وهي تفكر:

لقد كان كارستيرز كنديًا. والطبيب نيكلسون كندي أيضًا، والطبيب نيكلسون يمتلك سيارة زرقاء داكنة من طراز

تالبوت.

كان من السخف أن تبني فرانكي أي احتمالات على هذه النقطة، لكن ألم يكن الأمر أكبر قليلاً من مجرد مصادفة؟

كان الطبيب نيكلسون رجلاً ضخمًا ويتصرف بأسلوب يوحي بقوة غير محدودة ـ كان حديثه بطيئًا، وكان بشكل عام قليل الكلام، لكنه كان يحاول بشدة أن يجعل لكل كلمة من كلماته تأثيرًا كبيرًا على من حوله. كان يرتدي نظارة ضخمة، ومن خلفها كانت عيناه ـ ذواتا اللون الأزرق الباهت ـ تتألقان بشدة.

أما زوجته، فكانت امرأة نحيلة الجسم، تكاد تقارب السابعة والعشرين من العمر، جميلة... بل شديدة الجمال. لاحظت فرانكي أن المرأة تبدو عصبية بعض الشيء وأنها تتحدث بلا توقف وكأنها كانت تريد إخفاء تلك الحقيقة عن أعين الحاضرين.

قال الطبيب نيكلسون وهو يجلس بجوار فرانكي على مائدة العشاء: "سمعت أنك قد تعرضت لحادث سيارة، ليدي فرانسيس".

هشرحت له فرانكي الحادث المروع الذي تعرضت له، وتساءلت ـ بينها وبين نفسها ـ عن السبب الذي يجعلها تشعر بعصبية شديدة وهي تقص عليه الأمر؛ فقد كان أسلوب الطبيب بسيطًا ويعكس اهتمامًا حقيقيًا، فلماذا شعرت إذن وكأنها تكرر دفاعًا عن تهمة لم يتم توجيهها إليها حتى الآن. أهناك أي سبب طبيعي يجعل الطبيب لا يصدق قصة الحادث

الذى تعرضت له؟

وبعد أن انتهت فرانكى من روايتها التى أصرت على أن تجعلها عامرة بالتفاصيل غير المطلوبة، قال الطبيب نيكلسون: "لقد كان حادثًا مؤسفًا، لكن يبدو أنك قد تعافيت منه بشكل جيد".

فقالت سيلفيا: "نحن لن نعترف بأنها قد شفيت تمامًا، ولهذا نبقيها هنا معنا".

انتقل نظر الطبيب إلى سيلفيا، وقد لاحت على شفتيه ابتسامة خافتة ما لبثت أن تلاشت لحظيًا.

ثم قال بجدية: "لو كان الأمر بيدى، لأبقيتها معكم لأطول فترة ممكنة".

كانت فرانكى تجلس بين مضيفها والطبيب نيكلسون، وبدا من الواضح أن هنرى باسينجتون فرينش كان فى مزاج عكر فى تلك الليلة؛ فقد ظلت يداه ترتجفان، ولم يتناول شيئًا من طعامه، ولم يشارك فى الحديث بأى كلام يذكر.

كانت السيدة نيكلسون تجلس فى مواجهة هنرى، وقد عانت كثيرًا فى محاولة الحديث إليه، وفى النهاية اضطرت إلى الالتفات ناحية روجر بارتياح واضح، وبدأت تتحدث إليه بشكل متقطع؛ إلا أن فرانكى لاحظت أن عينيها لم تفارقا وجه زوجها مطلقًا لمدة طويلة.

كان الطبيب نيكلسون يتحدث عن أسلوب الحياة فى الريف.

"هل تعلمين ما هى المزرعة، ليدى فرانسيس؟".

تساءلت فرانكى بتحير: "أتقصد مكان تربية الطيور؟".

"كلا، كلا. لقد كنت أشير إلى الجراثيم. فكما تعلمين، يتم تطوير الجراثيم فى مزارع معدة لذلك خصيصًا. والريف، ليدى فرانسيس، أشبه بهذه العملية؛ فهناك الوقت والمساحة والفراغ - وهى ظروف - مناسبة، كما ترين، لتطور كل شىء".

تساءلت فرانكى بتحير أكبر: "أتقصد أشياء سيئة؟".

"هذا يعتمد، ليدى فرانسيس، على أنواع الجراثيم التى يتم تطويرها".

فكرت فرانكى: محادثة بلهاء، ولست أدرى لماذا يجب أن تشعرنى بالخوف، لكنها تخيفنى بالفعل!

قالت فرانكى بتهكم: "أعتقد أننى أكتسب كل أنواع الصفات السيئة".

نظر إليها الطبيب نيكلسون وقال مهدئًا:

"كلا، كلا، أنا لا أعتقد ذلك، ليدى فرانسيس، وإنما أظن أنك ستبقين دائمًا فى صف النظام والقانون".

أكان هناك تشديد بسيط فى نطقه لكلمة *القانون*؟

وفجأة، قالت السيدة نيكلسون من الناحية الأخرى للمائدة:

"إن زوجى يتباهى كثيرًا بقدرته على تحليل الشخصيات".

أومأ الطبيب نيكلسون برأسه برفق.

وقال: "هذا صحيح تمامًا يا موير؛ فالأشياء البسيطة تثير اهتمامى". ثم التفت إلى فرانكى مجددًا وقال: "لقد علمت بشأن الحادث الذى تعرضت له، وهناك أمر ما أثار انتباهى بشدة!".

قالت فرانكي وقد تزايدت ضربات قلبها فجأة: "وما هو؟".

قال: "الطبيب الذي كان يمر بالمكان...ذلك الطبيب الذي أحضرك إلى هنا".

"ماذا بشأنه؟".

"لابد أنه شخصية غريبة الأطوار - وإلا لما استدار بسيارته قبل أن يتوجه لإنقاذك".

"لست أفهم ماذا تقصد".

"بالطبع لا تفهمين: فقد كنت فاقدة للوعي، لكن الضابط ريفز - ضابط تسليم الرسائل - كان قادمًا من ستافيرلي راكبًا دراجته ولم تمر به أي سيارة، ومع ذلك فقد استدار حول زاوية الطريق فوجد حطام سيارتك، ورأى سيارة الطبيب متوقفة ومقدمتها متجهة صوب الطريق الذي كان يتجه إليه بدراجته - أقصد الطريق المؤدي إلى لندن. أفهمت ما أعنيه؟ إن سيارة الطبيب لم تكن قادمة من طريق قرية ستافيرلي؛ ولذلك لابد أنه كان قادمًا من الاتجاه الآخر، من فوق التل. في تلك الحالة كان من المفترض أن تشير مقدمة سيارته إلى اتجاه ستافيرلي، لكنها لم تكن كذلك، وعليه فلابد أنه قد أدارها - إلى الناحية الأخرى".

قالت فرانكي: "ما لم يكن قد حضر من اتجاه ستافيرلي قبل وقت من وقوع الحادث".

"في هذه الحالة كانت سيارته ستكون متوقفة في ذلك الموضع أثناء هبوطك للتل؛ فهل كانت سيارته هناك بالفعل؟".

كانت العينان ذواتا اللون الأزرق الباهت تحدقان النظر إليها باهتمام شديد من خلف النظارة السميكة.

فقالت فرانكي: "لا أتذكر... لا أعتقد ذلك".

قالت السيدة نيكلسون: "إنك تتحدث مثل محقق الشرطة يا جاسبر، وكل هذا من أجل مسألة بسيطة".

قال نيكلسون: "المسائل البسيطة تثير اهتمامي".

ثم استدار الرجل محادثًا مضيفته؛ مما جعل فرانكي تلتقط أنفاسها بارتياح.

لماذا استجوبها الرجل بمثل تلك الطريقة؟ وكيف اكتشف كل تلك المعلومات عن الحادث؟ لقد قال: "المسائل البسيطة تثير اهتمامي"، أهذا هو كل ما في الأمر؟

تذكرت فرانكي السيارة الـ تالبوت داكنة الزرقة، وحقيقة أن كارستيرز كان كنديًا - لقد بدا لها أن الطبيب نيكلسون رجل فاسد.

تحاشت فرانكي الالتقاء به طيلة وقت العشاء، وظلت برفقة السيدة نيكلسون، رقيقة الجسم والطبع. لاحظت فرانكي أن عيني السيدة نيكلسون ظلتا تراقبان زوجها طيلة الوقت، وتساءلت فرانكي عما إذا كان ذلك بدافع الحب أم الخوف.

بقي الطبيب نيكلسون في حديث لا ينقطع مع سيلفيا، وفي تمام العاشرة والنصف التقت عيناه بعيني زوجته، وسرعان ما نهض الاثنان استعدادًا للمغادرة.

قال روجر بعد مغادرتهما: "حسنًا...ما رأيك في الطبيب نيكلسون؟ شخصية مسيطرة، أليس كذلك؟".

قالت فرانكي: "أنا مثل سيلفيا، لم يعجبني ذلك الرجل كثيرًا. ولكن زوجته راقت لي بدرجة أكبر".

قال روجر: "إنها جميلة الملامح، لكن بلهاء إلى حد ما، وهي إما تعشق زوجها أو تخافه حتى الموت ـ لست أدري أيهما أصح".

قالت فرانكي موافقة إياه: "هذا ما كنت أتساءل عنه أنا الأخرى".

قالت سيلفيا: "أنا لا يعجبني هذا الرجل، لكن يجب أن أعترف بأنه يمتلك الكثير من... السيطرة. أعتقد أنه قد عالج بعضًا من مدمني المخدرات بطريقة رائعة للغاية، ومنهم مدمنون لهم أقارب يئسوا تمامًا من شفائهم، وقد ذهبوا إلى مصحته كالفريق الذي يتعلق بقشة، لكنهم خرجوا من هناك وقد تعافوا تمامًا".

صاح هنري باسينجتون فرينش فجأة: "نعم، لكن هل تعلمون ما يحدث بداخل تلك المصحة؟ هل تعلمون المعاناة الرهيبة والتعذيب العقلي الذي يتعرض له هؤلاء المرضى؟ عندما يأتي إلى تلك المصحة مريض اعتاد تعاطي المخدرات، فإنهم يمنعونها عنه ـ يمنعونها عنه تمامًا ـ حتى يفقد الرجل عقله ويضرب رأسه في الحائط ـ هذا هو ما يفعله... إن طبيبك ذا الشخصية "المسيطرة" يعذب الناس... يعذبهم... ـ يرسلهم إلى الجحيم... يُذهب عقولهم تمامًا...".

كان هنري يرتجف بشدة. ثم استدار فجأة وغادر الحجرة.

بدت سيلفيا باسينجتون فرينش مشدوهة مما حدث.

وقالت بتساؤل: "ما الذي أصاب هنري؟ إنه يبدو متزعجًا بشدة".

ولم يجرؤ أي من فرانكي أو روجر على النظر إلى الآخر.

وقالت فرانكي: "إنه لم يبد بخير طيلة الأمسية".

"نعم، لقد لاحظت ذلك ـ إنه يعاني من تقلب المزاج في الآونة الأخيرة. وأتمنى لو أنه لم يتوقف عن ركوب الخيل، أو، بالمناسبة، لقد دعا الطبيب نيكلسون تومي لقضاء يوم غد بمنزلهما، لكنني لا أحب أن يكثر تومي من الذهاب إلى هناك ـ ليس في وجود مرضى اضطراب الأعصاب ومدمني المخدرات هناك".

قال روجر: "لا أظن أن الطبيب نيكلسون سيسمح لـ تومي بالاقتراب منهم ـ إنه يبدو شديد الولع بالأطفال".

"نعم، وأظن أنه يشعر بخيبة أمل كبيرة لعدم إنجابه أي أطفال، ولعل زوجته تشعر بنفس خيبة الأمل أيضًا ـ إنها تبدو حزينة بشدة ورقيقة المشاعر للغاية".

قالت فرانكي: "إنها تشبه لوحة السيدة الحزينة".

"نعم، هذه اللوحة تشبهها تمامًا".

قالت فرانكي بشكل عابر: "إذا كان الطبيب نيكلسون مولعًا بالأطفال فإني أظن أنه حضر حفل الأطفال الذي أقمتموه؟".

"لسوء الحظ كان الطبيب مسافرًا ليوم أو يومين في ذلك التاريخ ـ أعتقد أنه كان مضطرًا للذهاب إلى لندن لحضور مؤتمر طبي ما".

"فهمت".

بعد ذلك صعدوا جميعًا إلى غرف نومهم بالطابق العلوي. وقبل أن تخلد فرانكي إلى فراشها، كتبت رسالة إلى بوبي.

الفصل ١٥

اكتشاف

عانى بوبي وقتًا مزعجًا. وكان عدم الحركة الذي فرض عليه أكثر مما يستطيع أن يتحمل، وبالتالي فقد كره بشدة أن يظل في لندن دون أن يفعل شيئًا.

وكان بوبي قد تلقى اتصالاً هاتفيًا من جورج أربثنوت الذي أخبره ـ في كلمات قليلة مقتضبة ـ أن الأمور قد سارت على ما يرام، وبعد ذلك بيومين تسلم بوبي خطابًا من فرانكي، أوصلته إليه خادمتها، والتي كانت قد تسلمته بشكل سري في منزل اللورد مارشينجتون بالمدينة.

ومنذ ذلك الحين لم تصله أي أخبار من فرانكي.

واليوم نادى عليه بادجر قائلاً: "خطاب من أجلك".

تقدم بوبي إلى الأمام واللهفة تطل من عينيه، لكن الخطاب كان يحمل خط يد أبيه وخاتم بريد ماركبولت.

لكن في تلك اللحظة لمح بوبي خادمة فرانكي ـ بمظهرها الأنيق ورداتها الأسود وهي تقترب من الورشة، وبعد خمس

دقائق، كان بوبى يمزق غلاف الخطاب الثانى لـ هرانكى.

(كتبت هرانكى) عزيزى بوبى، أظن أن الوقت قد حان لقدومك إلى هنا. ولقد أرسلت إلى المنزل تعليمات تقضى بإعطائك السيارة الـ بنتلى، متى طلبت منهم ذلك. احصل على ملابس مناسبة - ومن الأفضل أن تكون خضراء داكنة مثل ملابس مناشينا. ثم توجه إلى متاجر هارودز وأبلغ أبى بما حدث لى وكن دقيقًا فى وصف تفاصيل الحادث. ركز جيدًا فى تثبيت الشارب؛ فهو يصنع اختلافًا كبيرًا فى ملامح وجه أى شخص.

ثم تعال إلى هنا وسأل عنى. وربما يكون من الأفضل أن تدعى أن معك رسالة من أبى، وأخبرهم بأن السيارة قد تم تصليحها وهى تعمل بكفاءة مجددًا. إن الجراج الموجود بالمنزل هنا لا يتسع سوى لسيارتين فقط، وحيث إنه يحتوى الآن على السيارة الـ دايملر الخاصة بالأسرة وسيارة روجر باسينجتون فريتش ذات المقعدين فإنه، لحسن الحظ، لا يحتوى مكانًا شاغرًا. وعليه فسوف تضطر للذهاب إلى قرية ستافيرلى لوضع السيارة فى أحد الجراجات هناك.

احصل على أية معلومة محلية ممكنة عندما تكون هناك - وخاصة بخصوص الطبيب نيكلسون الذى يدير مصحة لعلاج مدمنى المخدرات. إن هناك عدة شبهات تتعلق بذلك الرجل - فهو يمتلك سيارة زرقاء داكنة من طراز تالبوت، وكان بعيدًا عن منزله فى يوم ١٦ من الشهر الماضى عندما تعرضت للتسمم، وهو أيضًا يهتم بشكل مبالغ فيه بتفاصيل الحادث الذى تعرضت له.

أظن أننى تعرفت على شخصية صاحب الجلالة!!

إلى اللقاء يا زميلى فى التحقيق.

كل الحب من صديقتك المصابة بالارتجاج،

هرانكى.

ملحوظة: سوف أضع هذا الخطاب بنفسى فى صندوق البريد.

ارتفعت الحالة المعنوية لـ بوبى إلى عنان السماء.

خلع بوبى ملابس العمل وأعلم بادجر بخبر اضطراره للسفر فى الحال. وكان على وشك الانطلاق عندما تذكر أنه لم يقرأ خطاب والده. قرأ بوبى خطاب والده بحماس متحفظ؛ حيث إن خطابات الموفر جونز كانت تكتب بدافع من الواجب وليس المتعة، وكانت تتميز بجو من التسامح الدينى المبالغ فيه والذى عادة ما كان يجلب الاكتئاب لقلب بوبى.

كتب الموفر جونز تحليلًا وجدانيًا لآخر المستجدات فى منطقة ماركبولت، واصفًا متاعبه الخاصة مع عازف الأرغن ومعبرًا عن سخطه من التصرفات غير المتسقة مع التعاليم الدينية والتى تصدر عن أحد مساعديه بدار العبادة. وكذلك ذكر الموفر جونز شيئًا عن عملية إعادة تغليف الكتب الدينية، وتمنى أن يكون بوبى ملتزمًا فى عمله بكل بسالة وأن يحاول أن يحسن من وضعه، وأن يتذكر دائمًا والده المحب للأبد.

وكانت هناك ملحوظة فى نهاية الرسالة:

بالمناسبة، لقد حضر أحدهم إلى المنزل وسأل عن عنوانك

في لندن. لقد كنت بالخارج في ذلك الوقت ولم يتذكر الرجل اسمه، لكن السيدة روبرتس وصفته بأنه كان رجلاً طويلاً، معتم الظهر، يرتدي نظارة أنفية، وقالت إنه بدا في شدة الأسف لأنه لم يقابلك، وهو عازم على اللهفة لرؤيتك مجددًا.

رجل طويل، معتم الظهر ويرتدي نظارة أنفية؟! بحث بوبي في عقله عن أحد من معارفه ممن قد ينطابق عليه هذا الوصف لكنه لم يستطع أن يتذكر أي أحد.

وفجأة شعر بوبي بإحساس من الشك يخترق عقله ـ أكانت هذه مقدمة لمحاولة جديدة للتخلص منه؟ هل يحاول هذا العدو الغامض ـ أو هؤلاء الأعداء ـ إزاحته من الطريق؟

جلس بوبي مكانه وظل يفكر بشكل جدي: فقد اكتشف هؤلاء الأعداء ـ أيًا كانوا ـ أنه قد غادر منطقته، وقد أعطتهم السيدة روبرتس عنوانه الجديد بحسن نية.

وعلى هذا فربما يكون هؤلاء الأشرار، أيًا كانوا، يراقبون الورشة في هذه اللحظة، ولو أنه غادر الورشة الآن، فسوف يتبعونه ـ ولن يكون ذلك شيئًا جيدًا للخطة التي يقوم ـ هو وفرانكي ـ بتنفيذها الآن.

وبعد فترة من التفكير، قال بوبي: "بادجر".

"نعم يا صديقي".

"تعال إلى هنا".

وانقضت الدقائق الخمس التالية في عمل شاق وجهد لا ينقطع. وبعد عشر دقائق صار بإمكان بادجر أن يردد التعليمات التي تلقاها من بوبي كأنه يحفظها عن ظهر قلب.

وعندما تأكد بوبي من أن بادجر صار يحفظ دوره جيدًا، استقل بوبي سيارة فيات ذات مقعدين، يرجع تاريخ إنتاجها إلى عام ١٩٠٢، وانطلق بها مسرعًا من المنطقة الصناعية. أوقف بوبي السيارة بميدان سانت جيمس وسار على قدميه من هناك حتى وصل إلى النادي الخاص به، وهناك أجرى بوبي بعض الاتصالات الهاتفية، وبعد ساعتين من ذلك التوقيت استلم بوبي طردًا خاصًا، وأخيرًا، وفي تمام الثالثة والنصف، خرج من النادي سائق يرتدي ملابس خضراء داكنة وسار حتى وصل إلى ميدان سانت جيمس وتوجه بسرعة إلى السيارة الـ بنتلي الضخمة التي كان أحدهم قد أوقفها في ذلك المكان منذ نصف ساعة مضت. وقد أومأ إليه حارس الموقف برأسه ـ فقد أخبره السيد النبيل الذي أوقف السيارة هناك، بطريقة نطقه المتلعثمة، أن السائق الخاص به سوف يحضر ويأخذ السيارة بعد وقت قصير.

داس بوبي بقدمه دواسة البنزين وانطلق بالسيارة بطريقة تنم عن مهارة سائق محترف، وظلت الفيات المهجورة واقفة في موضعها بتواضع شديد، تنتظر حضور مالكها. وبالرغم من الألم الشديد الذي كان بوبي يعانيه في شفته العليا، فقد كان يستمتع بوقته. قاد بوبي السيارة باتجاه الشمال وليس الجنوب، وقبل أن يمضي وقت طويل كانت السيارة القوية تنطلق بأقصى سرعة فوق طريق الشمال العظيم.

كان ذلك مجرد احتياط زائد من جانبه: فقد كان على يقين تام من أنه لا يوجد من يتبعه، وفي وقت لاحق اتجه بوبي

يسارًا وانطلق متوجهًا إلى هامبشاير من خلال مجموعة من الطرق الفرعية.

كانت الساعة قد تخطت الخامسة بقليل عندما دلفت السيارة البنتلى إلى ممر السير الخاص بمنزل ميروای كورت. يقودها سائق متمكن جامد الملامح.

قالت فرانكى بمرح: "مرحى...لقد وصلت سيارتى".

ثم تحركت إلى المدخل الأمامى، وبصحبتها روجر وسيلفيا.

"هل كل الأمور على ما يرام يا هوكينز؟".

مس السائق طرف قبعته وقال:

"نعم يا سيدتى ـ لقد تم إصلاحها بعناية فائقة".

"حسنًا".

ناولها السائق رسالة.

وقال: "رسالة من سيدى اللورد".

تناولت فرانكى الرسالة.

وقالت: "سيكون عليك أن تضع السيارة فى الموقف التابع للفندق...ما اسم ذلك الفندق... أنجلرز أرمس فى قرية ستافيرلى يا هوكينز، وسوف أتصل بك صباحًا إذا احتجت إلى السيارة".

"كما تأمرين يا سيدتى".

عاد بوبى بالسيارة إلى الخلف ثم استدار وانطلق بسرعة فوق ممر السير.

قالت سيلفيا: "أنا فى شدة الأسف لعدم وجود متسع

لسيارتك فى جراج منزلنا ـ إنها سيارة لطيفة للغاية".

قال روجر: "لابد أنك تقودين تلك السيارة بسرعة كبيرة".

قالت فرانكى: "هذا ما أفعله".

كانت فرانكى تشعر بالرضا لأنه لم تظهر على ملامح روجر أية أمارة تشير إلى تعرفه على بوبى، وكانت ستشعر باندهاش كبير لو أن ذلك قد حدث؛ فهى نفسها ما كانت لتتعرف على بوبى لو أنها كانت رأته بطريقة عابرة؛ فقد كان الشارب الصغير يبدو طبيعى المظهر تمامًا، وقد كان ذلك الشارب ـ إلى جانب الأسلوب الجاف الذى لا يمت إلى شخصية بوبى الحقيقية بأى صلة ـ كافيًا لإكمال تنكره الذى ازداد براعة من خلال ارتدائه للابس السائق.

وكان صوته أيضًا ممتازًا وبعيدًا كل البعد عن صوت بوبى الأصلى، وعليه فقد بدأت فرانكى تفكر فى أن بوبى كان بالفعل أكثر موهبة مما كانت تظن أو تتخيل.

وفى تلك الأثناء، كان بوبى قد أوى، بنجاح، إلى غرفته فى فندق أنجلرز أرمس.

كان بوبى يعلم أن خلق شخصية إدوارد هوكينز ـ السائق الخاص باللبدى فرانسيس دبرويت ـ أمر يتوقف عليه.

لم يكن بوبى يعلم الكثير عن سلوك السائقين فى حياتهم الخاصة، لكنه تخيل أن التصرف بشىء من العجرفة البسيطة لن يكون أمرًا خاطئًا. وقد حاول أن يقنع نفسه بأنه شخص رفيع المقام وأن يتصرف طبقًا لذلك، وقد كان لنظرات الإعجاب

التى تلقاها من عدد من الشابات العاملات بفندق أنجلرز أرمس تأثير مشجع واضح، وسرعان ما علم بوبى أن فرانكى والحادث الذى تعرضت له هما الموضوع الرئيسى للحوارات التى تجرى فى قرية ستافيرلى منذ وقوع ذلك الحادث. توجه بوبى إلى صاحب الفندق - وكان رجلًا سمينًا ولطيفًا يدعى توماس أسكيو - وتجاذب معه أطراف الحديث، تاركًا المعلومات تنساب من بين شفتيه.

قال السيد أسكيو: "لقد كان الصبى ريفز هناك، وشاهد الحادث".

شعر بوبى بامتنان كبير تجاه ذلك الميل الفطرى لدى الشباب الصغير نحو اختلاق الأكاذيب: فقد صار الحادث الشهير موثقًا الآن بأقوال شاهد عيان.

أكمل السيد أسكيو كلامه قائلًا: "لقد شعر الفتى بأن لحظة موته قد حانت... فقد كانت السيارة تهبط التل بأقصى سرعة وهى متجهة إليه... لكنها فى آخر لحظة ارتطمت بالسور، وكانت معجزة أن الفتاة الشابة التى كانت تقودها لم تلق حتفها فى الحادث".

قال بوبى: "ليس من السهل أن تلقى سيدتى حتفها فى حادث".

"هل تعرضت لحوادث كثيرة من قبل؟".

قال بوبى: "لقد كانت محظوظة، لكننى أؤكد لك، يا سيد أسكيو، أنه عندما تقوم سيدتى بقيادة السيارة بدلًا منى - كما هى عادتها فى بعض الأحيان - فإننى أحس حينها أن ساعة

وفاتى قد حانت".

هز بعض الواقفين رءوسهم بحكمة وقالوا إنهم لا يرون عجبًا فى وقوع حادث كهذا لفتاة تقود سيارتها بتلك السرعة الجنونية، وأن ذلك هو ما خمنوه من البداية.

قال بوبى بلطف لا يخلو من لمحة من التعالى: "إن فندقك الصغير لطيف للغاية يا سيد أسكيو... لطيف ويوحى بالراحة".

ارتسمت تعبيرات الرضا على محيا السيد أسكيو.

وقال بوبى: "هل منزل ميروای كورت هو المنزل الكبير الوحيد فى المنطقة؟".

"حسنًا، هناك الجرانج يا سيد هوكينز، رغم أنه لا يمكن وصفه بالمنزل، فلا توجد عائلة تعيش فيه، بل لقد ظل المكان خاويًا لسنوات حتى اشتراه ذلك الطبيب الأميركى".

"الطبيب الأميركى؟".

"نعم... واسمه نيكلسون. وإذا أردت رأيى يا سيد هوكينز، فهناك أشياء غريبة للغاية تحدث فى ذلك المكان".

عقبت النادلة على كلام السيد أسكيو، قائلة إنها تشعر بقشعريرة كلما رأت الطبيب نيكلسون.

قال بوبى: "ماذا كنت تقصد بـ"أشياء غريبة تحدث فى ذلك المكان "يا سيد أسكيو؟".

هز السيد أسكيو رأسه بوجوم.

وقال: "هناك أشخاص موجودون فى ذلك المكان رغمًا عنهم... أولئك الذين وضعهم أقرباؤهم فى تلك المصحة. إننى

أؤكد لك يا سيد هوكينز أن الصرخات والتأوهات والصيحات التي تصدر من داخل أسوار ذلك المكان لا يمكن تخيلها".

"ولماذا لا يتدخل رجال الشرطة في الأمر؟".

"أوه، حسنًا... من المفترض، كما تعرف، أن هذه الأمور عادية في حالات مرضى الأعصاب والمصابين بحالات من الجنون البسيط، علاوة على أن صاحب المكان طبيب متخصص، ومن المفترض أنه يعرف جيدًا ماذا يفعل...".

وهنا رفع صاحب الفندق قدح الشراب إلى أعلى حتى اختفى رأسه داخل الوعاء المعدني ثم وضعه مجددًا وهو يهز رأسه بطريقة توحي بالتشكك.

قال بوبي بنبرة ذات مغزى: "آه! لو أننا فقط نستطيع أن نعلم ماذا يحدث في تلك الأماكن...".

وقام هو الآخر برفع قدح شرابه وتناول منه جرعة كبيرة.

صبت النادلة مزيدًا من الشراب في قدحيهما بحماس شديد.

وقال السيد أسكيو: "هذا ما أقوله يا سيد هوكينز ـ ما الذي يحدث هناك؟ في إحدى الليالي فرت من المكان شابة صغيرة ورقيقة الملامح ـ وكانت ترتدي رداء النوم ـ وقد خرج الطبيب واثنتان من الممرضات بحثًا عنها، وقد ظلت المسكينة تصرخ: "أوه! لا تدعُوهم يعيدوني إلى ذلك المكان!" لقد كانت مسألة مؤلمة، وخاصة عندما علمنا أنها شابة غنية وأن أقرباءها هم من وضعوها في ذلك المكان، على أية حال، لقد أعادوها إلى هناك بالفعل، وقد شرح لنا الطبيب حالتها وقال إنها مصابة

بجنون الاضطهاد ـ هذا هو الاسم الذي أطلقه على حالتها ـ وقال إنها تعتقد أن جميع الناس يقفون ضدها، لكنني كثيرًا ما تساءلت ـ نعم، لقد فعلت، لقد تساءلت كثيرًا...". ثم أطبق السيد أسكيو فمه ولم يكمل.

وأخيرًا أضاف: "آه! من السهل أن أقول...".

فقاطعه أحد الحاضرين قائلًا إنه لا توجد طريقة لمعرفة ما يدور داخل تلك الأماكن، ثم قال شخص آخر كلامًا مشابهًا لذلك.

وأخيرًا انفض الاجتماع وأعلن بوبي عن نيته في التمشية قليلًا قبل العودة إلى غرفته بالفندق.

كان بوبي يعلم أن مصحة جرانج تقع عند الطرف الآخر من القرية، في الجهة المقابلة لمنزل ميروای كورت، وعليه فقد استدار وبدأ السير بذلك الاتجاه، وقد بدا له أن ما سمعه في تلك الليلة يستحق الاهتمام. بالطبع يمكن التشكيك في الكثير منه؛ فالقرويون عادة ما يكرهون الوافدين الجدد، وخاصة إذا كان هؤلاء الوافدون الجدد من جنسية مختلفة، ولو أن الطبيب نيكلسون يدير مصحة لعلاج مدمني المخدرات، فمن الطبيعي أن يكون هناك أصوات غريبة صادرة من داخل المكان ـ ومن الممكن أن تكون هناك أصوات تأوهات، بل وصرخات، دون أن يكون هناك سبب غير طبيعي وراءها، لكن قصة تلك الفتاة الهاربة أزعجت بوبي بشكل كبير.

ماذا لو أن مصحة جرانج كانت بالفعل مكانًا يحتجز فيه الناس رغمًا عنهم؟ ولربما قام المسئولون عنه باستقبال عدد

من المرضى الحقيقيين كنوع من التغطية على ما يحدث داخل المصحة.

وعند هذه النقطة في تأملاته، وصل بوبي إلى سور مرتفع به بوابات من الحديد المزخرف. تقدم بوبي من إحدى البوابات وحاول فتحها برفق، لكنها كانت مغلقة بالقفل. قال بوبي لنفسه: "حسنًا... من الطبيعي أن يحكموا إغلاق بوابات مكان كهذا!!".

ومع ذلك فقد أعطاه ملمس تلك البوابة المغلقة شعورًا خفيًا بالخوف والريبة. وقد بدا المكان أمام عينيه أشبه بسجن.

تحرك بوبي قليلًا على طول الطريق، متفحصًا السور بعينيه. وظل يسأل نفسه: هل من الممكن تسلق ذلك السور؟ كان السور أملس ومرتفعًا وليس به أي شقوق أو نتوءات تساعد على التسلق. هز بوبي رأسه في خيبة أمل. وفجأة وصل إلى باب صغير، ودون شعور كبير بالأمل، حاول بوبي فتح الباب. ولدهشته الشديدة، انفتح الباب ببساطة. وبدا واضحًا أنه لم يكن محكم الإغلاق.

قال بوبي لنفسه وهو يبتسم: "لقد تجاهل أحدهم إغلاق هذا الباب".

دلف بوبي إلى الداخل وأغلق الباب خلفه برفق.

وجد بوبي نفسه داخل ممر يخترق مجموعة كثيفة من الشجيرات. وتبع بوبي الممر الذي كان كثير التعرجات، لدرجة أنه ذكّر بوبي بممرات الغابة التي كانت تخوضها أليس في بلاد العجائب.

وفجأة، ودون أي إنذار، انعطف الممر بحدة وانتهى بساحة قريبة من المنزل. كانت الليلة مقمرة مما جعل الساحة مغمورة بضوء القمر. ووجد بوبي نفسه يقف في وسط الساحة المقمرة قبل أن يتمكن من التوقف.

وفي نفس تلك اللحظة ظهر ظل امرأة من وراء زاوية المنزل. كانت المرأة تسير وهي تتحسس خطواتها، وتختلس النظر إلى اليمين واليسار وكأنها ـ أو هكذا خيل لـ بوبي الذي كان يراقبها ـ كانت تسير بعصبية وحذر حيوان مطارد. وفجأة تسمرت المرأة في مكانها دون حراك، وقد ترنحت كما لو أنها ستسقط على الأرض.

اندفع بوبي إلى الأمام وأمسك بها. كانت شفتاها شاحبتين، وقد أحس بوبي بأنه لم ير في حياته مثل هذا القدر من الخوف مرتسمًا على ملامح إنسان.

قال بوبي بصوت خفيض ونبرة مطمئنة: "أنت بخير... كل الأمور على ما يرام".

تأوهت الفتاة بصوت خافت، وكانت جفونها شبه مقفولة.

ثم تمتمت: "أنا في شدة الخوف... أنا خائفة للغاية".

قال بوبي: "ماذا هناك؟".

اكتفت الفتاة بأن هزت رأسها وقالت مجددًا:

"أنا في شدة الخوف... أنا خائفة للغاية".

وفجأة بدا كأن صوتًا ما قد وصل إلى مسامعها، فهبت واقفة واندفعت بعيدًا عن بوبي، ثم استدارت إليه مجددًا.

وقالت: "اذهب من هنا... اذهب من هنا على الفور".

قال بوبى: "أريد أن أساعدك".

ردت الفتاة: "أحقًا تريد مساعدتى؟"، ثم نظرت إليه لدقيقة أو اثنتين، وعلت وجهها نظرة غريبة بها مزيج من الاستكشاف والاستعطاف بدا وكأنها قد استكشفت خبايا نفسه.

ثم هزت الفتاة رأسها وقالت:

"لا أحد يستطيع مساعدتى".

قال بوبى: "أنا أستطيع، وسوف أفعل أى شىء تريدين ـ فقط أخبرينى بما يخيفك إلى هذه الدرجة".

هزت الفتاة رأسها مجددًا.

وقالت: "ليس الآن...أوه! أسرع ـ إنهم قادمون! لا يمكنك مساعدتى إذا لم تذهب الآن ـ اذهب الآن...هيا".

استجاب بوبى لإلحاحها.

وقال هامسًا: "أنا مقيم بفندق أنجلرز أرمس"، ثم اندفع يعدو على طول الممر، وكان آخر ما رآه منها هو إشارة من يدها تطلب منه أن يسرع الخطى.

وفجأة سمع بوبى وقع أقدام تقترب أمامه ـ كان أحدهم يقترب على طول الممر المؤدى إلى الباب الصغير فاندفع بوبى بسرعة إلى داخل الشجيرات الكثيفة التى تحيط بجانب الممر.

ولم يكن بوبى مخطئًا: فقد كان هناك رجل قادم على الممر، وقد مر الرجل بالقرب من بوبى، لكن المكان كان مظلمًا للغاية بحيث لم يستطع بوبى التعرف على ملامحه.

وعندما مر الرجل، عاد بوبى إلى طريقه مجددًا، وشعر أنه لن يستطيع فعل أى شىء آخر فى تلك الليلة.

لكن رأسه كان يدور بشدة.

وذلك لأنه قد تعرف على الفتاة ـ تعرف عليها دون أدنى شك!

لقد كانت نفس الفتاة التى وجد صورتها فى جيب الرجل القتيل والتى اختفت بعد ذلك بشكل غامض.

الفصل ١٦

بوبى يصبح محاميًا

"سيد هوكينز؟".

أجاب بوبى بصوت مكتوم من جراء امتلاء فمه بكمية كبيرة من اللحم المقدد والبيض: "نعم".

"هناك مكالمة هاتفية لك".

احتسى بوبى رشفة سريعة من فنجان القهوة، ثم مسح فمه وهب واقفًا. كان الهاتف موضوعًا فى ممر صغير مظلم بالفندق. التقط بوبى السماعة.

فانساب إلى أذنه صوت فرانكى وهى تقول عبر الهاتف: "مرحبًا".

فقال بوبى دون احتراس: "مرحبًا فرانكى".

قالت فرانكى ببرود: "هذه هى الليدى فرانسيس ديوينت - هل أنت هوكينز؟".

"نعم يا سيدتى".

"سوف أحتاج إلى السيارة فى تمام العاشرة لكى تقلنى إلى

لندن".

قال بوبي: "كما تشائين يا سيدتي".

ثم وضع سماعة الهاتف.

قال بوبي لنفسه: "متى يجب أن يقول المرء "نعم يا سيدتي" ومتى يجب أن يقول "نعم يا صاحبة العصمة"؟ يجب أن أعلم الوقت المناسب لكل أسلوب خطاب. لكني لا أعرف ذلك حتى الآن - إن هذه التصرفات هي التي قد تجعل سائقًا حقيقيًا أو رئيس خدم يكشفني".

وفي الناحية الأخرى، وضعت فرانكي سماعة الهاتف ثم استدارت تواجه روجر باسينجتون فرينش.

وقالت بهدوء: "إنه لشيء مزعج أن أضطر إلى الذهاب إلى لندن اليوم، وكل ذلك بسبب الجلبة التي يحدثها والدي".

قال روجر: "لكنك ستعودين هذه الليلة، أليس كذلك؟".

"أوه، نعم!".

قال روجر بتهور: "كنت على وشك أن أطلب منك أن توصليني إلى المدينة بسيارتك".

صمتت فرانكي للحظة خاطفة قبل أن تجيب باستعداد واضح:

"طبعًا، بلا شك".

أردف روجر يقول: "لكنني راجعت نفسي وقررت ألا أذهب إلى المدينة اليوم؛ حيث إن هنري يبدو أكثر غرابة من المعتاد. ولا أود أن أترك سيلفيا بمفردها معه وهو في هذه الحال".

قالت فرانكي: "أعلم ذلك".

سأل روجر بشكل عارض وهما يتحركان بعيدًا عن الهاتف: "هل ستقودين السيارة بنفسك؟".

"نعم، لكني سأصطحب هوكينز معي؛ حيث سأقوم ببعض التسوق أيضًا، ولن يمكنني ترك السيارة بمفردها في أي مكان تسوق فيه".

"نعم، بالطبع".

لم يقل روجر شيئًا آخر، لكن عندما وصلت السيارة إلى باب المنزل - وقد جلس بوبي خلف عجلة القيادة بجمود والتزام سائق محترف - خرج روجر إلى عتبة الباب ليودع فرانكي.

قالت فرانكي: "إلى اللقاء".

لم تفكر فرانكي، في ظل تلك الظروف، أن تمد يدها مصافحة، لكن روجر أمسك بيدها بين يديه وقال بإصرار واضح:

"سوف تعودين إلى هنا مجددًا؟".

ضحكت فرانكي وقالت:

"بالطبع. إنما قصدت إلى اللقاء حتى أراك هذه الليلة".

"لا تعرضي نفسك للمزيد من الحوادث".

"سوف أجعل هوكينز يقود السيارة إن شئت".

اندفعت فرانكي تجلس في المقعد المجاور لـ بوبي، وحرك ذلك الأخير قبعته تحية لها، ثم انطلقت السيارة على ممر السير. وظل روجر واقفًا على عتبة المنزل يتطلع إليهما.

قالت فرانكي: "بوبي، أتظن أنه من الممكن أن يكون روجر قد وقع في غرامي؟".

فسألها بوبى: "هل حدث ذلك بالفعل؟".

"حسنًا... إننى أتساءل فقط".

فقال بوبى: "أعتقد أنك تعرفين أعراض الوقوع فى الحب بشكل جيد".

لكنه نطق بتلك الكلمات دون تفكير؛ مما جعل فرانكى تصوب إليه نظرة سريعة.

وأخيرًا قالت متسائلة: "هل حدث... أى شىء؟".

"نعم لقد حدث شىء ما ـ لقد عثرت على صاحبة الصورة الأصلية يا فرانكى!".

"أتقصد الفتاة التى تحدثت كثيرًا عنها... تلك الفتاة التى كانت بالصورة التى وجدتها فى جيب الرجل الميت؟".

"نعم".

"بوبى! لدىّ بعض الأشياء التى أريد إخبارك بها ولكنها لا تقارن بأهمية هذا الخبر ـ أين وجدت تلك الفتاة؟"

"فى مصحة الطبيب نيكلسون".

"أخبرنى بالأمر تفصيلاً".

فقص عليها بوبى أحداث الليلة الماضية بكل حذر ودون إهمال لأى تفاصيل. وقد استمعت إليه فرانكى مبهورة الأنفاس.

ثم قالت: "إذن فنحن على الطريق الصحيح. والطبيب نيكلسون متورط فى كل هذه الأمور! إننى أخشى هذا الرجل".

"وكيف يبدو الطبيب نيكلسون هذا؟".

"أوه! قوى وشديد المراس ـ وتحس بأن عينيه تراقبانك عن عمد من خلف نظارته. وبطريقة تجعلك تشعر أنه يعرف كل

شىء عنك".

"ومتى قابلته؟".

"لقد حضر لتناول العشاء بالمنزل".

ثم حكت له تفاصيل حفل العشاء وإصرار الطبيب نيكلسون على تقصى تفاصيل "الحادث" الذى وقع لها.

ثم اختتمت كلامها قائلة: "لقد شعرت بأنه متشكك فى الأمر".

قال بوبى: "من الغريب بالطبع أن يتقصى تفاصيل الحادث بهذه الطريقة ـ ماذا وراء كل هذه الأمور يا فرانكى فى اعتقادك؟".

"حسنًا، لقد بدأت أميل إلى تصديق نظريتك بشأن وجود عصابة للاتجار فى المخدرات، والتى كنت قد سخرت منها بشدة عندما اقترحتها للوهلة الأولى، ولكنى الآن لا أعتقد أنها فكرة بعيدة عن الواقع".

"والطبيب نيكلسون هو رئيس هذه العصابة؟".

"نعم، وهذه المصحة التى يديرها تمثل غطاءً ممتازًا لممارسة هذا النوع من الإجرام؛ فلا بد من وجود كمية محددة من العقاقير المخدرة بشكل قانونى داخل المصحة، وبينما يتظاهر الرجل بشفاء مدمنى المخدرات فإنه فى الحقيقة يُدمنهم بها".

قال بوبى موافقًا: "تبدو فكرة معقولة إلى حد ما".

"إننى لم أخبرك بعد بشأن هنرى باسينجتون فرينش".

أنصت بوبى باهتمام إلى وصفها للحالة النفسية المضطربة

التي يعاني منها مصيفها".

قال بوبي: "ألا ترتاب زوجته في أي شيء؟".

"أنا واثقة من أنها لا تشك في شيء".

"وكيف هي شخصيتها؟ أهي ذكية؟".

"أنا لم أفكر في هذا الأمر تحديدًا. كلا، أظن أنها ليست ذكية للغاية. ومع ذلك فهي تبدو حادة الذهن في أمور معينة - خلاصة القول أنها امرأة صريحة ولطيفة".

"وماذا عن صديقنا روجر باسينجتون هريش؟".

ردت فرانكي ببطء: "هنا تكمن حيرتي - هل تظن يا بوبي أننا قد نكون مخطئين بشأنه على طول الخط؟".

قال بوبي: "هراء! لقد بحثنا الأمر مليًا وخلُصنا إلى أنه لابد أن يكون الشخص الشرير في هذه القضية".

"بسبب مسألة تبديل الصورة؟".

"بسبب مسألة تبديل الصورة؛ فما كان بإمكان أي شخص آخر تبديل الصورتين سواه".

قالت فرانكي: "أعرف ذلك، لكن هذه النقطة هي كل ما لدينا ضده".

"إنها كافية بالنسبة لي".

"أعتقد أنك على حق، ومع ذلك...".

"مع ذلك ماذا؟".

"لست أدري، لكنّ لدي إحساسًا غريبًا بأنه بريء - وأنه لا علاقة له بالمسألة كلها".

نظر إليها بوبي ببرود، ثم تساءل بأدب:

"هل قلت إنه قد وقع في هواك أم أنك أنت من وقع في غرامه؟".

تخضبت وجنتا فرانكي بحمرة الخجل.

وقالت: "لا تكن سخيفًا يا بوبي، فقد كنت فقط أتساءل عما إذا ما كان هناك تفسير بريء لقيامه بتبديل الصورتين، هذا كل ما في الأمر".

"لست أرى أنه من الممكن أن يكون هناك تفسير بريء لذلك، وخاصة بعد أن وجدنا الفتاة في مكان قريب من منزله، لكن مسألة تورطه مسألة منتهية ولا شك فيها. لو أننا فقط نمتلك أي دليل على شخصية الرجل الحقيقية...".

"أوه، لكننا بالفعل نمتلك دليلًا. ولقد أخبرتك بذلك في خطابي؛ فأنا شبه متأكدة من أن الرجل الميت كان يدعى آلان كارستيرز".

ومرة أخرى عادت فرانكي إلى سرد المزيد من الأحداث.

قال بوبي: "أتدرين؟ إنني أحس أننا قد اقتربنا بشدة، والآن علينا أن نحاول - بطريقة أو بأخرى - أن نعيد تخيل الجريمة. دعينا نضع الحقائق على الطاولة لنرى إلى أي تصور سوف تقودنا".

صعت بوبي للعطة وأبطأت السيارة من سرعتها وكأنما تتعاطف معه، ثم ضغط بوبي مجددًا على دواسة البنزين، وفي نفس الوقت عاد للتحدث مجددًا:

"سنفترض أولًا أنك على حق في أن الرجل الميت هو آلان كارستيرز، وأنك متأكدة من أن مواصفات الرجل الميت تنطبق

عليه: فهو من ذلك النوع الجيد من الرجال، وقد عاش حياة الترحال، ولديه عدد محدود من الأصدقاء والمعارف في لندن، ومن غير المحتمل أن يحس أحدهم باختفائه أو يبحث عنه.

"هذا جيد حتى الآن. لقد حضر آلان كارستيرز إلى قرية ستافيرلي بصحبة تلك العائلة ـ ما الاسم الذي ذكرته لتلك العائلة...؟".

"آل ريفنجتون ـ وهما يمثلان بداية خيط جيد للتحري. وأظن أن علينا أن نتابع تقصي هذه المسألة".

"سوف نفعل، حسنًا... لقد حضر آلان كارستيرز إلى قرية ستافيرلي بصحبة آل ريفنجتون. والآن، هل هناك ما يثير الريبة في هذا الأمر؟".

"أتقصد أنه قد يكون قد طلب منهما إحضاره إلى هنا بشكل متعمد؟".

"هذا ما أعنيه ـ أم أن المسألة برمتها كانت مجرد صدفة؟ هل حضر بصحبتهما إلى هنا بمحض الصدفة ثم تصادف أن قابل تلك الفتاة كما حدث معي؟ إنني أعتقد أنه كان يعرفها من قبل، وإلا لما كان قد وضع صورتها في جيبه".

قالت فرانكي بتأمل: "والفرضية البديلة هي أنه كان بالفعل يتقصى أمر الطبيب نيكلسون وعصابته".

"واستخدم آل ريفنجتون كوسيلة للوصول إلى المنطقة بشكل طبيعي؟".

قالت فرانكي: "هذه فرضية معقولة للغاية؛ فربما كان الرجل يتحرى أمر العصابة بالفعل".

"أو أنه كان يبحث عن الفتاة؟".

"الفتاة؟".

"نعم ـ فربما تكون قد تعرضت للخطف، وربما يكون قد حضر إلى إنجلترا للعثور عليها".

"لكن إذا كان قد تتبع آثارها إلى قرية ستافيرلي، فما الذي يجعله يذهب إلى ويلز؟".

قال بوبي: "من الواضح أن هناك الكثير الذي لا نعرفه".

قالت فرانكي بتفكر: "إيفانز! حتى الآن لم نعثر على أي خيط يقودنا إلى إيفانز هذا، ولابد أن دوره في الأحداث له علاقة بـ ويلز".

خيم الصمت عليهما للحظات، ثم أفاقت فرانكي من تأملاتها حين تعرفت على معالم المنطقة المحيطة بهما.

"يا إلهي! إننا بالفعل في منطقة بونتي هيل ـ لقد بدا وكأننا قد قدنا السيارة لخمس دقائق فقط. إلى أين سنذهب وما الذي سنفعله؟".

"أنت من سيقرر ذلك ـ أنا لا أدري لماذا جئنا إلى المدينة من الأساس".

"لقد كان الذهاب إلى المدينة مجرد عذر لأجد فرصة للتحدث إليك؛ فما كنت لأخاطر بأن يراني أحد وأنا أسير في طرقات قرية ستافيرلي وأنا منخرطة في محادثة جدية مع السائق الخاص بي. لقد استخدمت الخطاب المزيف الذي زعمت أن والدي قد أرسله كتبرير لقيادة السيارة إلى المدينة والتحدث إليك طوال الطريق، وحتى ذلك المخطط كاد يفشل

عندما طلب روجر باسينجتون فرينش اصطحابه إلى المدينة في سيارتي".

"كان ذلك سيدمر مخططك تمامًا".

"ليس إلى هذا الحد ـ كنت سأوصله إلى حيث يريد الذهاب، وبعدها كنا سنذهب إلى شارع بروك للتحدث هناك. أظن أنه من الأفضل أن نذهب إلى هناك على أية حال؛ إذ ربما تكون ورشتك مراقبة".

وافق بوبي على فكرتها وقص عليها حكاية الأشخاص الذين سألوا عنه في ماركيولت.

قالت فرانكي: "سوف نذهب إلى منزلنا بالمدينة، فلا يوجد به سوى خادمتي وعدد من الحراس".

قاد بوبي السيارة إلى شارع بروك، وعندما وصلا إلى بوابة المنزل، قرعت فرانكي الجرس ففتح لها البواب ودلفت إلى الداخل، وبقي بوبي بالخارج. وبعد لحظات، فتحت فرانكي الباب مجددًا واصطحبت بوبي للداخل وصعدا إلى الطابق العلوي، ودخلا قاعة استقبال ضخمة، ثم فتحا بعض ستائر النوافذ وأزالا الأغطية من فوق إحدى الأرائك.

قالت فرانكي: "هناك شيء آخر نسيت أن أخبرك به ـ في يوم السادس عشر من الشهر الماضي ـ اليوم الذي تعرضت فيه للتسمم ـ كان روجر باسينجتون فرينش موجودًا في قرية ستافيرلي، لكن الطبيب نيكلسون كان مسافرًا ـ من المفترض ـ لحضور مؤتمر في لندن، وهو يمتلك سيارة تالبوت داكنة الزرقة".

قال بوبي: "وتحت تصرفه كمية كبيرة من المورفين".

تبادل كلاهما نظرة ذات مغزى.

وقال بوبي: "هذا ليس دليلًا قاطعًا بالتأكيد، لكنه افتراض يتطابق مع الوقائع بشكل جيد".

سارت فرانكي إلى طاولة موضوعة بأحد الأركان، وعادت تحمل في يدها دليل الهاتف.

قال بوبي: "ماذا ستفعلين؟".

"سوف أبحث عن رقم هاتف عائلة ريفنجتون".

قلبت فرانكي صفحات الدليل بسرعة وهي تقول:

"إيه. ريفنجتون وأولاده لأعمال البناء... بي. إيه. سي ريفنجتون، جراح أسنان... دي. ريفنجتون، شركة شوترس هيل، لا أعتقد أنه من نبحث عنه. الآنسة فلورنس ريفنجتون، الكولونيل تشي. ريفنجتون، ضابط حاصل على وسام الاستحقاق ـ هذا أقرب إلى ما نبحث عنه ـ شارع ثايت، تشيلسي".

استمرت فرانكي في البحث.

"وهناك أيضًا إم. آر. ريفنجتون، ميدان أونسلو. من المحتمل أن يكون هو من نبحث عنه. وهناك أيضًا ويليام ريفنجتون بشارع هامستيد. أظن أن الرجلين المقيمين بميدان أونسلو وشارع ثايت هما الأكثر ترجيحًا ـ يجب أن نقابل آل ريفنجتون بدون تأخير يا بوبي".

"أظن أنك على حق، لكن ماذا سنقول لهما؟ عليك أن تبتكري بعض الأكاذيب المقنعة يا فرانكي؛ فأنا لست بارعًا في هذه الأمور".

ظلت فرانكي تفكر لدقيقة أو اثنتين.

ثم قالت: "أعتقد أنه من الأفضل أن تذهب أنت إليهما ـ هل تظن أنه بإمكانك أن تمثل دور محام ناشئ بشركة محاماة؟".

قال بوبي: "يبدو كدور نبيل ومحترم للغاية ـ لقد كنت أخشى أن تفكري لي في دور أسوأ من ذلك بكثير. على أية حال، لا أظن أنها شخصية ذات طابع منزلي، ألا ترين ذلك؟".

"ماذا تقصد؟".

"حسنًا... المحامون لا يقومون بزيارات منزلية، أليس كذلك؟ إنهم بالطبع يرسلون خطابات بالبريد العادي في بعض الأحيان، أو يكتبون إلى أحدهم ليطلبوا منه تحديد مقابلة بمكاتبهم".

قالت فرانكي: "هذه الشركة القانونية ذات طابع غير تقليدي ـ انتظر لحظة".

غادرت فرانكي الحجرة وعادت تحمل في يدها بطاقة.

وقالت وهي تناول البطاقة لـ بوبي: "السيد فردريك سيراج، أنت محام شاب بشركة سيراج ـ شركة جينكسون وسيراج القانونية، ومقرها ميدان بلومبيسبري".

"هل اخترعت هذه الشركة يا فرانكي؟".

"بالطبع لا. إنها شركة المحاماة الخاصة بوالدي".

"وماذا لو أنهم اتهموني بانتحال شخصية السيد سيراج هذا؟".

"لا تخش شيئًا؛ فلا يوجد أي محام شاب يدعى سيراج بالشركة، والسيد سيراج الوحيد عمره قد تجاوز المائة عام، وهو تحت سيطرتي تمامًا، وسوف أتولى أمره إذا ساءت الأمور".

فهو رجل شديد التملق ويحب اللوردات والشخصيات النبيلة، مهما ضعُف المقابل المادي الذي يتلقاه منهم".

"ماذا عن الملابس؟ هل أتصل بـ بادجر وأطلب منه أن يحضر لي بعضها؟".

بدت فرانكي متشككة.

ثم قالت: "أنا لا أريد أن أسخر من ملابسك أو أهين شرفك أو أي شيء من هذا القبيل يا بوبي، لكن أتظن أن ملابسك ستكون مقنعة؟ أظن أنه من الأفضل أن تقتحم خزانة ملابس والدي؛ فلا أظن أن ملابسه ستكون فضفاضة عليك بشكل كبير".

بعد ربع ساعة، وقف بوبي يتطلع إلى نفسه في مرآة خزانة ملابس اللورد مارشينجتون وقد ارتدى معطفًا صباحيًا وسروالًا مخططًا جيد التفصيل ومتناسقًا مع جسمه إلى حد كبير.

قال بوبي بلطف: "إن والدك يحسن اختيار ملابسه ـ إنني أشعر بثقة متزايدة وأنا أرتدي هذه الملابس التي صممها أفخم الخياطين في لندن".

قالت فرانكي: "أظن أن عليك أن تحتفظ بشاربك المستعار".

فرد بوبي: "لا أظنه سيترك وجهي بسهولة؛ فهو تحفة فنية لا يمكن تكرارها في وقت قصير".

"عليك أن تحتفظ به إذن، رغم أنه من المفضل أن يكون المحامي حليق الشارب".

قال بوبي: " الآن يا فرانكي، أتظنين أن والدك سيمانع إذا استعرت إحدى قبعاته؟".

الفصل ١٧

حديث السيدة ريفنجتون

قال بوبي بعدما توقف عند درجة الباب: "ماذا لو كان هذا المدعو إم. آر. ريفنجتون محاميًا هو الآخر؟ عندئذٍ سنكون الكارثة!".

قالت فرانكي: "من الأفضل لك أن تذهب إلى الكولونيل الذي يقطن بشارع تايت أولاً؛ فهو بالتأكيد لا يعلم شيئاً عن المحامين".

وبهذا استقل بوبي سيارة أجرة وتوجه إلى شارع تايت - لم يكن السيد ريفنجتون بالمنزل، لكن السيدة ريفنجتون كانت هناك. أعطى بوبي لخادمة ردهة الاستقبال الذكية بطاقة التعريف الخاصة به، والتي كتب عليها "*من السادة سبراج، في شركة سبراج، جينكسون، وسبراج القانونية - أمر عاجل للغاية*".

وقد ولدت البطاقة وملابس اللورد مارشينجتون الانطباع المراد لدى الخادمة؛ فلم تشك للحظة أن بوبي قد يكون أحد

بائعى النماذج المصغرة للبضائع، أو ممن يطوفون فى المدينة للترويج لبوليصات التأمين؛ فقادته إلى غرفة استقبال زاخرة بالأثاث الباهظ. وبعد قليل جاءت إلى الغرفة السيدة ريفنجتون والتى كانت ترتدى ملابس جميلة وغالية وتضع مساحيق تجميل تتسم بذات الشىء.

قال بوبى: "لابد أن أعتذر عن إزعاجك يا سيدة ريفنجتون، ولكن الأمر كان مُلحًّا. أردنا تجنب تأخر الخطابات".

إن وجود محام يريد تجنب التأخير يبدو أمرًا مستحيلاً بشكل جلى؛ حتى إنّ بوبى تساءل فى قلق عما إذا كانت السيدة ريفنجتون ستكتشف خدعته.

ولكن كان من الواضح أن السيدة ريفنجتون كانت امرأة جميلة أكثر منها ذكية ـ تتقبل الأشياء كما تأتيها.

قالت: "لا عليك، اجلس من فضلك! لقد تلقيت لتوى مكالمة هاتفية من مكتبك علمت من خلالها أنك فى طريقك إلى هنا".

استحسن بوبى هذا التصرف الذكى الذى بدر من فرانكى فى اللحظة الأخيرة.

جلس وهو يحاول أن يبدو مثل رجال القانون.

ثم قال: "إن الأمر يخصوص عميلنا ـــ السيد ألان كارستيرز".

"حقًا؟".

"ربما يكون قد ذكر أننا نمثله".

قالت السيدة ريفنجتون وهى تحدق بعينيها الزرقاوين

"هل قام بذلك؟ أعتقد أنه فعل". ويبدو أنها كانت من النوع السهل التأثر بالإيحاء. "ولكننى سمعت عنكم ـ ألستم من مثلتم دولى مالترافرز حينما أطلقت النار على ذلك الخياط البغيض؟ أعتقد أنك تعلم كل التفاصيل".

نظرت إليه بفضول شديد. وبدا لبوبى أن السيدة ريفنجتون سوف تكون صيدًا سهلاً.

قال مبتسمًا: " نحن نعلم الكثير مما لا يرد ذكره فى المحاكم".

نظرت إليه السيدة ريفنجتون فى غبطة وقالت: "لابد من هذا. أخبرنى، هل كانت حقًا ـ أعنى هل كانت ترتدى ما قالت هذه السيدة أنها كانت ترتديه؟".

قال بوبى برزانة: "لقد تم تكذيب هذه الرواية فى المحكمة".

وقام بإسقاط جانب حقيبته قليلاً.

قالت السيدة ريفنجتون فى سعادة غامرة: "أوه، إننى أتفهم هذا".

قال بوبى وهو يشعر أنه بنى علاقة ودية مع السيدة ويمكنه بدء القيام بالمهمة التى أتى من أجلها: "بشأن السيد كارستيرز ـ لقد غادر انجلترا فجأة، كما تعلمين على الأرجح؟".

هزت السيدة ريفنجتون رأسها وقالت:

"هل غادر انجلترا؟ لم أكن أعلم هذا؛ فنحن إننا لم نره منذ فترة".

"هل أخبركما عن المدة التى كان يتوقع بقاءه خلالها هنا؟".

"قال إنه قد يظل هنا لأسبوع أو اثنين أو قد تمتد المدة لتصل إلى ستة أشهر أو عام".

"أين كان يمكث؟".

"فى السافوى".

"ومتى رأيته آخر مرة؟".

"آه، منذ حوالى ثلاثة أسابيع أو شهر ـ لا أستطيع أن أتذكر".

"لقد أخذتماه إلى ستاڤيرلى فى أحد الأيام؟".

"بالطبع! وأعتقد أن تلك كانت آخر مرة رأيناه فيها. لقد اتصل ليعلم متى يمكنه رؤيتنا، حيث كان قد وصل لتوه إلى لندن، وكان هوبرت مستاءً للغاية لأننا كنا ذاهبين إلى أسكتلندا فى اليوم التالى، وكنا ذاهبين إلى ستاڤيرلى لتناول الغداء مع بعض الأشخاص الكريهين، والذين لم نستطع التملص منهم، وأراد هوبرت رؤية كارستيرز لأنه أحبه كثيرًا؛ لذا اقترحت عليه هذا الاقتراح: "يا عزيزى، دعنا نأخذه معنا إلى آل باسينجتون ـ فرينش. إنهم لن يمانعوا انضمامه إلينا"، وهذا هو ما فعلناه، وبالطبع لم يمانعوا".

وسكتت بعدما أصبحت أنفاسها متلاحقة.

سألها بويرو: "هل أخبركما عن أسباب قدومه إلى إنجلترا؟".

"لا. هل كانت هناك أسباب محددة؟ آه، نعم. أعلم السبب ـ لقد كنا نعتقد أنه شىء له علاقة بهذا المليونير، صديقه هذا الذى لقى حتفه بهذا الشكل التراجيدى. لقد

أخبره أحد الأطباء أنه مصاب بالسرطان فقتل نفسه ـ إنه لتصرف شائن يصدر من طبيب، ألا تعتقد هذا؟ وهم عادة ما يكونون مخطئين. لقد أخبرنا طبيبنا فى أحد الأيام أن ابنتى الصغيرة مصابة بالحصبة، ثم اتضح أنه مجرد طفح حرارى. وقد أخبرت هوبرت أننى سأستبدل به طبيبًا آخر".

بعد أن تجاهل بويرو تعامل السيدة ريفنجتون مع الأطباء، وكأنهم كتب فى مكتبة عاد إلى صلب الموضوع.

"هل كان السيد كارستيرز يعرف آل باسينجتون ـ فرينش؟".

"لا، لا! ولكننى أعتقد أنهم حازوا إعجابه، بالرغم من أنه كان غريب الأطوار ونكد المزاج فى طريق عودتنا، وأعتقد أن شيئًا ما قد قيل فأثار استياءه. إنه كندى كما تعلم، وأنا أعتقد أن الكنديين شديدو الحساسية".

"ألا تعلمين ما الذى أثار استياءه؟".

"ليست لدىّ أدنى فكرة ـ إن أتفه الأشياء قد تثير حنق البعض أحيانًا، أليس هذا صحيحًا؟".

سأل بويرو: "هل قام بأية تعشيات فى الجوار؟".

فردت: "لا، لا! يالها من فكرة غريبة!". ثم أخذت تحدق به.

حاول بويرو مجددًا.

"هل كان هناك حفل؟ هل التقى بأحد من الجيران؟".

"لم يكن هناك سوى نحن وهم، ولكن كم هو غريب أن تقول هذا!".

قال بويرو في لهفة حينما سكتت: "نعم".

"لأنه طرح العديد من الأسئلة المخيفة عن شخص ما يقطن بالقرب من هنا".

"هل تذكرين الاسم؟".

"لا أتذكره. لم يكن شخصًا مثيرًا للاهتمام ـ طبيبًا ما".

"الطبيب نيكلسون؟".

"أعتقد أن ذلك كان اسمه ـ لقد أراد أن يعرف كل شيء عنه وعن زوجته حينما جاءا إلى هناك ـ كل شيء، وقد بدا ذلك غريبًا لأنه لم يكن يعرفهما، مع أنه لم يكن بالشخص الفضولي بوجه عام، ولكن ربما كان فقط يتجاذب أطراف الحوار، ولم يستطع التفكير في شيء خلاف هذا ليقوله. إن المرء يقوم بأشياء مثل هذه في بعض الأحيان".

وافقها بويرو على رأيها وسألها عما أثار موضوع آل نيكلسون، ولكن السيدة ريفنجتون لم تكن تعرف الإجابة. فقد كانت بالخارج مع هنري باسينجتون فرينش بالحديقة وعادت لتجد الآخرين يتحدثون عن آل نيكلسون.

حتى الآن سار الحوار بسلاسة كبيرة؛ بويرو ينتزع المعلومات من السيدة دون أي تمويه، ولكنها أصبحت الآن فضولية بشكل مضاجئ.

سألته: "ولكن، ما الذي تريد أن تعرفه عن السيد كارستيرز؟".

قال بويرو: "أنا أريد عنوانه؛ فكما تعلمين نحن نمثله وقد تلقينا لتونا برقية مهمة من نيويورك ـ فهناك تفاوت خطير في

سعر الدولار الآن ـ كما تعلمين ...".

أومأت السيدة ريفنجتون بذكاء محدود.

وواصل بويرو كلامه بسرعة: "ولهذا أردنا الاتصال به للحصول على إرشاداته لأنه لم يترك لنا عنوانًا. وبعد أن سمعناه ذات مرة يقول إنه صديق لكم ظننا أنكم ربما تعرفون شيئًا عنه".

قالت السيدة ريفنجتون وهي راضية تمامًا بهذا السبب: "فهمت. ياله من أمر محزن! ولكنني طالما اعتقدت أنه رجل غامض".

قال بويرو: "إلى حد كبير. حسنًا". ثم نهض مغادرًا المكان وقال: "أعتذر عن هذا القدر الكبير الذي اقتطعته من وقتك".

قالت السيدة ريفنجتون: "لا تقل هذا، وإنه لمن المثير حقًا أن أعلم أن السيدة دولي مالتزافرز فعلت حقًا ما قلت إنها فعلته".

قال بويرو: "أنا لم أقل أي شيء".

قالت السيدة ريفنجتون وهي تضحك: "إن المحامين متحفظون بشكل كبير، أليس كذلك؟".

قال بويرو لنفسه وهو يسير بشارع تايت: "حسنًا ـ يبدو أنني وسمعت اسم هذه السيدة المدعوة دولي بالعار للأبد، ولكنني أعتقد أنها تستحق هذا، وأعتقد كذلك أن هذه السيدة الغيبة لن تتساءل قط لماذا لم أتصل ببساطة وأخذ عنوان كارستيرز إن كنت أريده!".

وعند عودته إلى شارع بروك ناقش هو وفرانكي الأمر من جميع زواياه.

قالت فرانكي وهي مستغرقة في التفكير: "تبدو صدفة بحتة تلك التي أخذته إلى منزل آل باسينجتون فرينش".

"أعلم هذا، ولكن من الواضح أنه حينما كان هناك وجهت مصادفة ما أنظاره إلى آل نيكلسون".

"هذا يعني أن نيكلسون هو من يقبع في قلب اللغز وليس آل باسينجتون فرينش؟".

نظر بوبي إليها.

ثم سأل ببرود: "مازلت مصممة على نبرئة بطلك".

"يا عزيزي، أنا فقط أفسر الأمور وفقًا لما تبدو عليه. إن الإتيان على ذكر نيكلسون ومصحته هو ما أثار كارستيرز، وذهابه إلى منزل باسينجتون فرينش كان محض صدفة - لابد أن تعترف بهذا".

"يبدو الأمر كذلك".

"لماذا فقط "يبدو"؟".

"حسنًا، هناك فقط احتمال آخر. فبطريقة ما، ربما يكون كارستيرز قد اكتشف مسألة ذهاب آل ريفنجتون لتناول الغداء مع آل باسينجتون فرينش: فربما وصل إلى مسامعه شيء من هذا القبيل في المطعم ربما في السافوي، وهكذا اتصل بهما، وأعلن عن مدى رغبته في رؤيتهما الحضور ليحدث ما كان يتمنى حدوثه: فقد كانا مشغولين للغاية، لذا اقترحا عليه الإتيان معهما ولن يمانع أصدقاؤهما ذلك، كما أنهما يتوقان

لرؤيته أيضاً. هذا محتمل يا فرانكي".

"أعتقد أنه محتمل، ولكنها تبدو طريقة ملتوية للغاية للقيام بالأمور".

"ليست ملتوية أكثر من الحادث الذي تعرضت له".

قالت فرانكي ببرود: "لقد كان حادثي تعرضًا مباشرًا قويًا".

خلع بوبي ملابس اللورد مارشينجتون وأعادها إلى حيث أخذها، وبعد ذلك ارتدى ملابس السائق ثانية وسرعان ما أصبحا في طريق عودتهما إلى ستافيرلي.

قالت فرانكي بوزانة: "إن كان روجر قد وقع في غرامي، فسوف يسعد لعودتي بهذه السرعة. سيعتقد أنني لم أتحمل الابتعاد عنه طويلاً".

قال بوبي: "أنا لا أعرف ما إذا كنت تستطيعين تحمل بعده كذلك: فطالما سمعت أن أخطر المجرمين يكونون شديدي الجاذبية!".

"بطريقة ما لا أصدق أنه مجرم".

"لقد قلت هذا قبل ذلك".

"حسنًا، هذا هو ما أشعر به".

"أنت لا تستطيعين نسيان مسألة الصورة".

قالت فرانكي: "نبًا للصورة!".

قاد بوبي السيارة على الطريق في صمت. وخرجت فرانكي من السيارة ودخلت المنزل دون أن تنظر وراءها، وقاد بوبي مبتعدًا.

بدا المنزل ساكنًا للغاية. رمقت فرانكى الساعة، وكانت تشير إلى الثانية والنصف.

قالت لنفسها: "إنهم لا يتوقعون عودتى قبل ساعات ـ ترى أين ذهبوا؟".

فتحت باب المكتبة ودخلت، ولكنها توقفت فجأة عند العتبة.

كان الطبيب نيكلسون يجلس على الأريكة ممسكًا بكلتا يدى سيلفيا باسينجتون فريش بين يديه.

هبت سيلفيا واقفة وعبرت الغرفة متوجهة إلى فرانكى.

وقالت: "كان يقول لى... ".

كان صوتها مختنقًا. وضعت كلتا يديها على وجهها وكأنها ترغب فى إخفائه عن الآخرين.

قالت وهى تبكى: "إنه أمر بشع حقًا"، ثم مرت إلى جوار فرانكى وغادرت الغرفة مسرعة.

نهض الطبيب نيكلسون، وتقدمت فرانكى خطوة أو اثنتين ناحيته، وتقابلت عيناه اليقظتان كعادتهما دومًا مع عينيها.

قال بدماثة: "يا لها من امرأة مسكينة! كانت صدمة كبيرة بالنسبة لها".

ارتعشت العضلات بزاوية فمه، وللحظة أو اثنتين ظنت فرانكى أنه سعيد، لكنها أدركت فجأة أن ما لمسته كان شعورًا مختلفًا.

كان الرجل غاضبًا، لكنه كان يحاول التماسك وإخفاء غضبه وراء قناع من الدماثة واللطف، ولكن شعوره كان جليًا. وكان ذلك هو كل ما استطاع فعله لإخفاء هذا الشعور.

مرت لحظة من الصمت.

قال الطبيب: "كان لابد للسيدة باسينجتون فريش من معرفة الحقيقة؛ فأنا أريد منها إقناع زوجها بتركى لأتولى مهمة علاجه".

قالت فرانكى برفق: "أخشى أننى قطعت حديثكما"، وسكتت للحظة ثم أردفت: "فقد عدت بأسرع مما توقعت!".

الفصل ١٨

فتاة الصورة

في طريق عودة بوبي إلى الفندق، علم أن شخصًا ما بانتظاره.

"إنها سيدة ـ سوف تجدها في غرفة جلوس السيد أسكيو الصغيرة".

شق بوبي طريقه إلى هناك وهو يشعر ببعض الحيرة: فهو لا يعرف طريقة يمكن بها لـ فرانكي الإتيان إلى أنجلرز أرمس قبله إلا إذا كانت قد وصلت إلى هناك وهي تطير بجناحين، ومع ذلك فلم يخطر بباله أن تكون ضيفته أي امرأة أخرى سوى فرانكي.

وعندما فتح باب الغرفة، التي كان السيد أسكيو يجعلها غرفة جلوسه الخاصة، كانت هناك فتاة نحيفة ترتدي ثوبًا أسود تجلس منتصبة فوق أحد المقاعد ـ إنها فتاة الصورة.

كان بوبي مندهشًا للغاية حتى إنه عجز عن الكلام للحظة أو اثنتين، وبعد ذلك لاحظ أن الفتاة متوترة للغاية؛ حيث كانت

يداها الصغيرتان ترتعشان وتنغلقان وتنفتحان من تلقاء نفسيهما فوق ذراع المقعد ـ لقد بدت متوترة لدرجة جعلتها تبدو عاجزة عن الكلام، ولكن كانت بعينيها نظرة توسل يغلفها الرعب.

قال بوبي أخيرًا: "إذن إنه أنت؟". ثم أغلق الباب وراءه وأقبل نحو الطاولة.

ظلت الفتاة صامتة بينما تحدق هاتان العينان الواسعتان الخائفتان في عينيه، وأخيرًا غادرت الكلمات فمها ـ مجرد همس أجش:

"لقد قلت ـ لقد قلت ـ إنك سوف تساعدني، ربما لم يتبقى لي المجيء".

هنا قاطعها بوبي، بعد أن وجد الكلمات وما يمكن أن يبث فيها الطمأنينة في ذات الوقت:

"ما كان ينبغي أن تأتي؟ هراء ـ لقد فعلت الصواب بحضورك إلى هنا. بالطبع كان لابد لك أن تأتي، وأنا سوف أقوم بأي شيء ـ أي شيء في هذا العالم ـ لمساعدتك. لا تخافي؛ فأنت بمأمن الآن".

تورد وجه الفتاة ثانية بعض الشيء، ثم قالت فجأة:

"من أنت؟ أنت ـ أنت ـ أنت لست سائقًا، أعني أنك ربما تكون سائقًا، ولكنك لست كذلك في الواقع".

فهم بوبي ما تعنيه بالرغم من الطريقة المرتبكة التي صاغت بها كلماتها.

قال: "إن المرء يمتهن شتى الوظائف في أيامنا هذه؛ فقد

كنت أعمل ضابطًا بالبحرية. في الواقع، أنا لست سائقًا ـ ولكن ذلك ليس مهمًا الآن، وعلى أية حال، أؤكد لك أنه يمكنك الوثوق بي ـ وأن تخبريني بكل شيء عن الأمر".

استعاد وجهها لونه الطبيعي.

تمتمت قائلة: "لابد أنك تعتقد أنني مجنونة".

"لا، لا".

"نعم ـ فإن مجيئي إلى هنا بهذه الطريقة يوحي بذلك، ولكنني كنت خائفة للغاية ـ خائفة بشدة". عندئذ تلاشى صوتها، واتسعت عيناها وكأنها أبصرت شيئًا مرعبًا.

فأمسك بوبي يدها بقوة.

وقال: "اسمعي، لا بأس، إن كل شيء سوف يكون على ما يرام، إنك بأمان الآن ـ برفقة ـ برفقة صديق. لن يصيبك مكروه".

وأتته الإجابة في صورة ضغط من أصابعها على يده.

قالت بصوت خفيض وسريع: "حينما غادرت في ضوء القمر في تلك الليلة، كان الأمر يبدو ـ كان الأمر يبدو كحلم ـ حلم بالحرية. لم أكن أعلم من أنت أو من أين أتيت، ولكنك أعطيتني الأمل؛ لذا عقدت العزم على البحث عنك ـ وإخبارك بكل شيء".

قال بوبي مشجعًا إياها: "هذا صحيح. أخبريني ـ أخبريني بكل شيء".

سحبت يدها بعيدًا بسرعة.

"إن أخبرتك، فسوف تظن أنني مجنونة ـ أنني فقدت عقلي بسبب بقائي في هذا المكان مع الآخرين".

"لا. لن أظن هذا ـ لن أظن هذا على الإطلاق".

"بلى، سوف تظن هذا: فالأمر يبدو منافيًا للعقل".

"بل سأصدق كل ما تقولينه. أخبريني، من فضلك أخبريني".

عادت للوراء قليلاً وجلست منتصبة وهي تحدق أمامها.

قالت: "الحقيقة أنني أخشى أن أتعرض للقتل".

كان صوتها جافًا وأجش، وكانت تحاول تمالك نفسها أثناء التحدث ولكنّ يديها كانتا ترتعدان.

"القتل؟".

"نعم، هذا يبدو جنونًا، أليس كذلك؟ مثل ـ ماذا يسمونه ـ جنون الاضطهاد".

قال بوبي: "لا، أنت لا تبدين مجنونة على الإطلاق ـ أنت فقط خائفة. أخبريني ـ من يريد قتلك ولماذا؟".

ظلت صامتة لدقيقة أو اثنتين، بينما تنفس وتبسط يديها. بعد ذلك قالت بصوت خفيض:

"زوجي".

"زوجك؟". تلاطمت الأفكار في رأس بوبي بعضها البعض، وقال فجأة "من أنت ...".

جاء دورها لتبدو مندهشة.

"ألا تعلم؟".

"ليست لديّ أدنى فكرة".

قالت: "أنا موبرا نيكلسون. زوجي هو الطبيب نيكلسون".

"إذن، فأنت لست مريضة هناك؟".

"مريضة؟ لا، لا!". وامتقع وجهها فجأة وأردفت قائلة: "أعتقد أنك تظن أنني أتحدث كمجنونة".

قال بوبي وهو يبذل قصارى جهده لطمأنتها: "لا، لا. أنا لم أظن هذا على الإطلاق، صدقيني. أنا لم أقصد هذا. أنا فقط شعرت بالدهشة حينما علمت أنك متزوجة ـ هذا هو كل ما في الأمر. والآن أكملي ما كنت تخبرينني بشأنه ـ بشأن رغبة زوجك في قتلك".

"أعلم أن هذا يبدو ضربًا من الجنون، ولكنها الحقيقة ـ الحقيقة. أرى ذلك في عينيه حينما ينظر إليّ، بالإضافة إلى تلك الأشياء الغريبة التي حدثت ـ حوادث".

قال بوبي بحدة: "حوادث؟".

"نعم. أما أعرف أن الأمر يبدو هيستيريًا وكأنني أختلق كل هذا...".

قال بوبي: "إطلاقًا. يبدو الأمر منطقيًا. واصلي كلامك ـ ماذا عن هذه الحوادث؟".

"كانت مجرد حوادث ـ إنه يعود بالسيارة للخلف وكأنه لا يراني، إلا أنني قفزت بعيدًا في الوقت المناسب ـ وتارة أجد بعض المواد لزجاجة خاطئة ـ أشياء غبية ـ أشياء سوف يعتقد الناس أنها طبيعية، ولكنها ليست كذلك ـ لقد كانت متعمدة، أنا واثقة من هذا، وذلك الأمر يرهقني بشدة ـ الحذر المستمر، ومحاولة الحفاظ على حياتي".

ابتلعت لعابها بعد أن انتهت من كلامها.

سألها بوبي: "لماذا يرغب زوجك في التخلص منك؟".

ربما لم يكن يتوقع إجابة محددة ـ ولكن الإجابة جاءته على الفور:

"لأنه يريد الزواج من سيلفيا باسينجتون فرينش".

"ماذا؟" ولكنها متزوجة بالفعل!".

"أعلم، ولكنه يرتب لحل هذه المشكلة".

"وكيف ذلك؟".

"لا أعلم بالتحديد، ولكنني أعلم أنه يحاول إدخال السيد باسينجتون فرينش مصحة جرانج باعتباره مريضًا".

"وبعد ذلك؟".

"لا أدري، ولكني أعتقد أن ثمة شيئًا سيحدث".

ارتعدت وهي تقول:

"إنه يسيطر على السيد باسينجتون فرينش بشكل ما ـ لا أعلم كيف".

قال بويرو: "السيد باسينجتون فرينش يتعاطى المورفين".

"هل الأمر كذلك؟ أعتقد أن جاسبر هو من يعطيه له".

"إنه يأتي بالبريد".

"ربما لا يقوم جاسبر بذلك مباشرة: فهو ماكر للغاية. وعلى الأرجح لا يعلم السيد باسينجتون فرينش أن جاسبر هو من يرسله ـ ولكني واثقة من هذا. بعد ذلك سيُضحى تحت سيطرة جاسبر في الجرانج وسيتظاهر بأنه يعالجه ـ وبمجرد أن يصبح هناك... ".

سكتت وارتعدت.

ثم قالت: "إن مختلف الأشياء تحدث في الجرانج ـ أشياء

غريبة. يأتي الناس إلى هناك للتحسن ـ ولكنهم لا يتحسنون، بل تزداد حالتهم سوءًا".

وبينما كانت تتحدث، رأى بويرو لمحة من عالم شرير وغريب، وشعر بجزء من الخوف الذي ظل يغلف حياة موبيرا نيكلسون طويلاً.

قال فجأة:

"أتقولين إن زوجك يريد الزواج من السيدة باسينجتون فرينش؟".

أومأت موبيرا وقالت:

"إنه متيم بها".

"وماذا عنها؟".

قالت موبيرا ببطء: "لا أعلم. هذا ما لم أستطع اكتشافه ـ ظاهريًا، تبدو متيمة بزوجها والصبي الصغير وسعيدة وتحظى بالسلام والسكينة. إنها تبدو سيدة بسيطة للغاية، ولكن في بعض الأحيان يتراءى لي أنها ليست بهذه البساطة التي تبدو عليها. بل إنني أتساءل أحيانًا عما إذا كانت هذه المرأة شخصًا مختلفًا تمامًا عن ذلك الذي نعتقده جميعًا... وإن كانت ربما تلعب دورًا ما ـ وتلعبه بشكل جيد للغاية ... ولكنني في الواقع أعتقد أن هذا مجرد هراء ـ مجرد خيالي الخصب ... فحينما تعيش في مكان مثل الجرانج، يصبح عقلك مشوهًا وتبدأ في تخيل أشياء... ".

سأل بويرو: "ماذا عن الشقيق روجر؟".

"لا أعلم الكثير عنه. إنه لطيف على ما أعتقد. ولكنه من

هؤلاء الأشخاص الذين يسهل خداعهم إنني أعلم أنه واقع في شراك جاسبر ويصدق خداعه. وأعلم أن جاسبر يضغط عليه لإقناع السيد باسينجتون فرينش بدخول الجرانج ـ أعتقد أنه يظن أنها فكرته هو". عندئذ اتكأت للأمام فجأة وأمسكت بكم بوبي وناشدته قائلة: "لا تجعله يأتي إلى الجرانج؛ إن جاء، فثمة شيء بشع سوف يحدث ـ أنا واثقة من هذا".

ظل بوبي صامتًا لدقيقة أو اثنتين وهو يدرس هذه القصة المذهلة في رأسه.

قال أخيرًا: "منذ متى وأنت متزوجة من نيكلسون؟".

قالت وهي ترتعد: "منذ أكثر من عام بقليل...".

"ألم تفكري قط في تركه؟".

"وكيف يتسنى لي ذلك؟ ليس لي مكان أذهب إليه، وليس معي مال. وإن وافق أحد على استضافتي فما القصة التي سأرويها له؟ تلك القصة الخيالية بأن زوجي يريد قتلي؟ من سوف يصدقني؟".

قال بوبي: "حسنًا، أنا أصدقك".

سكت لحظة وكأنه يخطط لسير معين للأحداث، وبعد ذلك واصل كلامه.

قال بأسلوب متبلد: "اسمعي، سوف أطرح عليك سؤالاً مباشرًا: هل تعرفين رجلاً يدعى آلان كارستيرز؟".

"لماذا تطرح عليَّ هذا السؤال؟".

"لأنه من المهم أن أعرف ـ إنني أعتقد أنك كنت تعرفين آلان كارستيرز، وأنك في وقت ما أعطيته صورتك".

قالت: "هذا صحيح".

"كنت تعرفينه قبل أن تتزوجي؟".

"نعم".

"هل جاء إلى هنا لرؤيتك بعد زواجك؟".

ترددت ثم قالت:

"نعم، مرة واحدة".

"منذ شهر مضى، أليس كذلك؟".

"نعم، أعتقد أن ذلك كان منذ شهر".

"لقد علم أنك تعيشين هنا".

"لا أعرف كيف عرف هذا ـ أنا لم أخبره. إنني حتى لم أراسله منذ أن تزوجت".

"ولكنه علم بمكانك وجاء إلى هنا لرؤيتك ـ هل علم زوجك بذلك؟".

"لا".

"هذا ما تعتقدينه، ولكنه ربما يكون قد اكتشف ذلك الأمر".

"ربما، ولكنه لم يقل لي شيئًا بخصوصه".

"هل تحدثت إلى كارستيرز بشأن زوجك؟ هل أخبرته بشأن مخاوفك على سلامتك؟".

هزت رأسها قائلة:

"لم أكن قد بدأت في الشك بعد".

"ولكنك كنت غير سعيدة؟".

"نعم".

"وقد أخبرته بذلك؟".

"لا. حاولت ألا أوضح له بأى شكل من الأشكال أن زواجى ليس ناجحًا".

قال بوبى برفق: "ولكنه ربما يكون قد فطن إلى ذلك من تلقاء نفسه".

قالت معترفة بصوت خفيض: "أعتقد هذا".

"هل تعتقدين ـ لا أعرف كيف أقول هذا ـ ولكن هل تعتقدين أنه كان يعرف أى شىء عن زوجك ـ هل كان يشك ـ على سبيل المثال ـ أن مصحته ليست المكان الذى تبدو عليه؟".

تجمد حاجباها وهى تحاول التفكير.

قالت أخيرًا: "ربما. لقد طرح علىّ سؤالاً أو سؤالين غريبين ـ ولكن ـ لا. لا أعتقد أنه عرف شيئًا بخصوص هذا الأمر".

سكت بوبى ثانية ليضع لحظات، ثم قال:

"هل تعتقدين أن زوجك رجل غيور؟".

"نعم. إنه غيور للغاية".

"يغار عليك مثلاً".

"أتعنى بالرغم من عدم اهتمامه بى؟ نعم، إنه يغار علىّ فأنا ملكه كما تعلم. إنه رجل غريب ـ رجل غريب للغاية".

ارتعدت، وبعد ذلك سألته فجأة:

"أنت لست لك علاقة بالشرطة بأى شكل من الأشكال. أليس كذلك؟".

"أنا؟ لا. لا!".

"أنا أتساءل، أعنى... ".

ونظر إلى زى السائق الذى كان يرتديه، قائلاً:

"إنها قصة طويلة".

"إنك سائق الليدى فرانسيس ديرويشت، أليس كذلك؟ هكذا قالت مالكة المكان عندما قابلتها على العشاء فى إحدى الليالى".

"أعلم ذلك". ثم سكت قليلاً قبل أن يردف قائلاً: "لابد أن نجعلها تأتى إلى هنا، ومن الصعب علىّ أن أقوم أنا بذلك. هل تعتقدين أنه بإمكانك الاتصال والتحدث إليها ثم إقناعها بالمجىء ومقابلتك فى مكان ما بالخارج؟".

قالت موبرا ببطء: "أعتقد أنه بإمكانى هذا".

"إننى أعلم أن ذلك يبدو غريبًا بشكل مرعب بالنسبة لك، ولكنه لن يكون كذلك حينما أشرح لك كل شىء. لابد أن نجعل فرانكى تأتى إلى هنا بأسرع وقت ممكن ـ هذا ضرورى".

نهضت موبرا، وقالت: "حسنًا".

ترددت بعدما وضعت يدها على مقبض الباب.

قالت: "ألان، ألان كارستيرز ـ هل قلت إنك رأيته؟".

قال بوبى: "لقد رأيته. ولكن ليس مؤخرًا".

ثم شعر بالصدمة حينما وانته هذه الفكرة:

"بالطبع ـ إنها لا تعرف أنه مات ... ".

ثم قال:

"اتصلى بالليدى فرانسيس، وبعد ذلك سأخبرك بكل شىء".

الفصل ١٩

تشاور ثلاثي

عادت موبرا بعد بضع دقائق.

قالت: "لقد اتصلت بها وطلبت منها أن تأتي وتقابلني في المنزل الصيفي الصغير بالقرب من النهر ـ لابد أنها وجدت طلبي هذا غريبًا. ولكنها قالت إنها ستأتي".

قال بوبي: "جيد. الآن، أين يوجد هذا المكان بالتحديد؟".

وصفته له موبرا بدقة، وشرحت طريقة ذهابه إليه.

قال بوبي: "لا بأس. اذهبي أنت أولاً. وسوف آتي أنا لاحقاً".

التزم كل واحد منهما بتنفيذ دوره في الخطة. وتوانى بوبي قليلاً مضيعًا بعض الوقت في التحدث إلى السيد أسكيو.

قال بشكل عارض: "إن أمرها غريب حقًا تلك السيدة نيكلسون؛ كنت أعمل عند عمها ـ رجل نبيل كندي".

لقد شعر أن زيارة موبرا له قد تستثير القيل والقال، وقد يتناقل الكلام ويصل إلى أذني الطبيب نيكلسون.

قال السيد أسكيو: "إذن هذا هو كل ما في الأمر، أليس كذلك؟ لقد كنت أتساءل عن سبب الزيارة".

قال بوبي: "نعم، لقد تعرفت عليّ، وجاءت لتعرف ماذا أفعل الآن - إنها سيدة لطيفة معسولة الكلام".

"لطيفة للغاية في الواقع، لكن لا يمكنها أن تحظى بحياة سعيدة في الجزائر".

وافقه بوبي قائلاً: "إنني حتى لا أستطيع أن أتخيل مثل هذه الحياة".

بعدما شعر أنه حقق هدفه، غادر مسرعًا قاصدًا القرية وأثناء تظاهره أنه بلا وجهة محددة، سلك الطريق الذي وصفته له موبرا.

ونجح في الوصول ووجدها هناك بانتظاره، ولم تكن فرانكي قد جاءت بعد.

كانت عينا موبرا تمتلئان بالأسئلة، وشعر بوبي بأن عليه خوض تجربة الشرح الصعبة إلى حد ما.

قال: "إن هناك الكثير مما أود أن أقوله لكِ"، ثم سكت على نحو أخرق.

"نعم؟".

قال بوبي بسرعة: "أولاً، أنا لست سائقاً، بالرغم من أنني أعمل في ورشة إصلاح في لندن، واسمي ليس هوكينز - إنه جونز - بوبي جونز. لقد أتيت من ماركيولت في ويلز".

كانت موبرا تنصت بتمعن، ولكن من الواضح أن اسم ماركيولت لم يكن يعني شيئًا لها. استعد بوبي وعقد العزم على

التطرق لصلب الموضوع.

"اسمعي، أخشى أنني سوف أقول لك شيئًا باعثًا على الصدمة: إن صديقك المدعو آلان كارستيرز - حسناً - إنه - لابد أن تعلمي أنه قد مات".

شعر بإجفالها وأشاح بأباقة بعينيه بعيدًا عن عينيها. هل أصابها بصدمة؟ هل كانت - بالرغم من كل شيء - واقعة في غرام هذا الرجل؟

ظلت صامتة للحظة أو اثنتين، ثم قالت بصوت خفيض يعكس تفكيرًا عميقًا:

"إذن هذا هو السبب وراء عدم عودته ثانية؟ إنني كنت أتساءل عن هذا الأمر".

استرق بوبي نظرة إليها رفعت معنوياته؛ فقد بدت حزينة ومستغرقة في التفكير - ولكن كان هذا كل ما في الأمر.

قالت: "أخبرني بهذا الشأن".

وانصاع بوبي لطلبها.

"لقد سقط من فوق الجرف في ماركيولت - المكان الذي أعيش به، وقد تصادف أن كنت أنا والطبيب من عثرا عليه هناك". سكت ثم أضاف: "لقد كانت صورتك في جيبه".

"حقًا". ارتسمت على وجهها ابتسامة جميلة ولكن حزينة. "عزيزي آلان، لقد كان - مخلصًا للغاية".

ساد الصمت للحظة أو اثنتين ثم سألت:

"متى حدث هذا؟".

"منذ شهر مضى - في الثالث من أكتوبر بالتحديد".

"لابد أن ذلك قد حدث بعد مجيئه إلى هنا مباشرة".

"نعم. هل أخبرك أنه ذاهب إلى ويلز؟".

هزت رأسها.

قال بوبى: "أنت لا تعرفين أى شخص يدعى إيفانز، أليس كذلك؟".

قطبت موبرا محاولة التفكير: "إيفانز؟ لا، لا أعتقد هذا، إنه اسم شائع للغاية بدون شك، ولكنى لا أتذكر أحدًا بهذا الاسم ـ من هو؟".

"هذا هو ما لا نعرفه. أها ها قد جاءت فرانكى".

جاءت فرانكى مسرعة عبر الطريق، وفور رؤيتها لـ بوبى والسيدة نيكلسون يجلسان ويتحادثان معًا، علت وجهها تعبيرات متضاربة.

قال بوبى: "مرحبًا يا فرانكى. أنا سعيد لأنك أتيت؛ فقد كان يجب أن نعقد اجتماعًا. أولاً، تلك هى السيدة نيكلسون ـ صاحبة الصورة الحقيقية".

قالت فرانكى فى ارتياب: "آها!".

نظرت إلى موبرا وضحكت فجأة.

قالت لـ بوبى: "يا إلهى! الآن عرفت لماذا شعرت بالصدمة حينما رأيت صورة السيدة كايمان فى التحقيق!".

قال بوبى: "نعم".

كم كان غبيًا، ومع ذلك كيف تخيل ولو للحظة واحدة أن أية فترة زمنية يمكنها تحويل موبرا نيكلسون إلى إميليا كايمان.

قال: "يا إلهى، كم كنت غبيًا!".

بدت موبرا مرتبكة.

قال بوبى: "إن هناك العديد من الأشياء البشعة التى ينبغى علىّ أن أقولها لك، وأنا لا أعرف كيف أفعل ذلك بالتحديد".

وحكى لها عن آل كايمان وتعرفهما على الجثة.

قالت موبرا فى ارتياب: "ولكننى لا أفهم. لمن كانت الجثة بالفعل؟ لأخيها أم لـ آلان كارستيرز؟".

قال بوبى: "هنا يأتى دور العمل القذر".

قالت فرانكى: "فى ذلك الحين أصيب بوبى بالتسمم".

قال بوبى متذكرًا ما حدث له: "ثمانى حبات من المورفين".

قالت فرانكى: "لا تبدأ فى الحديث عن هذا الموضوع؛ فبإمكانك التحدث حوله لساعات وهو حقًا يُشعر الآخرين بالملل ـ دعنى أنا أواصل الشرح".

أخذت نفسًا طويلاً.

قالت: "جاء آل كايمان لرؤية بوبى بعد التحقيق لسؤاله عما إذا كان الشقيق (على افتراض ذلك) قد قال شيئًا قبل أن يموت، وقال بوبى: "لا". ولكنه بعد ذلك تذكر شيئًا عن رجل يدعى إيفانز؛ لذا فقد أرسل إليهما برسالة يخبرهما فيها بذلك، وبعد بضعة أيام تلقى خطابًا يعرض عليه وظيفة فى بيرو أو فى مكان ما، وحينما لم يقبلها، كان ما حدث بعد ذلك هو أن وضع له أحدهم كمية كبيرة من المورفين ـ ".

قال بوبى: "ثمانى حبات".

"... فى شرابه، وبالرغم من تأثيرها غير الطبيعى عليه، إلا

أنها لم تقتله. وفي ذلك الحين أدركنا على الفور أن بريتشارد ـ أو كارستيرز ـ تم دفعه من فوق الجرف".

سألت موبرا: "ولكن لماذا؟".

"ألا تعرفين؟ إن السبب واضح بالنسبة لنا. ربما لا أكون قد شرحت الأمر بشكل وافٍ. على أية حال، لقد فطنا أنه قُتل وأن روجر باسينجتون فرينش هو من قام بذلك على الأرجح".

كانت نبرة صوت موبرا سعيدة ومفعمة بالحيوية حينما قالت: "روجر باسينجتون فرينش؟".

"لقد فطنّا إلى ذلك؛ فكما ترين، فقد كان هناك وقت الحادث، وصورتك اختفت، ويبدو أنه الشخص الوحيد الذي كان بإمكانه أخذها".

قالت موبرا وهي مستغرقة في التفكير: "نعم".

واصلت فرانكي كلامها: "وبعد هذا تصادف تعرضي لحادث هناك. حادث مذهل حقًا، أليس كذلك؟". ثم نظرت إلى بوبي نظرة تحذير ثم أردفت قائلة: "وهكذا اتصلت بـ بوبي واقترحت عليه أن يأتي إلى هنا متظاهرًا بأنه سائقي لنبحث في الأمر".

قال بوبي متقبلاً انحرافها عن الحقيقة بهذه الطريقة: "الآن أنت تعرفين ما حدث. وآخر الأحداث هو دخولي الجراج ليلة أمس وتعثري بك ـ المرأة الحقيقية صاحبة الصورة الغامضة".

قالت موبرا وهي تبتسم ابتسامة صغيرة: "لقد تعرفتَ عليّ على الفور".

قال بوبي: "نعم. كنت سأتعرف على هذه المرأة الموجودة

بالصورة في أي مكان".

ودون سبب محدد، تورد وجه موبرا.

ثم بدا أن فكرة ما قد واتتها وأخذت تنظر بحدة من أحدهما إلى الآخر.

سألت: "هل تخبرانني بالحقيقة؟ هل كان حقًا ما جاء بكما إلى هنا هو حادث؟ أم أنكما أتيتما لأنكما ـ لأنكما" ـ وارتعد صوتها رغماً عنها ـ "لأنكما شككتما في زوجي؟".

نظر بوبي وفرانكي إلى بعضهما البعض. بعد ذلك قال بوبي:

"أقسم لك أننا لم نسمع عن زوجك حتى أتينا إلى هنا".

"آه، حسنًا". استدارت ناحية فرانكي. "أنا آسفة أيتها الليدي فرانسيس، ولكن كما ترين، فقد تذكرت تلك الليلة التي أتيتما فيها لتناول العشاء؛ فقد تربص جاسبر بك وظل يطرح عليك الكثير من الأسئلة بشأن الحادث الذي تعرضت له، ولم أعرف السبب في ذلك، ولكني أعتقد الآن أنه كان يشك في أنه مدبر".

قالت فرانكي: "حسنًا، إن كنت تريدين معرفة الحقيقة، فقد كان مدبرًا بالفعل. يا إلهي، إنني أشعر بتحسن الآن! إن الأمر برمته كان عبارة عن خدعة مخططة بشكل جيد، ولكن لم يكن للأمر علاقة بزوجك؛ لقد خططنا لكل هذا لأننا أردنا ـ أردنا ـ كيف يقولون هذا؟ ـ أردنا أن نكتشف أمر روجر باسينجتون فرينش".

قطبت موبرا وابتسمت في ارتياك: "روجر".

قالت فرانكى بصراحة: "يبدو الأمر سخيفًا".

قال بوبى: "ولكن الحقائق كانت واضحة أمامنا".

فقالت موبرا وهى تهز رأسها: "روجر ـ لا، لا، ربما يكون ضعيفاً أو جامحًا، وربما يقع فى شراك الدَّين أو يتورط فى فضيحة ـ ولكن دفع شخص ما من فوق جرف ـ لا، أنا ببساطة لا أستطيع تخيل ذلك".

قالت فرانكى: "أتعلمين! أنا لا أستطيع تخيل ذلك أيضًا".

قال بوبى بإصرار: "ولكن لابد له أن يكون قد أخذ هذه الصورة. أنصتى جيدًا يا سيدة نيكلسون، فسوف أقص الحقائق على مسامعك".

قام بذلك ببطء وحذر، وحينما انتهى، أومأت برأسها فى فهم.

"أفهم ما تعنيه. يبدو الأمر غريبًا حقًا". وسكتت لدقيقة ثم قالت على نحو غير متوقع: "لماذا لا تسألانه؟".

الفصل ٢٠

تشاور ثنائى

للحظة، أذهلتهما البساطة الشديدة للسؤال، وشرع كل من فرانكى وبوبى فى التحدث فى ذات الوقت:

قال بوبى: "هذا مستحيل..."، فى الوقت الذى قالت فيه فرانكى: "هذا لن يجدى نفعًا".

ثم سكتا وأخذا يفكران بعمق فى هذه الفكرة.

قالت موبرا بحماس: "أنا لا أفهم ماذا تعنيان. يبدو كما لو أن روجر هو من أخذ الصورة، ولكننى لا أصدق على الإطلاق أنه من دفع آلان من فوق الجرف: فلماذا يقوم بشىء كهذا؟ إنه حتى لا يعرفه ـ إنهما لم يلتقيا سوى مرة واحدة على الغداء هنا. إنهما لم يتقابلا سوى هذه المرة، وليس هناك دافع".

سألت فرانكى بحدة: "إذن من دفعه؟".

وعبر وجه موبرا ظل.

قالت فى ارتباك: "لا أعرف".

قال بوبى: "اسمعى، هل تمانعين فى أن تخبرى فرانكى بما

أخبرتني به ـ بشأن ما أنت خائفة منه".

أشاحت موبرا برأسها بعيدًا.

"كما تشاء، ولكنه يبدو ميلودراميًا وهيستيريًا، وأنا نفسي لا أصدقه في هذه اللحظة".

في الواقع، بدا هذا التصريح البسيط ـ الذي تردد في الأجواء المفتوحة للريف الإنجليزي الهادئ ـ غير حقيقي بشكل مثير للفضول.

نهضت موبرا فجأة.

ثم قالت بينما ترتعد شفتاها: "إنني حقًا أشعر بأنني كنت سخيفة للغاية ـ من فضلك لا تكترث لما قلته يا سيد جونز. فإنني فقط متوترة، على أية حال، لابد لي أن أمضي إلى اللقاء".

غادرت بسرعة، وانطلق بوبي للحاق بها، ولكن فرانكي أمسكت به لتمنعه من ذلك.

"ابق هنا أيها الأحمق واترك هذا الأمر لي".

وانطلقت بسرعة للحاق بـ موبرا، وعادت بعد بضع دقائق.

سألها بوبي في قلق: "حسنًا؟".

"لا بأس ـ لقد قمت بتهدئتها. لقد كان من الصعب عليها أن يكشف أحد عن مخاوفها الشخصية لشخص ثالث، وقد وعدتها بأننا سنلتقي ثانية ـ ثلاثتنا ـ قريبًا. الآن، وبما أنها ليست موجودة، فلن تجد صعوبة في أن تخبرني بكل شيء حول هذا الأمر".

أخبرها بوبي، وأنصتت فرانكي بتمعن، وبعد ذلك قالت:

"إن ذلك يتواءم مع شيئين: أولاً، حينما عدت الآن وجدت نيكلسون ممسكًا بكلتا يدي سيلفيا باسينجتون فرينش ـ وبالها من نظرة تلك التي رمقتني بها! لو كانت النظرات قاتلة فأنا واثقة من أنني كنت سأصبح جثة هامدة هناك".

سألها بوبي: "وما الشيء الآخر؟".

"آه، إنها مجرد مصادفة. لقد كانت سيلفيا تتحدث عن الانطباع الكبير الذي تركته صورة موبرا على شخص غريب أتى إلى المنزل ـ كان هذا الغريب هو كارستيرز. لقد تعرف على الصورة، وقد أخبرته السيدة باسينجتون فرينش بأنها صورة للسيدة نيكلسون، وهذا يوضح كيف استطاع العثور عليها، ولكن أتعرف يا بوبي! أنا لا أستطيع ربط نيكلسون بكل هذا! فلماذا قد يرغب في قتل آلان كارستيرز؟".

"أنت تظنين أنه الفاعل وليس باسينجتون فرينش؟ ستكون مصادفة حقيقية إن كان هو وباسينجتون فرينش قد ذهبا إلى ماركيولت في نفس اليوم".

"حسنًا، إن المصادفات تحدث، ولكن إن كان نيكلسون هو الفاعل، فأنا لا أستطيع تبين الدافع ـ فهل كان كارستيرز في أعتاب نيكلسون بوصفه زعيمًا لعصابة مخدرات؟ أم أن صديقتك الجديدة هي الدافع الحقيقي وراء القتل؟".

اقترح بوبي: "قد يكون الدافع هو كلا السببين؛ فربما يكون قد علم بلقاء زوجته وكارستيرز، وربما اعتقد أن زوجته قد خانته بكشف أمره".

قالت فرانكي: "هذا محتمل، ولكن علينا أولاً معرفة علاقة

روجر باسينجتون فرينش بالأمر ـ إن الشيء الوحيد الذي لدينا ضده هو مسألة الصورة؛ فإن استطاع تبرئة نفسه من هذه التهمة بشكل مُرْضٍ ... ".

"هل ستتحدثين معه في هذا الأمر؟ هل تعتقدين أن ذلك تصرف حكيم يا فرانكي؟ إن كان هو الشرير بالقصة ـ كما كنا نعتقد ـ فذلك يعني أنني سنكشف له أوراقنا".

"ليس تمامًا ـ ليس من خلال الطريقة التي سأتبعها؛ فبالرغم من كل شيء، لقد كان مباشرًا وصريحًا، ونحن اعتبرنا ذلك مكرًا ودهاءً ـ ولكن ماذا لو كان هذا مجرد براءة؟ إن كان بوسعه تفسير أمر الصورة ـ وأنا سوف أراقبه عند شرحه للأمر ـ وإن بدت على وجهه أقل أمارة من أمارات التردد أو الذنب، فسوف أراها ـ وكما قلت، لو كان بوسعه تفسير أمر الصورة ـ إذن فقد يصبح حليفًا شديد القيمة لنا".

"وكيف تنوين فعل ذلك يا فرانكي؟".

"يا عزيزي، إن صديقتك الصغيرة قد تكون شخصاً عاطفيًا مروجًا للذعر ويحب المبالغة، ولكن على افتراض أنها ليست كذلك، وأن كل ما تقوله هو الحقيقة، وأن زوجها يريد التخلص منها والزواج من سيلفيا ـ ألا تعتقد أنه في هذه الحالة يصبح هتري باسينجتون فرينش في خطر محدق كذلك؟ يجب أن نبذل قصارى جهدنا لمنع إرساله إلى الجرانج. وفي الوقت الحاضر فإن روجر باسينجتون فرينش يقف في صف الطبيب نيكلسون".

قال بوبي بهدوء: "حسنًا يا فرانكي، فلتمضي قدمًا في

خطتك".

نهضت فرانكي كي ترحل، ولكن قبل أن تغادر توقفت للحظة.

قالت: "أليس هذا غريبًا؟ يبدو الأمر وكأننا علقنا داخل طيات كتاب ـ إننا في منتصف قصة شخص آخر، يالله من شعور غريب مخيف".

قال بوبي: "أعلم ما تعنينه؛ فالأمر غريب حقًا، ولكنني كنت سأطلق عليها مسرحية وليس كتابًا؛ فالأمر يبدو وكأننا صعدنا على خشبة المسرح في منتصف الفصل الثاني دون أن تكون لنا أدوار فعلية بالمسرحية، ولكن علينا أن نتظاهر، وما يجعل الأمر شديد الصعوبة هو أننا لا نمتلك، أدنى فكرة عما كان يدور حوله الفصل الأول".

أومأت فرانكي موافقة إياه.

"أنا لست واثقة حتى من أنه الفصل الثاني ـ فأنا أشعر وكأنه الثالث. أنا متأكدة، يا بوبي، أن علينا العودة كثيرًا للوراء ... وأن علينا أن نتحرى السرعة لأن الستار أصبح على وشك أن يسدل".

قال بوبي: "نعم، مع تبعثر الجثث في كل مكان. إن ما جلبنا إلى العرض كان مفتاحًا مكونًا من أربع كلمات ليس لها أدنى معنى".

"*لماذا لم يسألوا إيفانز؟*" أليس غريبًا يا بوبي أننا بالرغم من اكتشافنا للكثير وإزاحتنا الستار عن مزيد من الشخصيات، فإننا لم نقترب قط من الغامض إيفانز؟".

"لقد كونت فكرة عن إيفانز. إن لدي شعورًا بأن إيفانز

هذا لا يشكل أية أهمية على الإطلاق ـ وأنه بالرغم من كونه نقطة البدء التي انطلقنا منها، فإنه ليس مهمًّا في حد ذاته. إن الأمر يشبه قصة ويلز؛ حيث بنى الأمير قصرًا أو معبدًا عظيمًا حول قبر حبيبته. وعند اكتماله كان هناك شيء واحد منفر، لذا قال: "انقلوه بعيدًا"! وهذا الشيء في الواقع كان القبر نفسه".

قالت فرانكي: "في بعض الأحيان، لا أصدق أن هناك شخصًا يدعى إيفانز".

وبعد أن قالت هذا، أومأت لـ بوبي وعادت أدراجها نحو المنزل.

روجر يجيب عن سؤال

كان الحظ حليف فرانكي؛ حيث التقت روجر بالقرب من المنزل.

قال: "مرحبًا، لقد عدت سريعًا من لندن".

قالت فرانكي: "لم تكن حالتي المزاجية تسمح لي بالبقاء في لندن أكثر من ذلك".

سألها: "هل ذهبت إلى المنزل بعد؟". كسا وجهَهُ تعبير حزين ثم قال: "لقد اكتشفت أن نيكلسون أخبر سيلفيا بشأن هنري العجوز المسكين ـ يالها من فتاة مسكينة! لقد تألمت بشدة لسماعها الأمر؛ إذ يبدو أنها لم تكن تشك في هذا الأمر على الإطلاق".

قالت فرانكي: "أعلم ذلك، كان الاتصال بالمكتبة مهمًا حينما عدت. وقد كانت ـ حزينة للغاية".

قال روجر: "اسمعي يا فرانكي، لابد من علاج هنري. إن تلك العادة لم تعرض سطوتها عليه بعد؛ فهو لم يبدأ التعاطي

منذ فترة طويلة، وهو لديه أقوى حافز في العالم للإقلاع ـ سيلفيا وتومي ومنزله. لابد من إرغامه على استيعاب ما يحدث بشكل واضح. إن نيكلسون هو من يستطيع القيام بذلك. وقد كان يتحدث معي بالأمر منذ بضعة أيام. لقد حقق نتائج مذهلة حقاً ـ حتى مع أشخاص كانوا مثل العبيد لتلك المادة البغيضة. فقط لو وافق هنري على دخول الجرائح".

قاطعته فرانكي.

قالت: "اسمع، هناك سؤال أود أن أطرحه عليك. مجرد سؤال، وأتمنى ألا تظن أنني وقحة إلى حد مخيف".

سألها روجر بمدما أثارت فضوله: "ما الأمر يا فرانكي؟".

"هلا أخبرتني عما إذا كنت قد قمت بأخذ صورة من جيب هذا الرجل ـ هذا الرجل الذي سقط من فوق الجرف في ماركبونت؟".

كانت تتفحصه عن كثب، وتراقب أدق تفاصيل تعبيرات وجهه، وكانت راضية بما رأته.

انزعاج طفيف، شيء من الإحراج ـ لا أثر لشعور بالذنب أو الفزع.

قال: "كيف بحق السماء استطعت تخمين ذلك؟ أم أن موبرا أخبرتك ـ ولكنها لم تكن تعرف في ذلك الوقت؟".

"لقد أخذتها إذن؟".

"أعتقد أن عليّ الاعتراف بذلك".

"لماذا؟".

بدا روجر محرجًا مرة أخرى.

"حسنًا، فلننظر إلى الأمر كما نظرت أنا إليه ـ ها أنا ذا أحرس جثة شخص غريب، وهناك شيء ما يبرز من جيبه، وعندما نظرت إليه شاءت الصدفة أن تكون صورة امرأة أعرفها ـ امرأة متزوجة ـ امرأة لا أعتقد أنها سعيدة في زواجها. ماذا سوف يحدث؟ سيُجرَى تحقيق علني، وسوف يُذكر اسم هذه المرأة المسكينة في كل الصحف. لقد تصرفت بشكل تلقائي ـ أخذت الصورة ومزقتها. عليّ الاعتراف بأنه سوء تصرف من جانبي، ولكن موبرا امرأة لطيفة ولم أكن أريد لها التورط في هذا الأمر".

أخذت فرانكي نفسًا عميقًا.

قالت: "إذن، فهذا هو كل ما في الأمر. لو كنت فقط تعلم...".

قال روجر في ارتياك: "أعلم ماذا؟".

قالت فرانكي: "لا أعلم مما إذا كان بوسعي أن أخبرك بهذا الآن! ربما أفعل في وقت لاحق. إنني أستطيع أن أتفهم سبب أخذك للصورة، ولكن ما الذي جعلك تتظاهر بأنك لم تتعرف على الرجل؟ ألم يكن من المفترض أن تخبر الشرطة عمن يكون؟".

قال روجر وقد بدت الحيرة على ملامح وجهه: "تعرفت عليه؟".

"كيف كان لي أن أتعرف عليه؟ أنا لا أعرفه".

"ولكنك قابلته هنا ـ قبل أسبوع من الحادث تقريبًا".

"هل فقدت عقلك يا عزيزتي؟".

"ألان كارستيرز ـ هل قابلت ألان كارستيرز؟".

"آه، نعم! الرجل الذى جاء مع آل ريفنجتون، ولكن الرجل الميت لم يكن ألان كارستيرز".

"لا، لقد كان هو!".

وظلا يحدقان ببعضهما البعض، ثم قالت فرانكى وقد تجدد الشك فى نفسها:

"كان لابد لك من التعرف عليه؟".

قال روجر: "أنا لم أر وجهه".

"ماذا؟".

"لقد كان هناك منديل فوق وجهه".

حدقت به فرانكى، ثم تذكرت فجأة أنه فى الرواية الأولى لـ بويرو عن هذه المأساة ذكر أنه وضع منديلاً على وجه الرجل الميت.

واصلت فرانكى كلامها: "ألم تفكر فى إزاحة المنديل ورؤية وجهه؟".

"لا. ولماذا أفعل شيئًا كهذا؟".

قالت فرانكى لنفسها: "بالطبع لو عثرت على صورة امرأة أعرفها فى جيب شخص ما، لنظرت إلى وجهه بالطبع. كم هم رائعون حقًا هؤلاء الرجال غير الفضوليين!".

قالت فرانكى: "المرأة المسكينة. أنا آسفة للغاية من أجلها".

"من تعنين ـ مويرا نيكلسون؟ لماذا أنت آسفة من أجلها؟".

قالت فرانكى ببطء: "لأنها خائفة".

"إنها تبدو دومًا خائفة للغاية ـ ما الذى تخشاه؟".

"زوجها".

اعترف روجر قائلاً: "لا أعرف ما إذا كان باستطاعتى أن أكون فى صفها ضد جاسبر نيكلسون!".

قالت فرانكى فجأة: "إنها واثقة من أنه يحاول قتلها".

"يا إلهى!"، ونظر إليها فى عدم تصديق.

قالت فرانكى: "اجلس، فسوف أخبرك بالكثير من الأشياء. علىّ أن أثبت لك أن الطبيب نيكلسون هو مجرم خطير".

"مجرم؟".

كان صوت روجر يملؤه الشك.

"انتظر حتى تسمع الحكاية كاملة".

وسردت عليه بالتفصيل وبحرص كل ما حدث منذ عشر سنوات والطبيب توماس على الجثة، فقط أخفت حقيقة أن حادثها كان مدبرًا، ولكنها جعلت الأمر يبدو كما لو أنها أتت إلى ميروای كورت بدافع من رغبة عارمة فى حل اللغز.

كان روجر ينصت إليها بتوق شديد، وقد بدا مأسورًا حقًا بالقصة.

سألها: "هل هذا صحيح حقًا؟ كل ما قلته بشأن تسمم هذا المدعو جونز وكل هذه الأمور؟".

"إنها الحقيقة يا عزيزى".

"إننى آسف لأجل مبولى المتشككة ـ ولكن هذه الحقائق تحتاج إلى بعض الوقت لاستيعابها، أليس كذلك؟".

سكت لدقيقة وهو مقطب.

قال أخيرًا: "اسمعي، بالرغم من أن الأمر برمته يبدو خياليًا للغاية فإنني أعتقد أنك محقة في استنتاجك الأول. لابد أن هذا الرجل ـ الذي يدعى أليكس بريتشارد أو ألان كارستيرز ـ قد قتل، وسواء كان مفتاح حل اللغز في عبارة *"لماذا لم يسألوا إيفانز؟"* أم لا، فإن ذلك لا يبدو ذا بال بالنسبة لي طالما أنك ليست لديك أدنى فكرة عمن هو إيفانز أو مَن الذي كان ينبغي سؤاله بشأنه. دعينا نفترض أن القاتل أو القتلة ظنوا أن لدى جونز بعض المعلومات ـ سواء كان هو نفسه يعرف ذلك أم لا ـ التي كانت تشكل خطورة عليهم، لذا حاولوا التخلص منه. وعلى الأرجح فإنهم سوف يحاولون ثانية إن نجحوا في اقتفاء أثره. حتى الآن يبدو هذا منطقيًا ـ ولكني لا أرى أي منطق يجعلك تعتقدين أن نيكلسون هو المجرم".

"إنه رجل شرير، وهو لديه سيارة تالبوت زرقاء داكنة وكان متغيبًا عن البلدة في اليوم الذي أصيب فيه بوبي بالتسمم".

"كل هذا ليس سوى دليل واه".

"هناك كل الأمور التي ذكرتها السيدة نيكلسون على مسامع بوبي".

أخبرته بها، ومرة أخرى بدا ما تقوله له ميلودراميًا ولا أساس له من الصحة عند ترديده بصوت عال في هذه الخلفية الريفية الهادئة.

هز روجر كتفيه وقال:

"إنها تعتقد أنه هو من يقوم بإمداد هنري بالمخدر ـ ولكن

هذا مجرد تخمين؛ فهي لا تملك أدنى دليل يؤكد أنه يفعل هذا. إنها تظن أنه يود إدخال هنري الجرانج ـ حسنًا، تلك رغبة طبيعية لدى أي طبيب! فالطبيب يرغب في أن يلتحق بمستشفاه أكبر عدد ممكن من المرضى. كما تعتقد أنه واقع في غرام سيلفيا. حسنًا، أنا لا أستطيع التأكد من حقيقة هذا الأمر بالطبع".

قاطعته فرانكي: "إن كانت تعتقد هذا فهي محقة على الأرجح ـ إن المرأة باستطاعتها معرفة كل شيء عن زوجها".

"حسنًا، على افتراض أن ذلك صحيح، فإن هذا لا يعني أن الرجل مجرم خطير! فبعض الرجال قد يقعون في حب زوجات غيرهم".

جادلته فرانكي قائلة: "إنها تؤمن بأنه يود قتلها".

نظر إليها روجر بسخرية.

"هل تأخذين هذا على محمل الجد حقًا؟".

"إنها تؤمن بهذا بالرغم من كل شيء".

أومأ روجر وأشعل سيجارة.

قال: "السؤال الآن هو مدى الانتباه الذي نعيره لاعتقادها هذا. إن الجرانج هو مكان مروع ممتلئ بالنزلاء غريبي الأطوار، والعيش هناك من شأنه أن يقلقل توازن أية امرأة ـ وخاصة إن كانت من النوع الجبان المتوتر".

"إذن فأنت لا تعتقد أن هذا صحيح؟".

"أنا لم أقل هذا. إنها تصدق على الأرجح أنه يريد قتلها ـ ولكن هل هناك أي أساس لهذا المعتقد؟ لا يبدو هذا".

تذكرت فرانكي بوضوح مثير للفضول موير! وهي تقول "أنا فقط متوترة". ولكن بشكل ما بدا لـ فرانكي أن ترديدها لهذه العبارة ينم عن أن الأمر لم يكن له علاقة بالتوتر. ولكنها فقط وجدت صعوبة في أن تعرف كيف تشرح وجهة نظرها لـ روجر.

في الوقت ذاته واصل الشاب حديثه قائلاً:

"فقط لو أنك استطعت أن تثبتي أن نيكلسون كان في ماركيولت يوم مأساة الجرف فإن ذلك سيكون أمرًا مختلفًا. أو إن استطعنا إيجاد دافع دامغ يربطه بـ كارستيرز. ولكن يبدو لي أنك تغضين الطرف عن المشتبه بهم الأساسيين".

"ومن هم المشتبه بهم الأساسيون؟".

" آل ـ ما اسمهم ـ كايمان؟".

"آل كايمان".

"هذا صحيح. إنهم بدون شك متورطون في الأمر حتى النخاع ـ فأولاً. هناك مسألة التظاهر بالتعرف على الجثة. وبعد ذلك هناك أمر الإصرار على معرفة ما إذا كان المسكين قد قال أي شيء قبيل وفاته. وأنا أعتقد أنه من المنطقي أن أفترض ـ كما فعلت ـ أن عرض بيونس أيرس جاء منهما، أو كانا هما من رتبا له".

قالت فرانكي: "من المزعج حقًا هذا الجهد الشاق الذي يبذله الآخرون لإبعادك عن الطريق لأنك تعرف شيئًا ما ـ دون أن تعرف أنت نفسك ما هو هذا الشيء. يا إلهي ـ يالها من ورطة يقع بها المرء بسبب بعض الكلمات!".

قال روجر يتجهم: "نعم. كان هذا هو الخطأ الذي وقعا به ـ

خطأ سيتطلب تصحيحه كثيرًا من وقتهما".

صاحت فرانكي: "آها لقد فكرت في شيء ما. إنني أفترض حتى الآن. كما ترى. أنه تم استبدال صورة السيدة كايمان بصورة موير! نيكلسون".

قال روجر برزانة: "يمكنني أن أؤكد لك أنني شعرت بالتفور فور رؤية السيدة كايمان هذه. إنها تبدو مخلوقة بغيضة للغاية".

اعترفت فرانكي: "حسنًا. لقد كانت حسناء بشكل ما ـ حسناء في الجرأة والفظاظة والشر. ولكن بيت القصيد هو هذا: لابد أن كارستيرز كان يحوزته صورتها إضافة إلى صورة السيدة نيكلسون".

أومأ روجر.

قال مقترحًا: "وأنت تعتقدين ...".

"أعتقد أن إحداهما كانت تربطها به علاقة غرامية والأخرى تربطها به علاقة عمل! لقد كان كارستيرز يحمل معه صورة كايمان لسبب ما! فربما كان يرغب في أن يتعرف عليها أحدهم. والآن أنصت ـ ماذا حدث؟ يتبعه شخص ما ـ السيد كايمان ربما ـ ويرى فرصة سانحة فيتسلل من خلفه في الضباب ويدفعه. يسقط كارستيرز من فوق الجرف وهو يصرخ مفزوعًا. يركض السيد كايمان بأقصى سرعة ممكنة: فهو لا يعرف من قد يتصادف وجوده في الجوار. سوف نفترض أنه لم يكن يعلم أن ألان كارستيرز كان يحمل هذه الصورة. ماذا يحدث بعد ذلك؟ يتم نشر الصورة ... ".

قال روجر محاولاً مساعدتها: "يسود الدمر منزل آل كايمان".

"بالضبط. ما الذي ينبغي فعله حينئذ؟ التحلي بالجرأة ـ الإمساك بالثيران الشائك بيدين عاريتين. من الذي يعرف كارستيرز بشكل فعلي؟ لا أحد تقريبًا في البلدة، وهكذا تذهب السيدة كايمان وهي تذرف دموع التماسيح وتتعرف على الجثة على أنها لأخيها، كما يقومان كذلك ببعض التمويه حيث يرسلان طرودًا لدعم نظرية جولة المشي".

قال روجر بإعجاب: "أنعلمين يا فرانكي، أعتقد أن ذلك تفسير نابع حقًا".

قالت فرانكي: "أنا أعتقد أنه جيد كذلك، وأنك محق. ينبغي علينا اقتفاء أثر آل كايمان. لا أدري لماذا لم نفعل هذا قبل ذلك!".

وهذا لم يكن صحيحًا؛ حيث إن فرانكي كانت تعلم السبب في ذلك جيدًا ـ حيث كانا في أثر روجر نفسه. ومع ذلك، فقد شعرت أنه ليس من اللياقة ـ حتى في هذه المرحلة ـ أن تكشف عن هذه الحقيقة.

سألت فجأة: "ماذا ستفعل مع السيدة نيكلسون؟".

"ماذا تقصدين بـ ماذا سنفعل معها؟".

"حسنًا، إن المسكينة خائفة للغاية، وأعتقد أنك تقسو عليها يا روجر".

"أنا لا أقسو عليها، ولكن هؤلاء ممن لا يستطيعون مساعدة أنفسهم يثيرون حنقي دومًا".

"آه! ولكن عليك أن تكون منصفاً ـ ماذا بوسعها أن تفعل؟ ليس معها مال وليس لديها مكان تذهب إليه".

قال روجر بشكل غير متوقع:

"لو كنت مكانها يا فرانكي، لوجدت شيئًا تفعلينه".

أصيبت فرانكي بالصدمة.

"نعم، هذا صحيح! فلو كنت تظنين أن هناك من يحاول قتلك، فلن تقبعي فقط في مكانك في انتظار أن يتم قتلك. سوف تهربين وتكسبين عيشك بطريقة ما، أو أنك ستقتلين هذا الشخص أولاً! سوف تفعلين شيئًا ما".

حاولت فرانكي أن تفكر فيما كانت ستفعله.

قالت وهي مستغرقة في التفكير: "كنت بالتأكيد سأفعل شيئًا ما".

قال روجر بحسم: "حقيقة الأمر أنك تمتلكين الجرأة الكافية بينما لا تمتلكها هي".

شعرت فرانكي بالإطراء؛ فلم تكن موبرا نيكلسون من الطراز الذي يحوز إعجابها، كما أنها شعرت ببعض الاستياء لاهتمام بوبي المفرط بها. قالت لنفسها: "إن بوبي يحب النساء قليلات الحيلة". وتذكرت كم كانت الصورة تشغل كل تفكيره منذ البداية.

فكرت فرانكي: "حسنًا، إن روجر مختلف".

كان من الواضح أن روجر لم يكن من النوع الذي يحب النساء قليلات الحيلة، وعلى الجانب الآخر، من الواضح أن موبرا لا يروق لها روجر كثيرًا؛ فهي قد نعتته بالضعيف ونفت

احتمال امتلاكه الجرأة على قتل أحد. ربما يكون ضعيفًا، ولكنه جذاب بدون شك ـ لقد شعرت بذلك منذ أول يوم وطأت فيه قدماها ميروای كورت.

قال روجر بهدوء:

"يمكنك أن تفعلي أي شيء ترغبين فيه في الرجل إن وددت ذلك ...".

شعرت فرانكي بسعادة غامرة هجائية تسري بداخلها ـ ولكنها شعرت بخجل شديد في الوقت ذاته، وقامت بتغيير الموضوع سريعًا.

قالت: "بشأن أخيك، هل تعتقد أنه لايزال بحاجة لدخول الجرانج؟".

الفصل ٢٢

ضحية أخرى

قال روجر: "لا؛ فبالرغم من كل شيء، توجد الكثير من الأماكن الأخرى التي يمكنه تلقي العلاج بها، لكن المهم حقًا هو إقناع هنري بالموافقة".

سألته فرانكي: "هل تعتقد أن ذلك سيكون صعبًا؟".

"أخشى أنه قد يكون كذلك. لقد سمعت ما قاله في هذه الليلة التي كنا فيها معًا. وعلى الجانب الآخر، فإن استطعنا فقط التحدث إليه في وقت يغلب عليه فيه الشعور بالأسف، فسوف يكون ذلك مختلفًا. مرحبًا ها قد أتت سيلفيا".

خرجت السيدة باسينجتون فرينش من المنزل ونظرت حولها، وما أن رأت روجر وفرانكي حتى اتجهت نحوهما عبر العشب.

كان بوسعهما أن يريا كم تبدو قلقة للغاية ومتوترة.

قالت: "روجر، لقد كنت أبحث عنك في كل مكان". بعد ذلك، حينما همت فرانكي بالذهاب قالت: "لا يا عزيزتي، لا

تذهبي. ما الداعي لإخفاء الأمر؟ على أية حال، أعتقد أنك تعلمين بالفعل؛ فقد كان الشك يساورك منذ فترة. أليس كذلك؟".

أومأت فرانكي.

قالت سيلفيا في مرارة: "في الوقت الذي كنت أنا فيه معصوبة العينين، رأيتما ما لم أستطع أنا أن أرتاب فيه قط. بل كنت فقط أتساءل عن سبب تغير هنري معنا جميعًا على هذا النحو، وقد جعلني ذلك تعيسة للغاية، ولكنني لم أستطع تخمين السبب قط".

سكتت ثم واصلت كلامها مرة أخرى وقد تغيرت نبرة صوتها قليلاً.

"بمجرد أن أخبرني الطبيب نيكلسون بالأمر، ذهبت مباشرة إلى هنري. لقد تركته لتوي". ثم سكتت ومنعت نفسها من النشيج.

"روجر، إن كل شيء سيكون على ما يرام ـ لقد وافق، سوف يدخل الجرانج ويضع نفسه بين يدي الطبيب نيكلسون غدًا!".

"آه، لا ـ". صدرت صيحة التعجب تلك عن روجر وفرانكي في الوقت ذاته، فنظرت إليهما سيلفيا في دهشة.

تحدث روجر بارتياك.

"أتعلمين يا سيلفيا، لقد كنت أفكر بالأمر، وأظن أن الجرانج ليس بالفكرة السديدة".

سألت سيلفيا في شك: "أتعتقد أنه يستطيع التغلب على هذه المشكلة وحده؟".

"لا، لا أعتقد هذا. ولكن هناك أماكن أخرى؛ أماكن ليست ـ حسنًا ـ ليست بهذا القرب؛ فأنا مقتنع بأن بقاءه في الجوار سيكون خطأ كبيرًا".

هبت فرانكي لنجدته: "وأنا أوافقك الرأي".

قالت سيلفيا: "أما أنا فلا أوافقك الرأي لأنني لن أتحمل أن يذهب بعيدًا عني، كما أن الطبيب نيكلسون عطوف ومتفهم، وسوف أكون مطمئنة وسعيدة عند ترك هنري تحت رعايته".

قال روجر: "كنت أعتقد أنك لا تحبين نيكلسون يا سيلفيا".

قالت ببساطة: "لقد تبدلت فكرتي عنه، فكم كان لطيفًا وعطوفًا في ظهيرة هذا اليوم ـ لقد تبدد رأيي المسبق فيه تمامًا".

سادت لحظة من الصمت، كان الوضع مربكًا ولم يعرف أي من روجر أو سيلفيا ما عليهما قوله بعد ذلك.

قالت سيلفيا: "هنري المسكين! لقد انهار ـ لقد أصيب باستياء شديد لأنني عرفت، وقد وافق على ضرورة محاربته لهذا الإدمان البغيض لأجلي ولأجل تومي، ولكنه قال إنني ليست لديّ أدنى فكرة عما يعنيه هذا، وأعتقد أنه محق، بالرغم من أن الطبيب نيكلسون شرح لي كل شيء؛ فعلى حد قوله، قد يصبح الأمر بمثابة الهوس، ويُضحي الناس غير مسئولين عن تصرفاتهم. آه يا روجر، كم يبدو الأمر بشعًا! ولكن الطبيب نيكلسون كان عطوفًا للغاية، وأنا أثق به".

قال روجر: "ولكني أعتقد أنه سيكون من الأفضل ...".

استدارت سيلفيا لمواجهته.

"أنا لا أفهمك يا روجر. لماذا غيرت رأيك؟ منذ نصف ساعة كنت تؤازر فكرة دخول هنري مصحة الجرانج بكل جوارحك".

"حسنًا ـ لقد ـ لقد أتيح لي الوقت لدراسة الأمر جيدًا منذ ـ".

قاطعته سيلفيا مرة أخرى.

"على أية حال، لقد اتخذت القرار. سوف يدخل هنري الجرانج دون سواها".

فاما بمواجهتها في صمت ثم قال روجر:

"أتعلمين؟ سوف أتصل بـ نيكلسون. سيكون بالمنزل الآن؛ فأنا فقط أود التحدث إليه بشأن بعض الأمور".

ودون أن ينتظر ردًا منها، استدار وتوجه ناحية المنزل بسرعة، وأخذت السيدتان تنظران إليه.

قالت سيلفيا في نفاد صبر: "لا أستطيع أن أفهم روجر ـ منذ ربع ساعة مضت كان يقنعني بإدخال هنري مصحة الجرانج".

كان يتخلل صوتها بعض الغضب الطفيف.

قالت فرانكي: "على أية حال، أنا أتفق معه في الرأي؛ فقد قرأت قبل ذلك أنه من الأفضل أن يتلقى الناس العلاج في مكان بعيد عن منازلهم".

قالت سيلفيا: "هذا محض هراء".

شعرت فرانكي بأنها في ورطة؛ فعناد سيلفيا غير المتوقع زاد من صعوبة الأمر. كما أنها بدت فجأة مؤازرة بعنف للطبيب نيكلسون بنفس درجة خلافها معه قبل ذلك. كان من الصعب

أن تعرف كيف تجادلها بهذا الشأن. فكرت فرانكي في أن تخبر سيلفيا بالحقيقة كاملة ـ ولكن هل ستصدقها سيلفيا؟ فحتى روجر نفسه لم يقتنع بالنظرية التي تدين الطبيب نيكلسون، وبالأحرى لن تقتنع سيلفيا هي الأخرى وخاصة بعد الشراكة التي أسستها حديثًا مع الطبيب ـ إنها حتى قد تذهب وتخبره بالأمر برمته. إن الأمر بالغ الصعوبة.

حلقت على ارتفاع منخفض فوقهما طائرة داخل العنق المتشكل، معيقة الهواء بصوت محركاتها العالي فحدقت كل من سيلفيا وفرانكي بها، وهما سعيدتان بفترة الراحة التي أمدتهما بها بعد أن كلتيهما لم يعد لديها شيء تقوله؛ فقد منحت فرانكي وقتًا لحصر أفكارها، ومنحت سيلفيا وقتًا للتعافي من غضبها المفاجئ.

وبعد أن اختفت الطائرة فوق الأشجار وانحسر صوت زئيرها، استدارت سيلفيا ناحية فرانكي فجأة.

قالت في حسرة: "إن الأمر بشع حقًا، وأنتم جميعًا تريدون إرسال هنري بعيدًا عني".

قالت فرانكي: "لا، لا، إن الأمر ليس كذلك على الإطلاق".

فكرت فيما ينبغي عليها أن تقوله لدقيقة.

"كل ما في الأمر أنني ظننت أن عليه تلقي أفضل علاج، وأنا أعتقد أن الطبيب نيكلسون ما هو إلا ـ حسنًا ـ مجرد دجال!".

قالت سيلفيا: "أنا لا أصدق هذا، وأنا أعتقد أنه طبيب ماهر للغاية، وأنه الرجل الذي يحتاج إليه هنري تمامًا".

نظرت إلى فرانكي بتحدٍّ. فاندهشت فرانكي من التأثير القوي الذي فرضه الطبيب نيكلسون عليها في هذه الفترة القصيرة؛ فكل انعدام ثقتها السابق بالرجل يبدو أنه تبدد تمامًا.

وبينما هي واقفة في حيرة كاملة بشأن ما تقوله أو تفعله بعد ذلك، استسلمت فرانكي للصمت. خرج روجر مرة أخرى من المنزل، وقد بدا لاهثًا بعض الشيء.

قال: "إن نيكلسون لم يعد إلى المنزل بعد ـ لقد تركت له رسالة".

قالت سيلفيا: "أنا لا أعرف لماذا ترغب في رؤية الطبيب نيكلسون بهذا الشكل الملح؛ فأنت من وضع هذه الخطة، وتم ترتيب كل شيء ووافق هنري".

قال روجر برفق: "أعتقد أنه يجب الأخذ برأيي في أمر مثل هذا؛ فبالرغم من كل شيء فأنا شقيق هنري".

قالت سيلفيا بعناد: "لقد كان ذلك هو اقتراحك منذ البداية".

"نعم، ولكنني سمعت بعض الأمور عن نيكلسون بعد ذلك".

"أية أمور؟ أما أنا لا أصدقك".

عضت شفتها، واستدارت متوجهة إلى المنزل.

نظر روجر إلى فرانكي.

قال: "إن الأمر مريب بعض الشيء".

"بل مريب للغاية".

"بمجرد أن تعزم سيلفيا على شيء، فإنها تصبح عنيدة كالشيطان".

"ماذا ستفعل؟".

جلسا على أريكة الحديقة وتحدثا في الأمر بحرص. وقد وافق روجر فرانكي على أنه لن يكون من الحكمة إخبار سيلفيا بالأمر. وكانت الخطة المثلى في رأيه هي تولي أمر الطبيب.

"ولكن ماذا سوف تقول له بالتحديد؟".

"لا أعتقد أنني سأقول الكثير ـ ولكنني سألمح له ببعض الأشياء. على أية حال، أنا أتفق معك بشأن شيء واحد ـ لا يجب أن يدخل هنري الجرانج، حتى لو اضطررنا لكشف حقيقة الأمر: فيجب أن نحُول دون حدوث ذلك".

ذكرته فرانكي قائلة: "سيضيع كل شيء هباء إن حدث هذا".

"أعلم هذا ـ لذلك علينا أن نجرب كل شيء آخر أولاً. تبًا لـ سيلفيا، لماذا يجب أن تكون بهذا العناد في هذا الوقت بالذات؟".

قالت فرانكي: "هذا يعكس مدى تأثير الطبيب القوي".

"نعم. أتعلمين؟ هذا يدفعني لتصديق ذلك، بدليل أو بدون دليل، قد تكونين محقة بشأنه بالرغم من كل شيء ـ ما هذا؟".

قفز كل منهما من مكانه.

قالت فرانكي: "يبدو أنه طلق ناري. لقد أتى الصوت من المنزل".

نظرا إلى بعضهما البعض ثم ركضا ناحية المنزل. دخلا من خلال النافذة الفرنسية لحجرة الاستقبال ومنها توجها إلى الردهة. كانت سيلفيا باسينجتون فرينش تقف هناك ووجهها شاحب كالورقة.

قالت: "أسمعتما هذا؟ إنه صوت طلق ناري ـ من حجرة هنري؟".

ترنحت فوضع روجر ذراعه حوله لموازنتها. وذهبت فرانكي إلى غرفة المكتب وأدارت المقبض.

قالت: "إنه موصد".

قال روجر: "النافذة".

وضع سيلفيا ـ التي كانت شبه فاقدة للوعي ـ على الأريكة وهرع مجددًا عابرًا غرفة الاستقبال بينما تبعته فرانكي مباشرة. استدارا حول المنزل حتى وصلا إلى نافذة غرفة المكتب، التي كانت موصدة أيضًا، ولكنهما اقتربا بوجههما من الزجاج وحدقا بالداخل. كانت الشمس تغرب ولم يكن هناك كثير من الضوء ـ ولكنهما رأيا ما يكفي.

كان هنري باسينجتون فرينش ممدًا فوق مكتبه. كان هناك جرح واضح في صدغه ناتج عن رصاصة ومسدس ملقى على الأرض؛ حيث سقط من يده.

قالت فرانكي: "لقد أطلق النار على نفسه. يا إلهي!".

قال روجر: "عودي للخلف قليلاً. سوف أكسر النافذة".

لف معطفه حول يده ولكم لوحًا زجاجيًا بقوة فحطمه. التقط روجر الأجزاء الزجاجية بحرص، وبعد ذلك دخل

هو وفرانكي الغرفة. وأثناء ذلك، جاءت السيدة باسينجتون فرينش والطبيب نيكلسون يهرعان عبر الشرفة.

قالت سيلفيا: "ها هو الطبيب. لقد أتى لتوه. هل ـ هل حدث شيء لـ هنري؟".

حينها رأت الجسد الممدد وصرخت.

خرج روجر عبر النافذة ثانية سريعًا وألقى الطبيب نيكلسون بـ سيلفيا بين ذراعيه.

قال بشكل مختصر: "خذها من هنا. اعتن بها. اسقها أي مشروب إن استطاعت تناوله. لا تجعلها تشاهد شيئًا أكثر مما شاهدته".

دخل عبر النافذة وانضم إلى فرانكي.

هز رأسه ببطء.

قال: "ياله من حادث تراجيدي! يا الرجل المسكين! لقد شعر بأن الموقف أقوى منه! يا للأسف، يا للأسف!".

وانحنى فوق الجثة ثم وقف منتصبًا مرة أخرى.

"ليس بوسعنا القيام بشيء. لابد أنه مات على الفور. إنني أتساءل عما إذا كان قد كتب شيئًا أولاً ـ إنهم عادة ما يفعلون هذا!".

تقدمت فرانكي حتى وقفت إلى جواره. كانت هناك ورقة عليها بعض الكلمات ـ المكتوبة حديثًا فيما يبدو ـ ترقد عند مرفق باسينجتون فرينش. وكان محواها واضحًا بما فيه الكفاية.

(كتب هنري باسينجتون فرينش) إنني أشعر بأن هذا هو الحل الأمثل. فهذه العادة القاتلة فرضت سطوتها عليّ بشكل

لا يمكنني أستطيع محاربتها الآن. لقد أردت أن أفعل أفضل ما بوسعي لأجل سيلفيا ـ سيلفيا وتومي. بارك الله فيكما. سامحاني...

شعرت فرانكي بكتلة تتشكل في حلقها.

قال الطبيب نيكلسون: "لا يجب أن نلمس أي شيء؛ فسوف يكون هناك تحقيق بالطبع. لابد أن نتصل بالشرطة".

امتثالاً منها لأمره، ذهبت فرانكي ناحية الباب، ثم توقفت.

قالت: "إن المفتاح ليس بالباب".

"حقًا؟ ربما كان في جيبه".

انحنى وأخذ يبحث برفق، ومن جيب الرجل الميت أخرج مفتاحًا.

حاول وضعه في القفل فدخل، وعمًا خرجا إلى الردهة. وذهب الطبيب نيكلسون مباشرة إلى الهاتف.

شعرت فرانكي ـ التي كانت ركبتاها ترتعدان ـ بالغثيان فجأة!

الفصل ٢٣

اختفاء مويرا

اتصلت فرانكي بـ بوبي بعد نحو ساعة.

"هل هذا هو أنت يا هوكينز؟ مرحبًا يا بوبي ـ هل سمعت بما حدث؟ سمعت؟ أسرع. لابد أن نلتقي بمكان ما. غدًا صباحًا سيكون أفضل على ما أعتقد. سوف أغادر المنزل قبل الإفطار. في الثامنة تقريباً في نفس المكان الذي التقينا فيه اليوم".

أغلقت الخط بعدما ردد بوبي للمرة الثالثة عبارة "حسنًا يا سيدتي"؛ وذلك تحسبًا لوجود أية آذان فضولية تنصت في المكان.

وصل بوبي إلى الموعد أولاً، ولكن فرانكي لم تتركه ينتظر طويلاً. وبدت شاحبة وحزينة.

"مرحبًا يا بوبي. أليس الأمر بشعًا؟ أنا لم أستطع النوم طوال الليل".

قال بوبي: "أنا لم أسمع أية تفاصيل، وكل ما سمعته هو أن السيد باسينجتون فرينش أطلق النار على نفسه. وهذا صحيح

على ما أعتقد".

"نعم. لقد كانت سيلفيا تتحدث إليه ـ تقنعه بالموافقة على برنامج علاجي وقد وافق، بعد ذلك افترض أن شجاعته خانته. ذهب إلى غرفة المكتب الخاصة به وأوصد الباب، وكتب بضع كلمات على ورقة ـ ثم ـ ثم أطلق النار على نفسه ـ إن الأمر يشع يا بوّبي. إنه ـ إنه مريع".

قال بوبي في هدوء: "أعلم هذا".

ظلا صامتين لبرهة.

ثم قطعت فرانكي هذا الصمت قائلة: "سينبغي علىّ المغادرة اليوم بالطبع".

"نعم. أعتقد هذا. كيف حالها ـ أقصد السيدة باسينجتون فرينش؟".

"لقد انهارت المسكينة. لكنني لم أرها منذ ـ منذ وجدنا الجثة. لابد أن الصدمة كانت شديدة الوطأة عليها".

أومأ بوبي.

واصلت فرانكي كلامها: "من الأفضل أن تحضر السيارة في حوالي الحادية عشرة".

لم يجبها بوبي. نظرت إليه فرانكي في نفاد صبر.

"ماذا بك يا بوبي؟ تبدو وكأنك شارد الذهن تمامًا".

"أسف. في الواقع...".

"نعم؟".

"حسنًا، كنت فقط أتساءل. أعتقد ـ حسنًا ـ أعتقد أن ذلك هو ما حدث".

"ماذا تعني بأن ذلك هو ما حدث؟".

"أعني أنه لابد أن يكون قد قتل نفسه بالفعل".

قالت فرانكي: "آه فهمت". فكرت لدقيقة ثم قالت: "نعم، كان حادث انتحار".

"هل أنت واثقة من ذلك؟ فكما تعلمين يا فرانكي، فقد أكدت لنا مويرا أن نيكلسون يرغب في إزاحة شخصين من طريقه. حسنًا، ها قد رحل أحدهما".

فكرت فرانكي مجددًا. ولكنها هزت رأسها مرة أخرى.

قالت: "لابد أنه حادث انتحار. لقد كنت في الحديقة مع روجر حينما سمعنا الطلقة فركضنا مباشرة داخل المنزل عبر غرفة الاستقبال إلى الردهة. ولما كان باب حجرة المكتب موصدًا من الداخل، فقد قمنا بالاستدارة حول المنزل إلى النافذة، وكانت موصدة كذلك، واضطر روجر لتحطيمها، ولم يظهر نيكلسون في الصورة حتى هذه اللحظة".

فكر بوبي في هذه المعلومة.

وافقها بوبي قائلاً: "يبدو الأمر حقيقيًا، ولكن يبدو أن نيكلسون قد ظهر في الصورة فجأة".

"كان قد ترك عصاه قبل ذلك في فترة ما بعد الظهيرة وعاد لأخذها".

كان بوبي مقتنعًا من فرط استغراقه في التفكير.

"اسمعي يا فرانكي ـ ماذا لو أن نيكلسون قد أطلق النار بالفعل على باسينجتون فرينش...".

"بعد أن أقنعه أولاً بكتابة خطاب وداع يؤكد به انتحاره؟".

"أعتقد أن ذلك سيكون أسهل ما يمكن تزويره فى العالم؛ فلن يتم ملاحظة أى تغير فى خط اليد وسط هذا الهرج والمرج".

"نعم، هذا صحيح ـ دعنى أسمع نظريتك".

"يطلق نيكلسون النار على باسينجتون فرينش، ويترك خطاب الوداع، ويغادر الغرفة ويوصد الباب ـ وذلك ليظهر بعد بضع دقائق وكأنه قد وصل لتوه".

هزت فرانكى رأسها فى أسف.

"إنها فكرة جيدة ـ ولكنها لا تتواءم مع ما حدث؛ فأولاً، كان المفتاح فى جيب هنرى باسينجتون فرينش".

"من عثر عليه هناك؟".

"حسنًا، فى الواقع كان نيكلسون هو من وجده".

"ها قد قلتها بنفسك، وما أسهل أن يتظاهر أنه وجده هناك".

"إننى كنت أراقبه ـ هل تذكر هذا. أنا واثقة من أن المفتاح كان فى الجيب".

"هذا هو ما يقوله المرء عند مشاهدته لساحر ما؛ فأنت تريده يضع الأرنب فى القبعة! فإن كان نيكلسون مجرمًا من الطراز الأول فإنه لن يجد أية صعوبة فى القيام بحركة تعتمد على خفة اليد مثل هذه".

"حسنًا، قد تكون محقًا بشأن هذا، ولكن فى الواقع يا بوبى أن الأمر برمته مستحيل. إن سيلفيا باسينجتون فرينش كانت بالمنزل بالفعل عند إطلاق النار، وفى لحظة سماعها للطلق

النارى ركضت إلى الردهة؛ فلو كان نيكلسون قد أطلق النار وخرج خلال باب حجرة المكتب كانت ستراه دون شك ـ علاوة على ذلك، فقد أخبرتنا أنه أتى من خلال الممشى إلى الباب الأمامى، ورأته قادمًا فى الوقت الذى استدرنا فيه حول المنزل وهرعت إليه وجلبته إلى نافذة حجرة المكتب. لا يا بوبى، إننى أكره أن أعترف بذلك، ولكن لدى الرجل حجة غياب".

قال بوبى: "فى الواقع، أنا لا أثق بمن لديهم حجة غياب".

"وكذلك أنا، ولكنى لا أعرف كيف يمكنك دحض هذه الحجة".

"لا، لابد أن شهادة سيلفيا باسينجتون فرينش كافية لدحض أية شكوك".

"هذا صحيح".

قال بوبى وهو يتنهد: "حسنًا، أعتقد أن علينا قبول ما حدث على أنه انتحار. يا للرجل المسكين! من علينا التقصى بشأنه بعد ذلك يا فرانكى؟".

قالت فرانكى: "آل كايمان. أنا لا أعرف كيف لم نتحرَّ بشأنهما أولاً. أنت محتفظ بالعنوان الذى راسلك منه كايمان، أليس كذلك؟".

"نعم، إنه نفس العنوان الذى أعطيناه للشرطة فى التحقيق ـ ١٧ شارع ليوناردز جاردنز، بادينجتون".

"ألا توافقنى الرأى أننا أهملنا هذا الخط من التحقيق؟".

"أتعلمين يا فرانكى، تساورنى فكرة غريبة بأنك ستجدينهما قد رحلا؛ فهما ليسا بهذه السذاجة".

"حتى وإن كانا قد رحلا، سوف أكتشف شيئًا بشأنهما".

"لماذا ... أنا؟".

"لأننى لا أعتقد أنه من المستحسن أن تظهر فى الصورة. إن الأمر يشبه مجيئنا إلى هنا حينما اعتقدنا أن روجر هو الرجل الشرير فى القصة: إنهما يعرفانك ولكنهما لا يعرفاننى".

سأل بوبى: "وكيف تنوين التعرف إليهما؟".

قالت فرانكى: "سوف أتقمص دورًا سياسيًا ما ـ سوف أتظاهر بأننى أطوف البلدان لجمع الأصوات من أجل حزب المحافظين. سوف أذهب إلى هناك ويحوزنى كتيبات".

قال بوبى: "جيد. ولكن كما قلت قبل ذلك، ستجدينهما قد رحلا. الآن يوجد شىء آخر يتطلب منا التفكير بشأنه ـ موبرا".

قالت فرانكى: "يا إلهى! لقد نسيت أمرها تمامًا".

قال بوبى ببعض البرود: "هذا ما لاحظته".

قالت فرانكى وهى مستغرقة فى التفكير: "أنت محق ـ لابد أن نفعل شيئًا بشأنها".

أومأ بوبى. تمثل أمام عينيه هذا الوجه الغريب: فقد كان هناك شىء تراجيدى بشأنه، ولطالما شعر بذلك منذ اللحظة الأولى التى أخذ فيها الصورة من جيب ألان كارستيرز.

قال: "لو أنك فقط رأيتها فى هذه الليلة التى ذهبتُ فيها للمرة الأولى إلى الجرانج! لقد كانت خائفة إلى حد الجنون ـ وأؤكد لك يا فرانكى أنها محقة. إنه ليس التوتر والخيال أو أى شىء من هذا القبيل هو الذى دفعها لتقول هذا؛ لأنه إذا كان

نيكسون يريد الزواج من سيلفيا باسينجتون فريتش، فعليه التخلص من عشرتين ـ إحداهما قد تولى أمرها بالفعل، وأنا يساورنى شعور بأن حياتها معرضة لخطر شديد، وأن أى تأخر قد يكون قاتلاً".

تأثرت فرانكى بجدية كلماته.

قالت: "يا إلهى، أنت محق، ولابد أن نتحرك بسرعة. ماذا علينا أن نفعل؟".

"لابد أن نقنعها بمغادرة الجرانج ـ على الفور".

أومأت فرانكى.

قالت: "لدىّ فكرة. من الأفضل لها الذهاب إلى ويلز ـ إلى القلعة. لابد أنها ستكون بأمان هناك".

"إن استطعت الترتيب لذلك يا فرانكى، فسيكون شيئًا عظيمًا حقًا".

"حسنًا، ذلك أمر هين؛ إن أبى لا يلاحظ قط من يأتى أو يذهب. وهو سوف يحب موبرا ـ إن أى رجل من السهل الوقوع فى حبها ـ فهى رقيقة للغاية. كم هو غريب حب الرجال للنساء قليلات الحيلة!".

قال بوبى: "أنا لا أعتقد أن موبرا قليلة الحيلة".

"هراء ـ إنها تشبه الطائر الصغير الذى يجلس وينتظر أن يأكله الثعبان دون أن يفعل شيئًا إزاء ذلك".

"ماذا بوسعها أن تفعل؟".

قالت فرانكى بقوة: "الكثير من الأشياء".

"حسنًا، أنا لا أعتقد هذا؛ فليس لديها مال أو

أصدقاء ...".

"يا عزيزي، لا تتحدث وكأنك تزكي حالة لجمعية خيرية للفتيات".

قال بوبي: "أنا آسف".

سادت فترة سكون مغلفة بجرح المشاعر.

قالت فرانكي محاولة التغلب على غضبها: "حسنًا. كما كنت تقول ـ أعتقد أننا لابد أن نواصل العمل بأسرع وقت ممكن".

قال بوبي: "هذا صحيح. إنه لكرم بالغ منك حقًا يا فرانكي أن ...".

قالت فرانكي مقاطعة إياه: "لا بأس. إنني لا أمانع في مساعدة الفتاة طالما أنك لن تتحدث عنها وكأنها لا تملك يدين أو قدمين أو لسانًا أو عقلاً".

قال بوبي: "أنا لا أفهم ببساطة ماذا تعنين".

قالت فرانكي: "حسنًا، لسنا بحاجة للتحدث بهذا الشأن. إن ما أقوله الآن، هو أنه بغض النظر عما سنقوم به: فلابد لنا القيام به بسرعة. هل هذا اقتباس؟".

"إنه إعادة صياغة لاقتباس. واصلي كلامك أيتها الليدي ماكبث".

قالت فرانكي بعدما انحرفت فجأة وبشدة عن الموضوع الأساسي: "أتعلم؟ لطالما اعتقدت أن الليدي ماكبث نفسها قامت بتحريض ماكبث على ارتكاب كل جرائم القتل هذه لأنها كانت تشعر بملل شديد من الحياة ـ ومن ماكبث: فأنا واثقة من أنه كان أحد هؤلاء الرجال الوديعين المسالمين الذين يدفعون

زوجاتهم إلى الشعور بالملل. ولكن بعد ارتكابه جريمة القتل الأولى، بدأ يشعر بأنه رجل صالح أصيب بأحد أنواع الهوس بالذات بعد أن كان مصابًا في البداية بعقدة النقص".

"لابد لك من تأليف كتاب حول هذا الموضوع يا فرانكي".

"أنا لا أستطيع التهجئة. الآن أين كنا؟ نعم، إنقاذ موبيرا. من الأفضل أن تحضر السيارة في العاشرة والنصف. سوف أذهب بالسيارة إلى الجرانج وأسأل عن موبيرا، وإن كان نيكلسون هناك أثناء حديثي معها. فسوف أذكّرها بوعدها بالحضور والإقامة لديّ وأصطحبها معي في السيارة".

"ممتاز يا فرانكي ـ إنني سعيد لأننا لن نهدر أي وقت: فأنا أخشى وقوع حادث آخر".

قالت فرانكي: "في العاشرة والنصف إذن".

عند عودتها إلى ميروای كورت، كانت الساعة قد أصبحت التاسعة والنصف، وكان قد تم إعداد الإفطار للتو وكان روجر يصب لنفسه بعض القهوة، وقد بدا مريضًا ومنهكًا.

قالت فرانكي: "صباح الخير. أنا لم أستطع النوم، وفي النهاية استيقظت وذهبت للتمشية".

قال روجر: "أنا آسف للغاية لأنك شهدت كل هذا القلق".

"كيف حال سيلفيا؟".

"لقد أعطوها مهدئًا ليلة أمس، وهي لاتزال نائمة على ما أعتقد. يا للمرأة المسكينة! أنا أشعر بأسف شديد من أجلها ـ لقد كانت شديدة الإخلاص لـ هنري".

"أعلم ذلك".

سكتت فرانكى ثم شرحت له خططها للمغادرة.

قال روجر فى أسى: "أعتقد أن عليك المغادرة. سيجرى التحقيق فى يوم الجمعة، وسوف أتصل بك إن أرادوا التحدث معك ـ الأمر كله يعتمد على المحقق".

احتسى قهوته وتناول الخبز المحمص ثم مضى للعناية بالعديد من الأمور التى تتطلب توليه أمرها. شعرت فرانكى بأسف شديد من أجله: فبإمكانها تخيل مقدار الغيل والقال والفضول الذى يثيره حادث انتحار فى إحدى العائلات. وفى هذه اللحظة ظهر تومى، فحاولت بذل قصارى جهدها للترفيه عنه.

جلب بوبى السيارة فى العاشرة والنصف، وتم إنزال حقائب فرانكى للطابق السفلى، ثم ودعت تومى وتركت رسالة لـ سيلفيا، ثم انطلقت البتلى مبتعدة.

قطعا المسافة حتى الجرانج فى فترة قصيرة للغاية، ولم يكن قد سبق لـ فرانكى الذهاب إلى هناك من قبل، وقد عملت البوابات المعدنية والشجيرات المتشابكة على التأثير سلبًا على معنوياتها.

لاحظت قائلة: "إنه مكان مروع! أنا لست متدهشة من إصابة موبرا بكل هذا القدر من الهلع فى مكان كهذا!".

مضيا بالسيارة حتى الباب الأمامى وخرج بوبى ودق الجرس، وتلقى الإجابة بعد بضع دقائق، وفى النهاية فتحت الباب امرأة ترتدى زى الممرضات.

قال بوبى: "السيدة نيكلسون؟".

ترددت المرأة ثم تراجعت إلى داخل الردهة وفتحت الباب على مصراعيه. قفزت فرانكى من السيارة ودلفت داخل المنزل، ثم أغلق الباب خلفها. أصدر الباب صوت رنين مدويًا بشعًا عند إغلاقه، ولاحظت فرانكى وجود مزالج ثقيلة وقضبان خلاله. وبدون سبب شعرت بالخوف ـ وكأنها سجينة فى هذا المنزل المشئوم.

قالت لنفسها: "هراء. إن بوبى بالخارج فى السيارة، وقد أتيت إلى هنا علنًا فلا يمكن أن يمسنى نيكلسون بسوء". وبعد أن تخلصت من هذا الشعور السخيف تبعت الممرضة للأعلى، وخلال الممر فتحت الممرضة أحد الأبواب ودخلت فرانكى غرفة جلوس صغيرة مفروشة بأثاث أنيق مصنوع من قماش قطنى مطبوع وزهور موضوعة فى مزهريات، فارتفعت معنوياتها. تمتمت الممرضة بشىء وانصرفت.

بعد مرور نحو خمس دقائق، فُتح الباب ودخل الطبيب نيكلسون.

لم تستطع فرانكى منع نفسها من الإجفال بعض الشىء، ولكنها أخفت رد فعلها هذا بابتسامة مرحبة.

قالت: "صباح الخير".

"صباح الخير يا ليدى فرانسيس. إنك لم تأتى حاملة إلىّ أخبارًا سيئة عن السيدة باسينجتون فرينش!".

قالت فرانكى: "كانت لاتزال نائمة حينما غادرت".

"يالـلسيدة المسكينة! أنا واثق من أن طبيبها الخاص يعتنى بها".

"آه، نعم". سكتت ثم قالت: "أنا واثقة من أنك مشغول، ولذلك لن آخذ الكثير من وقتك يا دكتور نيكلسون. في الواقع، لقد أتيت لرؤية زوجتك".

"لرؤية موير؟ كم أنت كريمة للغاية؟".

هل كان هذا مجرد خيال، أم أن هاتين العينين الزرقاوين البارزتين خلف النظارة الصلبة أصبحتا أكثر قسوة بعض الشيء؟!

قال مكررًا عبارته: "نعم، إنه لكرم بالغ منك".

قالت فرانكي وهي تبتسم بلطف: "إن لم تكن قد استيقظت بعد، فسوف أجلس وأنتظر".

قال الطبيب نيكلسون: "آه، إنها مستيقظة بالفعل".

قالت فرانكي: "جيد. أنا أود إقناعها بالإتيان لزيارتي؛ فهي قد سبق ووعدتني بالقيام بذلك"، وابتسمت مجددًا.

"حقًا، هذا بالفعل كرم بالغ منك يا ليدي فرانسيس. أنا واثق من أنها كانت ستستمتع بذلك كثيرًا".

سألت فرانكي بحدة: "كانت ستستمتع؟".

ابتسم الطبيب نيكلسون كاشفًا عن صفي أسنانه المتساويين.

"للأسف، إن زوجتي رحلت هذا الصباح".

قالت فرانكي بضطاطة: "رحلت؟ أين؟".

"آه فقط من منطلق التغيير؛ فأنت تعرفين النساء يا ليدي فرانسيس. إن هذا مكان كئيب بالنسبة لامرأة شابة؛ ولذلك تشعر موير ـ من حين لآخر ـ بأن عليها نيل بعض الإثارة، ومن

ثم ترحل لبعض الوقت".

قالت فرانكي: "وأنت لا تعلم أين ذهبت؟".

"لندن، حسبما أظن؟ حيث المتاجر والمسارح ـ أنت تعلمين مثل هذه الأشياء التي تستهوي النساء".

شعرت فرانكي بأن ابتسامته كانت أحد أبغض الأشياء التي سبق لها رؤيتها.

قالت باستخفاف: "أنا ذاهبة إلى لندن اليوم ـ هلا أعطيتني عنوانها؟".

قال الطبيب نيكلسون: "إنها عادة ما تقيم في السافوي. وأنا واثق أنني لن أسمع شيئًا عنها قبل يوم أو يومين؛ فهي ليست مراسلة جيدة على ما أخشى، وأنا أومن بترك مساحة من الحرية بين الرجل وزوجته، ولكنني أعتقد أنك ستجدينها على الأرجح في السافوي".

فُتح الباب ووجدت فرانكي نفسها تصافحه ويتم اقتيادها إلى الباب الأمامي، حيث كانت الممرضة تقف هناك لقيادتها للخارج، وكان آخر شيء سمعته فرانكي هو صوت دكتور نيكلسون الدمث والتهكمي بعض الشيء ـ وهو يقول:

"إنه لكرم بالغ منك أن تفكري في دعوة زوجتي للإقامة لديك يا ليدي فرانسيس".

الفصل ٢٤

تعقب آثار آل كايمان

حاول بوبي جاهدًا الاستمرار في ارتداء هتاع السائق اللامبالي حينما خرجت فرانكي وحدها.

قالت: "عد بي إلى ستافرلي، يا هوكينز"؛ حيث إن المعرضة كانت واقفة هناك.

مضت السيارة قدمًا في الممشى ثم اخترقت البوابات. وبعد أن وصلا إلى جزء شاغر من الطريق أوقف بوبي السيارة ونظر إلى رفيقته مستفسرًا.

سألها: "ما الأمر؟".

أجابته فرانكي بوجه شاحب إلى حد ما:

"بوبي، أنا لا يروق لي الأمر ـ يبدو أنها رحلت".

"رحلت؟ في هذا الصباح؟".

"أو ليلة أمس".

"دون أن تخبرنا؟".

"بوبي، أنا لا أصدق هذا. إن الرجل كان يكذب ـ أنا واثقة

من هذا".

شحب وجه بويرو للغاية، وتمتم قائلاً:

"فات الأوان! كم كنا غبيين! ما كان ينبغي لنا أن ندعها تعود إلى هناك قط ليلة أمس".

همست فرانكي بصوت مرتعد: "أنت لا تعتقد أنها ماتت، أليس كذلك؟".

قال بويرو بصوت عنيف وكأنه يطمئن نفسه: "لا".

ظلا صامتين لدقيقة أو اثنتين، ثم أدلى بويرو باستنتاجاته بنبرة صوت أهدأ.

"لابد أن تكون على قيد الحياة، بسبب أمور مثل التخلص من الجثة وما إلى ذلك. فلابد أن يبدو موتها طبيعيًا ونتيجة حادث. لا، إما أنه أخذها إلى مكان ما ضد رغبتها، أو أنها ـ وأنا أرجح هذا الاحتمال ـ لاتزال هناك".

"في الجرانج؟".

"في الجرانج".

قالت فرانكي: "حسنًا، ماذا سنفعل؟".

فكر بويرو لدقيقة.

ثم قال أخيرًا: "لا أعتقد أنه بوسعك القيام بأي شيء، ومن الأفضل أن تعودي إلى لندن. لقد اقترحت افتضاء أثر آل كابمان ـ فلتقومي بذلك".

"بويرو!".

"يا عزيزتي، لا جدوى من بقائك هنا؛ فقد لقد أصبحت معروفة الآن ـ معروفة للغاية، كما أنك أعلنت أنك راحلة ـ

ماذا بإمكانك أن تفعلي؟ لا يمكنك البقاء في ميروای، ولا يمكنك القدوم والإقامة في أنجلرز آرمس؛ فذلك سيجعل كل لسان في الجوار يتحدث عنك. لا، لابد أن تذهبي. ربما يشك نيكلسون في أمرك، ولكن ليس بوسعه التأكد من أنك تعرفين شيئًا ـ عودي أنت إلى المدينة وسأبقى أنا هنا".

"في أنجلرز آرمس؟".

"لا، أعتقد أن مالنك سوف ينتهي الآن. سوف أنقل مقر إقامتي إلى أميليديفر ـ إنها تبعد عشرة أميال عن هنا ـ وإن كانت موبرا لاتزال في هذا المنزل المشئوم، فسوف أجدها".

ترددت فرانكي قليلاً.

"بويرو، سوف تتوخى الحذر؟".

"سوف أكون ماكرًا كالحية".

استسلمت فرانكي رغمًا عنها إلى حد ما، وكان ما قاله بويرو منطقيًا؛ فلا فائدة من بقائها هنا. قاد بويرو بها السيارة إلى المدينة، شعرت فرانكي بالبؤس فجأة لدى عودتها إلى منزل شارع بروك.

بيد أنها لم تضيع وقتًا وتؤجل المهمة المخولة لها؛ ففي الثالثة من بعد ظهيرة هذا اليوم، كانت شابة ترتدي ملابس مسايرة للموضة، ولكن وقورة، وتضع نظارة وترسم على وجهها تقطيبة جادة شبه ملحوظة تقترب من سانت ليوناردز جاردنز وهي تمسك ببعض الكتيبات في يدها.

كانت سانت ليوناردز جاردنز، بـ بادينجتون، عبارة عن مجموعة كئيبة من المنازل، معظمها شبه متهدم. كان المكان

يعطيك انطباعًا بأنه شهد "أياماً أفضل" قبل وقت طويل.

مضت فرانكى قدمًا وهى تنظر إلى الأرقام، وتوقفت فجأة بعدما ارتسمت على وجهها تعبيرات الامتعاض.

كانت توجد لافتة فوق المنزل رقم ١٧ تقول إنه للبيع أو التأجير دون أثاث.

خلعت فرانكى على الفور النظارة وتخلصت من التعبيرات الجادة.

فقد بدا لها أنها لم تعد بحاجة لتقلد دور المزوج السياسى.

كان مدونًا على اللافتة أسماء مجموعة وكلاء عقارات. فاختارت فرانكى اثنين ودونت اسميهما. بعد ذلك ـ وبعد أن وضعت الخطة التى ستسير عليها ـ مضت قدمًا لتنفيذها.

كان الوكيل الأول هو شركة جوردون ويورتر فى شارع براد.

قالت فرانكى: "صباح الخير، إننى أتساءل عما إذا كان بمقدورك إعطائى عنوان السيد كايمان؟ لقد كان يقطن حتى وقت قريب فى ١٧ شارع سانت ليوناردز جاردنز".

قال الشاب الذى وجهت إليه فرانكى السؤال: "هذا صحيح ـ لقد كان يقطن هناك حتى وقت قريب، أليس كذلك؟ إننا نمثل أصحاب العقار كما ترين. وقد قام السيد كايمان باستئجاره مدة ثلاثة أشهر؛ حيث إنه كان بانتظار تسلم وظيفة خارج البلاد فى أية لحظة. ويبدو أنه تسلمها بالفعل".

"إذن فليس لديك العنوان؟".

"أخشى هذا. لقد قام بتسليمنا العقار وانتهى الأمر عند هذا".

"ولكن لابد من أن يكون قد أعطاكم عنوانًا له عند قيامه بالاستئجار".

"فندق ـ أعتقد أنه كان جى. دبليو. آر. باديتجتون ستيشن".

اقترحت فرانكى قائلة: "هل هناك أى معارف للرجوع إليهم؟".

"لقد دفع إيجار الأشهر الثلاثة مقدمًا وعربونًا لتغطية استهلاك الكهرباء والغاز".

قالت فرانكى وهى تشعر باليأس: "آها".

رأت الشاب ينظر إليها ببعض الفضول ـ إن الوكلاء العقاريين خبراء فى معرفة المنزلة الاجتماعية للعملاء، ومن الواضح أنه وجد اهتمام فرانكى بـ آل كايمان غير متوقع.

كذبت فرانكى قائلة: "إنه يدين لى بمبلغ طائل من المال".

ارتسم على وجه الشاب على الفور تعبير ينم عن الحسدة.

وابداءً لتعاطفه الشديد مع الشابة الجميلة الواقعة فى مأزق، جمع ملفات من الرسائل وفعل كل ما بوسعه، ولكنه لم يستطع العثور على أى أثر لمكان إقامة السيد كايمان الحالى أو السابق.

شكرته فرانكى ورحلت، استقلت سيارة أجرة إلى شركة الوكلاء العقاريين التالية، ولم تهدر وقتًا فى تكرار العملية:

فالوكالة الأولى هى التى قامت بتأجير المنزل إلى كايمان. أما هذه، فمعنية فقط بتأجيره ثانية نيابة عن المالك. فطلبت فرانكى تصريحًا بمعاينة المكان.

فى هذه المرة ـ من أجل محو تعبيرات الدهشة التى رأتها ترتسم على وجه الموظف ـ قالت بأنها أرادت استئجار عقار رخيص كى تجعل منه بيتًا للفتيات، ومن ثم اختفت تعبيرات الدهشة. وتسلمت فرانكى مفتاح المنزل رقم ١٧ فى ليونارد جاردنز ومفتاحى منزلين آخرين لم تكن لديها أى رغبة فى رؤيتهما، بالإضافة إلى تصريح بمعاينة عقار رابع.

كان من حسن حظها ـ كما اعتقدت فرانكى ـ أن الموظف لم يرغب فى مصاحبتها؛ فهم ربما يذهبون فقط مع العملاء فى حالة تأجير المنازل بأثاثها.

هاجمت الرائحة العفنة للمنزل المغلق أنف فرانكى أثناء فتحها ودفعها للباب الأمامى للمنزل رقم ١٧.

كان منزلاً كريهًا، ذا ديكورات رخيصة، وطلاء قذر متقرح. جابت فرانكى أنحاء المنزل بطريقة منهجية بدءًا من العلية وحتى القبو. لم يتم تنظيف المنزل عند المغادرة؛ فكانت هناك أجزاء من خيط، وصحف قديمة، وبعض المسامير والأدوات الغريبة. لكن على المستوى الشخصى، لم تجد فرانكى أكثر من مجرد قصاصة من خطاب.

الشىء الوحيد الذى ظنت أنه ربما يكون ذا قيمة هو دليل السكك الحديدية الأبجدى، والذى كان مفتوحًا فوق مقعد النافذة. لم يكن هناك ما يشير إلى أن أيًا من الأسماء المدونة

على الورقة المفتوحة ذو أهمية. إلا أن فرانكى نقلت الكثير منها إلى الدفتر الصغير الذى كان بحوزتها كبديل هزيل لما تمنت أن تجده.

وقد تخلت فرانكى عن فكرة نجاحها فى تقفى أثر آل كايمان.

وقد واست نفسها بأن ذلك كان متوقعًا. فإن كان السيد والسيدة كايمان من الخارجين عن القانون فإنهما سيتوخيان كثيرًا من الحرص حتى لا يتمكن أحد من اقتفاء أثريهما، وكان ذلك على الأقل نوعًا من أنواع الدليل التأكيدى السلبى.

ومع ذلك كانت فرانكى لاتزال تشعر بالإحباط وهى تسلم المفاتيح للوكيل العقارى وتردد بعض العبارات الكاذبة بشأن الاتصال بهم فى غضون بضعة أيام.

سارت باتجاه الحديقة وهى تشعر بالحزن وتساءلت عما ينبغى عليها القيام به بعد ذلك. قاطعت هذه التأملات غير المثمرة أمطار غزيرة حادة وعنيفة. لم تَرَ سيارة أجرة على مرمى البصر، فاختارت بسرعة قطار الأنفاق والذى كان على مقربة منها ليكون ستارًا لما تقوم به. اشترت تذكرة إلى بيكاديلى سيركس وابتاعت كذلك صحيفتين من متجر الكتب.

وحينما دخلت القطار ـ والذى كان شبه شاغر فى هذا الوقت من اليوم ـ نبذت عن عمد أفكار المشكلة المزعجة من رأسها وفتحت صحيفتها وصبت تركيزها على محتواها.

قرأت مقتطفات من هنا وهناك بشكل عابر.

عدد من حوادث الطرق. الاختفاء الغامض لفتاة فى

المدرسة، حفل الليدى بيترهامبتون فى كلاريدج، تماثل السير جون ميلكنجتون للشفاء بعد الحادث الذى تعرض له أثناء اشتراكه فى مسابقة إبحار باليخت الشهير ـ أستراديوا ـ والذى كان ملكًا للمليونير الراحل السيد جون سافاج. هل كان يختًا منحوسًا؟ إن الرجل الذى قام بتصميمه لقى حتفه بطريقة تراجيدية ـ وانتحر السيد سافاج ـ ونجا السير جون ميلكنجتون من الموت لتوه بأعجوبة.

وضعت فرانكى الجريدة وقطبت محاولة التذكر.

لقد سمعت اسم جون سافاج مرتين قبل ذلك ـ مرة على لسان سيلفيا باسينجتون فرينش حينما كانت تتحدث عن ألان كارستيرز، ومرة على لسان بوبى حينما كان يعيد على مسامعها الحوار الذى دار بينه وبين السيدة ريفنجتون.

كان ألان كارستيرز صديقاً لـ جون سافاج. وكانت السيدة ريفنجتون تعتقد أن وجود كارستيرز فى إنجلترا له علاقة بموت سافاج. كان سافاج مصابًا ـ بمَ كان مصابًا؟ ـ لقد انتحر لأنه ظن أنه مصاب بالسرطان.

ماذا ـ ماذا لو أن ألان كارستيرز لم يكن مقتنعًا بالسبب وراء موت صديقه. ماذا لو أنه أتى إلى إنجلترا للتحرى حول الأمر؟ ماذا لو أنه هنا ـ فى الظروف المحيطة بموت سافاج ـ بدأ الفصل الأول من المسرحية الدرامية التى شاركت فيها هى وبوبى.

فكرت فرانكى: "هذا محتمل. نعم، هذا محتمل".

فكرت بعمق، وتساءلت عن أفضل طريقة لمعالجة هذا

التطور الجديد للموضوع؛ حيث لم تكن لديها أدنى فكرة عن أصدقاء جون سافاج أو عن معارفه.

ثم راودتها فكرة ـ وصيته، إن كانت طريقة موته يحوم حولها الشبهات، فربما تتضمن وصيته ما يشير إلى ذلك.

كانت فرانكى تعلم أنه يوجد فى لندن مكان ما يمكنك الذهاب إليه وقراءة الوصايا فى مقابل شلن، ولكنها لم تستطع تذكر هذا المكان.

توقف القطار فى إحدى المحطات ونظرت لتكتشف أنها محطة المتحف البريطانى. لقد تجاوزت محطة أكسفورد سيركس ـ والتى كان ينبغى عليها فيها تغيير القطار ـ بمحطتين.

قفزت من مقعدها وغادرت القطار. وبمجرد خروجها إلى الشارع خطرت لها فكرة. وبعد خمس دقائق من المشى، وصلت إلى مكتب السادة سبراج، جينكنسون، وسبراج.

تم استقبال فرانكى بحفاوة وتم اصطحابها على الفور إلى المقر الشخصى للسيد سبراج ـ العضو الأكبر بالشركة.

كان السيد سبراج لطيفًا للغاية، وكان يتمتع بصوت مقنع رقيق طالما اعتبره عملاؤه الارستقراطيون مُطَمْئِنًا عند قدومهم إليه كى يحررهم من ورطة ما، وكانت ثمة شائعة تقول إن السيد سبراج يعرف من الأسرار المخزية عن أنبل العائلات ما يفوق أى رجل آخر فى لندن.

قال السيد سبراج: "كم نحن سعداء بزيارتك يا ليدى فرانسيس! من فضلك اجلسى. هل أنت واثقة من أنك تشعرين

بالراحة على هذا المقعد؟ نعم، نعم. إن الطقس جميل حقًا في هذه الأيام. ألا تعتقدين هذا؟ إنه صيف تقليدي في سانت مارتن. وكيف حال اللورد مارشينجتون؟ بخير كما أتمنى؟".

أجابت فرانكي عن هذه الأسئلة وأسئلة أخرى بطريقة لائقة.

بعد ذلك خلع السيد سبراج نظارته ووضع عباءة المرشد والمستشار القانوني.

قال: "والآن يا ليدي فرانسيس، ما الذي جعلني أحظى بشرف زيارتك إلى مكتبي المتواضع في هذه الظهيرة؟".

كانت تغطية حاجبيه تنم عما يدور برأسه بشأن هذه الزيارة: "ابتزاز؟ خطابات طائشة؟ ورطة مع شاب غير مرغوب فيه؟ قام خياطك بمقاضاتك؟".

ولكن حاجبيه طرحا هذه الأسئلة بطريقة متحفظة للغاية بما يتناسب وخبرة ودخل محام مثل السيد سبراج.

قالت فرانكي: "أريد أن أطّلع على وصية. ولا أعرف أين أذهب أو ماذا أفعل، وقد عرفت أن هناك مكانًا تستطيع أن تدفع فيه شلنًا وتقوم بذلك. أليس هذا صحيحًا؟".

قال السيد سبراج: "مؤسسة سومرست. ولكن أية وصية؟ أعتقد أنه بإمكاني أن أخبرك بأي شيء تريدينه عن أية وصية في عائلتك؛ فاسمحي لي أن أقول إن شركتنا حظيت بشرف كتابة وصايا أسرتك منذ سنوات طويلة".

قالت فرانكي: "إنها ليست وصية أسرية".

قال السيد سبراج: "حقًا؟".

وكم كان يتمتع بقوة كبيرة في استخلاص الأسرار من عملائه؛ حتى إن فرانكي استسلمت لسحره وأفاضت له بما لم تكن تنوي إخباره به.

"أريد رؤية وصية السيد سافاج ـ جون سافاج".

تقلّل ذهول حتيتي صوت السيد سبراج حينما قال: "حقًا؟"؛ فهو لم يكن يتوقع هذا. "هذا غريب للغاية ـ غريب للغاية!".

كان بصوته شيء غير طبيعي، حتى إن فرانكي نظرت إليه في دهشة.

قال السيد سبراج: "في الواقع، في الواقع أنا لا أعلم عما الذي ينبغي عليّ فعله. هلا أخبرتني يا ليدي فرانسيس بالأسباب وراء رغبتك في الاطلاع على هذه الوصية؟".

قالت فرانكي ببطء: "لا. أخشى أنني لا أستطيع ذلك".

كانت مذهولة لأن السيد سبراج ـ لسبب ما ـ يتصرف بطريقة لا تتفق مطلقًا وطبيعته الهادئة والحكيمة ـ لقد بدا قلقًا للغاية.

قال السيد سبراج: "إنني أومن حقًا بأنه ينبغي عليّ تحذيرك".

"تحذيري؟".

"نعم. إن المؤشرات غامضة، غامضة للغاية ـ ولكن من الواضح أن ثمة شيئًا ما يجري، وأنا لن أدعك قط تتورطين في أي أمر يحوم الشك حوله".

في ذلك الحين، كان بوسع فرانكي أن تخبره بأنها متورطة

بالفعل حتى النخاع فى أمر ما كان ليرضى لها بالتورط فيه. ولكنها اكتفت بالتحديق فى وجهه فى دهشة.

واصل السيد سبراج كلامه قائلاً: "إن الأمر برمته عبارة عن مصادفة غير طبيعية. من الواضح أن شيئًا ما يحدث ـ هذا أمر مؤكد".

ظلت تعبيرات الدهشة مرتسمة على وجه فرانكى.

واصل السيد سبراج حديثه وقد انتفخ صدره من فرط السخط: "لقد وصلتنى للتو معلومة ما". انتفخ صدره من فرط السخط مرة أخرى: "لقد انتحل أحدهم شخصيتى يا ليدى فرانسيس ـ انتحل أحدهم شخصيتى متعمدًا. ما قولك فى هذا؟".

لكن فرانكى سقطت فريسة لحظة فزع: حتى إنها عجزت عن قول أى شىء!

الفصل ٢٥

حديث السيد سبراج

وأخيرًا تمتمت قائلة:

"كيف اكتشفت هذا؟".

لم يكن هذا على الإطلاق ما أرادت أن تقوله، حتى إنها كانت ترغب فى عض لسانها بعد ذلك بدقيقة لفرط غبائها. ولكن الكلمات كانت قد قيلت بالفعل، وما كان السيد سبراج ليكون محاميًا إن لم يدرك أنها تتضمن اعترافًا.

"إذن فأنت تعلمين بالأمر يا ليدى فرانسيس؟".

قالت فرانكى: "نعم".

سكتت وأخذت نفسًا طويلاً ثم قالت:

"لقد كان الأمر برمته من ترتيبى يا سيد سبراج".

قال السيد سبراج: "أنا مندهش".

كان هناك صراع يتخلل صوته ـ المحامى الهائج من فرط الغضب فى حرب مع محامى الأسرة طيب القلب.

سأل: "كيف حدث هذا؟".

قالت فرانكي بضعف: "كانت مجرد مزحة. نحن ـ نحن كنا نود إيجاد شيء ما لنفعله".

سأل السيد سبراج: "ومن كان هذا الذي انتحل شخصيتي؟".

نظرت إليه فرانكي، وبعد اللجوء لذكائها مجدداً اتخذت قرارًا سريعًا.

قالت: "إنه الدوق الشاب لنو ... "، ثم توقفت فجأة قائلة: "لا يجب حقًا أن أذكر أسماءً؛ فلن يكون هذا عادلاً".

ولكنها كانت تعلم أن الموقف انقلب ليصبح في صالحها؛ فقد كان من غير المحتمل أن يغفر لابن رجل دين بسيط مثل هذه الوقاحة، ولكن ضعفه أمام الأسماء النبيلة سيجعله أكثر تسامحًا مع وقاحات دوق ـ وبالفعل استعاد سلوكه الهادئ.

تمتم وهو يهز سبابته: "آه أنتم أيها الشباب الأذكياء ـ أنتم أيها الشباب الأذكياء. ياله من مأزق الذي أوقعتما نفسيكما فيه! قد تندهشين يا ليدي فرانسيس من كم التعقيدات القانونية التي قد تترتب على مزحة تبدو غير مؤذية تمامًا وحدثت بشكل ارتجالي. مجرد مزاح ـ ولكنه يُضحي في بعض الأحيان فائق الصعوبة بشكل يجعل حله دون اللجوء إلى القضاء أمرًا مستحيلاً".

قالت فرانكي بجدية: "أعتقد أنك مذهل حقًا يا سيد سبراج ـ أعتقد هذا بالفعل؛ فما من شخص كان سيتعامل مع الأمر كما فعلت أنت. أنا أشعر بخزي شديد".

قال السيد سبراج بأبوية: "لا، لا يا ليدي فرانسيس".

"آه، ولكن هذا رأيي. أعتقد أن تلك السيدة التي تدعى ريفنجتون هي التي أخبرتك ـ ماذا قالت لك بالتحديد؟".

"أعتقد أن الخطاب بحوزتي هنا، وقد فتحته منذ نصف ساعة فقط".

مدت فرانكي يدها ووضع السيد سبراج بها الخطاب ولسان حاله يقول: "خذي، انظري بنفسك ما الذي هادنك حماقتك إليه".

(كتبت السيدة ريفنجتون) عزيزي السيد سبراج، كم أنا غبية حقًا، فقد تذكرت لتوي شيئًا ربما كان سيصبح مفيدًا لك في اليوم الذي جئت فيه إليّ. لقد ذكر آلان كارستيرز أنه ذاهب إلى مكان يدعى تشيبتنج سومرتون. ولا أعلم ما إذا كانت هذه المعلومة ستفيدك أم لا.

كم أنا سعيدة بما أخبرتني به عن قضية مالترافرز. مع تحياتي،

المخلصة

إديث ريفنجتون

قال السيد سبراج بصرامة يتخللها طيبة: "يمكنك أن تشهدي بنفسك كم كان من الممكن أن يكون الأمر خطيرًا؛ فقد فسرت الأمر على أن ثمة أمرًا مثيرًا للشك يحدث، سواء كان متعلقًا بقضية مالترافرز أو موكلي السيد كارستيرز ... ".

قاطعته فرانكي.

سألته وقد غلب عليها شعور بالإثارة: "هل آلان كارستيرز

أحد عملائك؟".

"لقد كان عميلاً لديّ ـ جاء لاستشارتي حينما كان هنا في انجلترا منذ شهر. هل تعرفين السيد كارستيرز يا ليدي فرانسيس؟".

قالت فرانكي: "نعم أعرفه".

قال السيد سبراج: "إنه رجل ذو شخصية جذابة للغاية. لقد بث في مكتبي روح المساحات الواسعة المفتوحة".

قالت فرانكي: "لقد أتى لاستشارتك بشأن وصية السيد سافاج، أليس كذلك؟".

قال السيد سبراج: "آها إذن، فأنت الذي نصحته بالمجيء إليّ؟ لم يكن باستطاعته أن يتذكر من ذكاني إليه. أنا آسف لأنه لم يكن في وسعي القيام بالمزيد لأجله".

سألت فرانكي: "بمَ نصحته أن يفعل؟ أم أنه من المنافي لأخلاق المهنة أن تخبرني؟".

قال السيد سبراج وهو يبتسم: "ليس في هذه الحالة ـ رأيي أنه لم يكن في الإمكان فعل شيء ـ لا شيء، ما لم يكن أقرباء السيد سافاج مستعدين لإنفاق أموال طائلة للتصدي لهذه القضية ـ وهو الأمر الذي لم أعتقد أنهم كانوا مستعدين للقيام به أو في وضع يسمح لهم بذلك، وأنا لا أنصح قط بالذهاب إلى المحكمة ما لم أكن أضمن نجاح القضية؛ فالقانون، يا ليدي فرانسيس، حيوان غير جدير بالثقة؛ لأنه يتضمن انقلابات والتواءات تصيب أي عقل غير قانوني بالدهشة، وطالما كان شعاري دومًا حل النزاعات بعيدًا عن ساحة المحكمة".

قالت فرانكي وهي مستغرقة في التفكير: "إن الأمر برمته مثير للفضول للغاية".

كان يساورها إحساس بأنها تسير حافية القدمين فوق أرضية مفطاة بمسامير قصديرية ـ في أية لحظة قد تخطو فوق واحد منها، ومن ثم تبدأ اللعبة.

قال السيد سبراج: "إن مثل هذه الحالات ليست غير شائعة كما قد تعتقدين".

سألت فرانكي: "حالات الانتحار؟".

"لا، لا. أعني التأثير غير المشروع. لقد كان السيد سافاج رجل أعمال ذكيًا وصارمًا، ومع ذلك فمن الواضح أنه كان منقاد العجينة سهلة التشكيل بين يدَيْ هذه المرأة، وأنا واثق من أنها كانت تعرف تمامًا ماذا تفعل".

قالت فرانكي بجرأة: "أتمنى لو أخبرتني بالقصة كاملة؛ فقد كان السيد كارستيرز ـ حسنًا، منفعلاً للغاية حتى إنني لم أستطع تبين الأمور بوضوح من خلاله".

قال السيد سبراج: "لقد كانت القضية بسيطة للغاية، ويمكنني أن أعيد الحقائق على مسامعك ـ فمن الممكن لأي شخص الاطلاع عليها ـ وليس هناك ما يمنع قيامي بذلك".

قالت فرانكي: "إذن، أخبرني بشأنها".

"كان السيد سافاج في طريق عودته من الولايات المتحدة إلى انجلترا في نوفمبر من العام الماضي، فقد كان كما تعلمين رجلاً ميسور الحال للغاية، ولم يكن له معارف مقربون، وفي هذه الرحلة تعرف بسيدة ـ آه ـ السيدة تميلتون، ونحن لا

نعرف شيئًا عن السيدة تمبلتون هذه سوى أنها كانت امرأة فائقة الجمال ومتزوجة من رجل ما في بلدها".

فكرت فرانكي: "آل كايمان".

واصل السيد سيراج كلامه وهو يبتسم ويهز رأسه: "إن هذه الرحلات عبر المحيط خطيرة حقًا - من الواضح أن السيد سافاج قد شعر بجاذبية كبيرة نحوها؛ فقد قبل دعوتها للذهاب والإقامة في كوخها الصغير في تشيبنج سومرتون. إنني لا أعلم بالتحديد كم مرة ذهب فيها إلى هناك، ولكن من الواضح أن تأثير هذه السيدة، التي تدعى تمبلتون، عليه كان يتزايد أكثر وأكثر كل يوم.

ثم حدثت المأساة؛ فكانت تساوره الشكوك منذ فترة بشأن حالته الصحية، فقد كان يخشى أن يكون مصابًا بمرض بعينه".

قالت فرانكي: "السرطان؟".

"حسنًا، نعم - كان المرض الذي يخشاه هو السرطان، وقد أصبحت المسألة بمثابة هوس بالنسبة له، حيث كان يقيم لدى آل تمبلتون في ذلك الوقت، وقد استحثاه على الذهاب إلى لندن ورؤية متخصص، فأذعن لهما. إنني هنا يا ليدي فرانسيس أنظر إلى الأمر بعقل متفتح؛ لقد أقسم هذا المتخصص - وهو طبيب بارز يعد الأفضل في مجال تخصصه منذ سنوات عديدة - في التحقيق أن السيد سافاج لم يكن يعاني من السرطان وأنه أخبره بذلك، ولكن كان السيد سافاج مهووسًا باعتقاده لدرجة أعجزته عن تصديق الحقيقة عند سماعها.

ومن منطلق معرفتي بالمجال الطبي يا ليدي فرانسيس - ودون أي أحكام مسبقة - أرى أن الأمور اختلفت كثيرًا عن ذي قبل.

فلو كانت أعراض السيد سافاج أصابت الطبيب بالحيرة، فربما قام بالتحدث إليه جديًا وهو يرسم على وجهه تعبيرات الكآبة وأخبره بشأن طرق العلاج باهظة التكاليف، وفي الوقت الذي طمأنه فيه بشأن عدم إصابته بالسرطان، فقد بث فيه انطباعًا بأن الأمر ربما ينطوي على خطورة، ولكن لأن السيد سافاج طالما سمع أن الأطباء يخفون عن مرضاهم حقيقة مرضهم، فقد قام بتفسير ما حدث وفق هواه، وقرر أن كلمات الطبيب المطمئنة لم تكن حقيقية - إنه مصاب بالمرض الذي ظن أنه مصاب به.

على أية حال، عاد السيد سافاج إلى تشيبنج سومرتون وهو مصاب بحالة شنيعة من الكرب العقلي؛ فقد رأى أمامه موتًا طويلًا ومؤلمًا. وقد عرفت أن بعضًا من أفراد أسرته ماتوا إثر إصابتهم بالسرطان، ولذلك، فقد عقد العزم على ألا يعاني مما رأهم يعانون منه؛ لذا أرسل في طلب محام - عضو حسن السمعة في شركة محترمة وبارزة - صاغ له وصيته والتي وقعها السيد سافاج وسلمها للمحامي كي يحفظها في مكان آمن. وفي نفس الليلة أخذ السيد سافاج جرعة كبيرة من الكلورال، وترك خطابًا أوضح فيه أنه فضل أن يموت بطريقة سريعة وغير مؤلمة على أن ينتظر موتًا بطيئًا ومؤلمًا.

وبموجب الوصية، ترك السيد سافاج مبلغًا يقدر بسبعمائة ألف جنيه للسيدة تمبلتون، وترك، وباقي ما يملكه لجمعيات

خيرية بعينها".

اتكأ السيد سبراج للخلف فى مقعده ـ كان الآن يستمتع بوقته.

"وقد أصدرت لجنة المحلفين الحكم المعتاد الذى ينم عن التعاطف باعتبار الحادث انتحارًا بدافع من فقدان العقل، ولكننى لا أعتقد أنه بإمكاننا أن نستنتج من هذا أنه كان فاقدًا لقواه العقلية حينما كتب الوصية. ولا أظن أن أية لجنة محلفين يمكنها ادعاء ذلك: لقد كتب الوصية فى حضور محام أكد أن الراحل كان بكامل قواه العقلية، كما أننى أعتقد أنه ليس بإمكاننا إثبات التأثير غير المشروع الذى وقع فريسة له. إن السيد سافاج لم يحرم أيًا من المقربين إليه؛ فأقرباؤه الوحيدون كانوا أولاد عمومته الذين نادرًا ما كان يراهم؛ فهم كانوا يعيشون فى أستراليا على حد اعتقادى".

سكت السيد سبراج.

"وكان وجه اعتراض السيد كارستيرز أن مثل هذه الوصية تتنافى تمامًا وطبيعة السيد سافاج: فالسيد سافاج لم يكن يكترث للمؤسسات الخيرية، وكان يؤمن بشدة بأن الأولوية فى وراثة الأموال تكون للأقرباء بالدم، ومع ذلك، فلم يكن لدى السيد كارستيرز بينة موثقة على تأكيداته، وقد أوضحت له أن البشر يغيرون آراءهم، وأن التشكيك فى صحة هذه الوصية سيجعلنا نقع فى ورطة مع الجمعيات الخيرية وكذلك مع السيدة تمبلتون ـ علاوة على ذلك، فقد تم إثبات صحة هذه الوصية!".

سألت فرانكى: "ألم تحدث أية ضجة فى ذلك الوقت؟".

"كما قلت، فإن أقرباء السيد سافاج لا يعيشون فى هذا البلد؛ ولذا لم يعرفوا شيئًا عما حدث. وكان السيد كارستيرز هو من قام بتصعيد الأمر: فقد كان قد عاد من إفريقيا وعلم تدريجيًا بتفاصيل الحادث، وأتى إلى هذا البلد لرؤية ما يمكنه أن يفعل، وقد اضطررت إلى أن أخبره بأنه ـ من وجهة نظرى ـ ليس فى الإمكان فعل شىء؛ فالحيازة هى تسع درجات من القانون، والسيدة تمبلتون كان بحيازتها المال. بالإضافة إلى هذا، فقد تركت البلاد ورحلت، على ما أعتقد، إلى جنوب فرنسا للاستقرار هناك، ورفضت التحدث فى الموضوع بأى شكل من الأشكال. وقد اقترحتُ عليه الحصول على رأى مستشار قانونى، ولكن السيد كارستيرز قال إن ذلك ليس ضروريًا وإنه اقتنع برأيى بأنه ليس فى الإمكان فعل شىء ـ أو، كبديل لهذا، ما كان فى الوسع القيام به فى ذلك الوقت ـ والذى كانت نتائجه مشكوكًا فى صحتها أيضًا إلى حد كبير ـ حيث فات أوان القيام به".

قالت فرانكى "أرى هذا، ولا أحد يعلم شيئًا عن هذه المدعوة ـ السيدة تمبلتون".

هز السيد سبراج رأسه وزم شفتيه.

"إن رجلاً فى مكانة السيد سافاج ـ وخبرته الكبيرة فى الحياة ـ ما كان يجب أن يقع فى براثن الخداع بهذه السهولة ـ لكن ... "، وهز السيد سبراج رأسه فى أسى وهو يتذكر عددًا لا يعد ولا يحصى من العملاء الذين كان ينبغى لهم إحسان التصرف وأتوا إليه ليحل لهم مشكلاتهم فى المحكمة.

نهضت فرانكي.

قالت: "إن الرجال مخلوقات غريبة حقًا".

ثم أردفت: "إلى اللقاء يا سيد سبراج. لقد كنت رائعًا حقًا ـ بالفعل رائع. إنني أشعر بخزي شديد".

قال السيد سبراج وهو يهز رأسه: "أنتم أيها الشباب الأذكياء لابد أن تكونوا أكثر حرصًا".

قالت فرانكي: "إنك بمثابة ملاك".

صافحته بحرارة وغادرت.

ظل يفكر.

"الدوق الشاب لـ ـ".

كان دوقان فقط هما من ينطبق عليهما هذا الوصف.

أيهما كانت تقصد؟

وقد اختار دوق ميرادج.

الفصل ٢٦

مغامرة ليلية

بث غياب موبرا المتعذر تفسيره لدى بوبي شعورًا بالقلق أكثر مما يقوى على الاعتراف به، وظل يقول لنفسه، مرارًا وتكرارًا، إنه من السخيف أن يقفز إلى نتائج ـ فليس من المنطقي أن يتخيل أنه من الممكن التخلص من موبرا في منزل ممتلئ بالشهود المحتملين ـ وإنه قد يكون هناك تفسير أبسط لهذا الاختفاء، وأن أسوأ شيء يمكن أن يكون قد ألم بها هو أن تكون سجينة في الجرانج.

لم يكن ليصدق لدقيقة واحدة أنها رحلت عن ستافيرلي بكامل إرادتها؛ فقد كان مقتنعًا بأنها لم تكن لترحل على هذا النحو فحسب دون أن تقدم له تفسيرًا منطقيًا. علاوة على ذلك، فقد أكدت له بما لا يدع مجالاً للشك أنه ليس لديها مكان تذهب إليه.

لا. إن هذا الشرير، دكتور نيكلسون، وراء اختفائها ـ لقد علم بنشاطات موبرا بطريقة أو بأخرى، وذلك كان رد فعله.

لابد أن موبرا سجينة فى مكان ما داخل هذه الجدران المشئومة للجرانج ـ غير قادرة على التواصل مع العالم الخارجى.

ولكنها قد لا تظل سجينة هناك لفترة طويلة. لقد صدق بوبى بشكل مطلق كل كلمة قالتها موبرا: فمخاوفها لم تكن ناجمة عن خيال خصب أو عن توتر، بل كانت حقيقية.

إن نيكلسون أراد التخلص من زوجته، وقد باءت محاولاته بالفشل عدة مرات. والآن ـ بعد أن صرحت بمخاوفها إلى الآخرين ـ فقد أرغمته على التحرك؛ حيث كان عليه التصرف بسرعة وإلا فات الأوان. هل لديه الشجاعة الكافية لاتخاذ رد فعل رادع؟

كان بوبى يعتقد هذا ـ لابد أنه يعلم أنه حتى لو استمع هؤلاء الغرباء لمخاوف زوجته، فإنه ليس بحوزتهم دليل. وهو يعتقد كذلك أن زوجته لم تتحدث سوى إلى فرانكى، ومن المحتمل أن يكون الشك قد ساورە بشأنها منذ البداية؛ فأسئلته الكثيرة لها عن الحادث توضح ذلك ـ ولكن بوصفه سائق الليدى فرانسيس، لم يكن بوبى يعتقد أن أحدًا قد شك فى أنه شخص آخر خلاف ما يدعى.

نعم، إن نيكلسون سيتصرف بسرعة ـ سيتم العثور على جثة موبرا على الأرجح فى مكان بعيد عن ستافيرلى، وربما تجرفها التيارات البحرية. أو ربما يتم العثور عليها أسفل جرف ما. لقد كان بوبى واثقًا من أن الأمر سيبدو على أنه "حادث"؛ فقد كان نيكلسون متخصصًا فى الحوادث.

ومع ذلك، فقد كان بوبى يعتقد أن التخطيط لمثل هذا

الحادث وتنفيذه سوف يتطلب وقتًا ـ ليس الكثير من الوقت، ولكن قدرًا منه. لقد تم إرغام نيكلسون على التحرك ـ عليه أن يتصرف بأسرع مما كان يعتقد. وقد بدا له منطقيًا أن يعتقد أن أمامه على الأقل حوالى أربع وعشرين ساعة قبل أن يستطيع نيكلسون وضع أية خطة موضع التنفيذ.

وقبل أن تمضى هذه المهلة، ينبغى على بوبى العثور على موبرا إن كانت لاتزال بالجرانج.

بعد أن ترك فرانكى فى شارع بروك، بدأ فى تنفيذ خططه. وقد ظن أنه من الحكمة تجنب عوامل الخطورة؛ فعلى الأرجح، فإن نيكلسون قد كلف أحدًا بحراسة المكان، وبصفته هوكينز، كان واثقًا من أنه مازال بعيداً عن أية شبهات. والآن هوكينز بدوره على وشك الاختفاء.

فى هذا المساء، وصل شاب له شارب ويرتدى حلة زرقاء داكنة رخيصة الثمن إلى بلدة أمبليديفر الصغيرة الصاخبة. نزل الشاب فى فندق بالقرب من المحطة تحت اسم جورج باركر. وبعد أن أودع حقيبته هناك، غادر سريعًا وانخرط فى مفاوضات لاستئجار دراجة بخارية.

وفى العاشرة من مساء هذا اليوم، اخترق شاب ـ يقود دراجة بخارية ويضع خوذة ونظارة واقية ـ قرية ستافورلى، وتوقف فى جزء مهجور من الطريق ـ لا يبعد كثيرًا عن الجرانج.

بعد أن دفع الدراجة فى استعجال وراء بعض الشجيرات، نظر بوبى حوله بالطريق ـ كان مهجورًا تمامًا.

بعد ذلك مشى ببطء بمحاذاة الجدار حتى وصل إلى الباب الصغير للمصحة. وكان غير موصد فى هذه المرة كذلك. وبعد أن مسح الطريق بعينيه ثانية للتأكد من عدم ملاحظة أحد له تسلل بوبى للداخل. وضع يده فى جيب معطفه والذى كان منتفخاً لوجود مسدس الخدمة الخاصة به، وقد كان مجرد تحسسه كفيلاً بث الطمأنينة إليه. بدا كل شىء هادئاً داخل الجرائح.

ابتسم بوبى لنفسه حينما تذكر تلك القصص المروعة؛ حيث كان الشرير بالمكان يحتفظ بنهد صياد أو حيوان مفترس مثير آخر كى يتعامل مع المتطفلين.

لكن يبدو أن الطبيب نيكلسون قد اكتفى بالمزالق والقضبان المعدنية. وبالرغم من ذلك فقد تراءى له أن الأمر يتخلله عنصر إهمال؛ فقد كان بوبى واثقاً من أنه ما كان ينبغى ترك هذا الباب الصغير مفتوحاً ـ فبوصفه شرير القصة، لا يجب أن يكون الطبيب نيكلسون مهملاً بهذا الشكل.

فكر بوبى: "لا توجد ثعابين ضخمة، لا توجد أسود صيادة، لا توجد أسلاك صاعقة ـ إن الرجل لا يواكب العصر الحديث بشكل مخز".

أخذ يصب تركيزه حول هذه الأفكار لإبهاج نفسه أكثر من أى سبب آخر؛ فمنى كل مرة يفكر فى موبرا، كان يشعر بانقباض غريب فى قلبه.

كان وجهها يلوح أمامه فى الهواء ـ الشفتان المرتعدتان، العينان الواسعتان الخائفتان. كان قد رآها للمرة الأولى فى

هذا المكان تقريباً، وعندئذ سرت القشعريرة فى جسده حينما تذكر كيف لف ذراعه حولها لموازنتها...

موبرا ـ أين هى الآن؟ ماذا فعل بها هذا الطبيب الشرير؟ لو كانت فقط لاتزال حية...

قال بوبى بتجهم من بين شفتين جامدتين: "لابد أنها لاتزال حية ـ لن أفكر سوى فى هذا". استطلع المكان حول المنزل بحرص. كانت المصابيح مضاءة ببعض النوافذ بالأعلى وكان هناك مصباح مضاء بنافذة واحدة بالطابق الأرضى.

تسلل بوبى نحو هذه النافذة. كانت الستائر مسدلة، ولكن كان هناك شق صغير وسطها. وضع بوبى ركبته فوق عتبة النافذة ورفع جسده دون أن يحدث صوتاً يصل لأعلى، واختلس النظر من بين الشقوق.

كان بإمكانه رؤية ذراع وكتف رجل يتحركان وكأنه يكتب. الآن غير الرجل من وضعيته ليرى بوبى صورة جانبية له ـ كان هذا الرجل هو الطبيب نيكلسون.

كان الوضع مثيراً للفضول: فالطبيب الذى لم يكن مدركاً أنه مُراقَب أخذ يكتب ويكتب بانتظام. كان الرجل على مقربة كبيرة منه ـ لا يفصلهما سوى زجاج النافذة ـ حتى إنه كان فى مقدوره مد ذراعه ولمسه.

وللمرة الأولى شعر بوبى بأن فى وسعه حقاً رؤية الرجل ـ كانت صورة جانبية قوية، الأنف الضخم، الذقن الناتئة، خط الفك المتقضن الحليق. لاحظ بوبى كيف أن أذنيه كانتا صغيرتين وترقدان بشكل متوسط فوق رأسه، وكيف أن

شحمة أذنه كانت متصلة بوجنته ـ كان يعلم أن مثل هذين الأذنين كانتا ذات دلالة معينة.

ظل الطبيب يكتب ـ بهدوء ودون عجلة. بعد ذلك توقف لثانية أو اثنتين وكأنه يفكر في الكلمة المناسبة ـ ثم واصل الكتابة مجددًا. كان قلمه يتحرك فوق الورقة بدقة واطراد. وفي لحظة ما خلع نظارته وقام بتنظيفها ووضعها مجددًا.

وفي النهاية هبط بوبي دون أن يصدر صوتًا على الأرض سامحًا لنفسه بالتنهد: فيما يبدو أن الطبيب نيكلسون سيظل منشغلاً بالكتابة لفترة. وكانت تلك هي اللحظة المناسبة لدخول المنزل.

إن استطاع بوبي دخول المنزل عن طريق إحدى النوافذ العلوية أثناء انشغال الطبيب بالكتابة في غرفة المكتب الخاصة به، فسوف يكون في استطاعته تفتيش المبنى بتأنٍ في وقت لاحق من الليل.

دار حول المنزل ثانية واختار نافذة بالطابق الأول. كان إطار زجاج النافذة مفتوحًا من أعلى ولكن لم يكن هناك مصباح مضاء بالغرفة. لذا استنتج أنها غير مشغولة على الأرجح في هذا الوقت. علاوة على ذلك فقد كانت هناك شجرة بالقرب من النافذة تيسر عملية الوصول إليها.

بعد دقيقة، كان بوبي يتسلق الشجرة. وكان كل شيء يسير على ما يرام. وكان على وشك أن يمد يده للإمساك بحافة النافذة حينما سمع صوت تصدع من الفرع الذي يقف عليه. وفي اللحظة التالية انكسر الغصن الهزيل وسقط بوبي ورأسه

لأسفل، داخل أجمة من شجيرات نبات الكوبية بالأسفل والتي امتصت السقطة لحسن حظه.

كانت نافذة غرفة مكتب الطبيب تقع على نفس الجانب من المنزل، لذلك سمع بوبي صوت الطبيب يتساءل عما يجرى ثم سمع صوت فتح النافذة. وبعد أن تعافى بوبي من صدمة سقوطه، نهض وحرر نفسه من أغصان الكوبية واندفع نحو رقعة معتمة في الظل بالممر المؤدي إلى الباب الصغير ـ سار قليلاً بالممر ثم اختبأ بين الشجيرات.

سمع عدة أصوات ورأى الأضواء تتحرك على مقربة من شجيرات الكوبية المكسورة والمسحوقة إلا أنه ظل بلا حراك وحبس أنفاسه: فقد يأتون إلى الممر، وإن حدث هذا واكتشفوا أن الباب مفتوح فسوف يستنتجون، على الأرجح، أن أحدهم قد هرب من هذا الطريق ولن يواصلوا تفتيش المكان.

ومع ذلك فقد مرت دقائق دون أن يأتي أحد. الآن سمع صوت نيكلسون يطرح سؤالاً ـ لم يسمع السؤال ولكنه سمع صوتًا أجش ويبدو جاهلاً يدلي بالإجابة.

"كل شيء على ما يرام يا سيدي، لقد قمت باستطلاع المكان".

انحسرت الأصوات تدريجيًا واختفت الأضواء، وبدا أن جميع الأشخاص عادوا إلى المنزل.

بحرص شديد خرج بوبي من مخبئه وخرج إلى الممر وأخذ يتنصت ـ كان المكان هادئًا. فأخذ خطوة أو اثنتين نحو المنزل.

وفي ذلك الحين ضربه شيء ما انبثق من الظلام على مؤخرة رأسه فسقط للأمام ... في عتمة الليل.

الفصل ٢٧

"لقد تعرض أخي للقتل"

في صباح يوم الجمعة، توقفت السيارة البنتلي الخضراء خارج فندق ستيشن في أمبليديفر.

كانت فرانكي قد أرسلت لـ بوبي برقية تحت الاسم المتفق عليه ـ جورج باركر ـ تخبره فيها بأنها مطلوبة للإدلاء بشهادتها حول حادث موت هنري باسينجتون فريتش، وأنها سوف تمر عليه في أمبليديفر في طريق عودتها من لندن.

وقد توقعت أن يرسل إليها برقية بدوره يحدد بها موعدًا، ولكن لم يصلها شيء، لذا ذهبت إلى الفندق.

قال خادم الفندق: "أتقولين السيد باركر يا آنسة؟ لا أعتقد بوجود أي نزيل بالفندق يحمل هذا الاسم، ولكنني سوف أتأكد لأجلك".

عاد بعد بضع دقائق.

"لقد أتى إلى هنا في مساء الأربعاء يا آنسة، وترك حقيبته وقال إنه لن يعود قبل وقت متأخر ـ إن حقيبته لاتزال هنا،

ولكنه لم يأت لأخذها".

شعرت فرانكي فجأة بالغثيان فأمسكت بطاولة توجد إلى جوارها لتفادي السقوط. وكان الرجل ينظر إليها بتعاطف.

سألها: "هل أنت بخير يا آنسة؟".

هزت فرانكي رأسها.

نجحت في أن تقول: "أنا على ما يرام. ألم يترك رسالة؟".

خرج الرجل مجددًا وعاد يهز رأسه.

قال: "لقد جاءته برقية ـ هذا هو كل ما في الأمر".

نظر إليها بفضول.

سألها: "هل في مقدوري القيام بأي شيء يا آنسة؟".

هزت فرانكي رأسها.

في هذه اللحظة كان كل ما كانت تريده هو الرحيل: فلابد أن تفكر فيما يجب عليها فعله.

قالت: "لا. إن كل شيء على ما يرام"، ثم استقلت البنتلي وقادت مبتعدة.

أومأ الرجل برأسه بحكمة وهو يرقبها تبتعد.

قال لنفسه: "من الواضح أنه هرب ـ خذل الفتاة ولم يف بوعده لها. إنها تبدو كفتاة ثرية لعوب؛ ترى كيف كان يبدو؟".

طرح هذا السؤال على موظفة الاستقبال، ولكن الشابة لم تستطع أن تتذكر.

قال خادم الفندق بحكمة: "رجل وامرأة ثريان، كانا سيتزوجان سرًا ـ ولكنه تخلى عنها".

في الوقت ذاته كانت فرانكي تقود سيارتها صوب ستافرلي، بينما تجوب عقلها ثورة من المشاعر المتضاربة.

لماذا لم يعد بوبي إلى فندق سنيشن؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تنحصر بين سببين فقط: إما أنه يقتفي أثر موريرا ـ وقد أخذته عملية الاقتفاء هذه إلى مكان ما ـ أو أن ثمة مكروهًا حدث له. وعندئذ انحرفت البنتلي بشكل خطير، ولكن استعادت فرانكي السيطرة عليها في الوقت المناسب.

إنها حمقاء ـ تتخيل بعض الأشياء. بالطبع بوبي بخير. إنه فقط يقتفي أثر موريرا ـ هذا هو كل ما في الأمر ـ يقتفي أثرها.

طرح صوت آخر بداخلها هذا السؤال: ولكن لماذا لم يرسل إليها خطابًا لطمأنتها؟

لاقت مزيدًا من الصعوبة في الإجابة عن هذا السؤال، ولكن كانت هناك أجوبة: ظروف صعبة ـ لم يجد وقتًا أو فرصة لذلك ـ كان بوبي يعلم أنها ـ فرانكي ـ لن يساورها القلق بشأنه. كل شيء على ما يرام ـ لابد من ذلك.

مر التحقيق كالحلم، وكان روجر وسيلفيا هناك ـ وكانت سيلفيا تبدو جميلة في ثوب الحداد؛ كانت مبهرة ومؤثرة. وقد وجدت فرانكي نفسها معجبة بها وكأنها معجبة بأداء مسرحي.

سارت الإجراءات بطريقة منظمة ـ كان آل باسينجتون فريش يحظون بشعبية كبيرة على المستوى المحلي. وتم القيام بكل ما يمكن القيام به لمراعاة مشاعر الأرملة وشقيق الرجل

الميت.

أدلى كل من فرانكي وروجر بشهادتيهما، وأدلى الطبيب نيكلسون بشهادته، وتم تقديم خطاب الوداع الذي كتبه الرجل الميت. بدا أن الأمر انتهى بسرعة كبيرة وصدر الحكم: "الانتحار أثناء الإصابة بحالة من اعتلال العقل".

الحكم الذي يتم عن التعاطف كما أطلق عليه السيد سبراج.

حدث ترابط بين الحادثتين داخل عقل فرانكي.

حادثتا انتحار أثناء اعتلال العقل. هل كان هناك ـ هل يمكن أن يكون هناك علاقة بينهما؟

كانت تعلم أن حادث الانتحار الأخير كان حقيقيًا: فقد كانت في موقع الحدث. لذا فإن نظرية بوبي ـ أنها كانت حادثة قتل ـ لا أساس لها من الصحة ولابد من استبعادها؛ فحجة غياب الطبيب نيكلسون صلبة كالفولاذ ـ كما أن الأرملة نفسها أكدتها.

رحل الآخرون بينما ظلت فرانكي والطبيب نيكلسون، وصافح المحقق سيلفيا وواساها ببعض الكلمات.

قالت سيلفيا: "أعتقد أن لدينا بعض الخطابات لك يا فرانكي، وأظن أنك لن تمانعي إن ذهبت الآن لأرتاح قليلاً. لقد كان الأمر بغيضاً حقًا".

ارتعدت وغادرت الغرفة، ورحل نيكلسون معها وهو يتمتم لها بشيء بخصوص مهدئ.

استدارت فرانكي ناحية روجر.

"روجر، لقد اختفى بوبي".

"اختفى؟".

"أين وكيف؟".

شرحت له فرانكي في بضع كلمات سريعة.

قال روجر: "ولم يره أحد منذ ذلك الحين؟".

"لا ـ ماذا حدث في اعتقادك؟".

قال روجر ببطء: "أنا لست مطمئنًا".

انقبض قلب فرانكي.

"أنت لا تعتقد أنه ـ ؟".

"آه! ربما يكون كل شيء على ما يرام، لكن ـ صه، إن نيكلسون قادم".

دخل الطبيب الغرفة سيرًا دون أن يحدث صوتًا كدأبه دائمًا، حيث كان يفرك يديه معًا ويبتسم.

قال: "إن كل شيء سار على ما يرام ـ لقد كان الطبيب ديفيدسون شديد اللباقة ومراعيًا للمشاعر إلى حد كبير، ونحن محظوظون لكونه محققنا المحلي".

قالت فرانكي بطريقة آلية: "أعتقد هذا".

"كان الأمر سيختلف كثيرًا إن لم يكن هو من أجرى التحقيق يا ليدي فرانسيس؛ فالإجراءات الخاصة بأي تحقيق تخضع بشكل كامل لسيطرة المحقق، فيمكنه أن ييسر الإجراءات أو يعقدها كيفما يشاء، وفي حالتنا تلك سار كل شيء على ما يرام".

قالت فرانكي بصوت يتخلله المرارة: "إنه عرض مسرحي

هائل فى الواقع".

نظر إليها نيكلسون فى دهشة!

قال روجر: "أنا أعرف ما تشعر به الليدى فرانسيس؛ فأنا أشاركها نفس الشعور ـ لقد تعرض أخى للقتل يا دكتور نيكلسون".

كان روجر يقف وراء نيكلسون ولم ير تعبير الفزع ـ الذى رأته فرانكى ـ الذى قفز داخل عينى الطبيب.

قال روجر وهو يقاطع نيكلسون الذى كان على وشك الرد: "أنا أعنى ما أقوله: قد لا يرى القانون أن أخى قد قتل ولكن هذا ما حدث. إن الوحوش المجرمين الذين دفعوا أخى كى يصبح عبدًا للمخدرات هم من تسببوا فى موته وكأنهم قتلوه فعلاً".

فاضت مشاعره بعض الشىء، والآن أصبحت عيناه الفاضيتان تنظران مباشرة فى عينى الطبيب، ثم قال وكأنما يهدد: "أنا أنوى القصاص منهم".

تداعت عينا الطبيب نيكلسون الزرقاوان الشاحبتان أمام عينيه، وهز رأسه فى حزن.

قال: "لا أستطيع أن أقول إننى أختلف معك: فأنا أعرف عن تعاطى المخدرات أكثر مما تعرف أنت يا سيد باسينجتون فريتش. إن حث رجل على تعاطى المخدرات هو بالفعل جريمة بشعة".

كانت الأفكار تجوب داخل رأس فرانكى ـ فكرة بعينها بالتحديد.

كانت تقول لنفسها: "لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا. كان ذلك سيصبح أمرًا وحشيًا للغاية. ومع ذلك ـ فإن حجة غيابه برمتها تعتمد على كلمتها ـ ولكن فى تلك الحالة ـ ...".

أفاقت من أفكارها لتجد نيكلسون يتحدث إليها. "لقد أتيت بالسيارة يا ليدى فرانسيس ـ ألم تتعرضى لحادث هذه المرة كذلك؟".

شعرت فرانكى بأنها تبغض هذه الابتسامة.

قالت: "لا. إن التعرض لكل هذا الكم من الحوادث كان سيصبح أمرًا مثيرًا للشفقة حقًا ـ ألا توافقنى الرأى؟".

تساءلت عما إذا كانت قد تخيلت هذا أم أنها رأت بالفعل جفنيه يخفقان للحظة.

"ربما قام سائقك بتوصيلك فى هذه المرة؟".

قالت فرانكى: "إن سائقى اختفى".

ونظرت مباشرة إلى نيكلسون.

قال نيكلسون: "حقًا؟".

واصلت فرانكى كلامها قائلة: "شوهد آخر مرة متوجهًا صوب الجرانج".

رفع نيكلسون حاجبيه.

قال بنبرة مبتهجة: "حقًا؟ هل يوجد فى مطبخى ما جذب انتباهه؟ أنا لا أعتقد هذا".

قالت فرانكى: "على أية حال، هذا هو المكان الذى شوهد فيه آخر مرة".

قال نيكلسون: "أنت تبدين درامية للغاية؛ فأنت على الأرجح

تنصتين إلى نميمة أهل البلدة، لكن لا يمكنك قط الوثوق فى النميمة المحلية: فقد سبق لى سماع أكثر القصص جموحًا". ثم سكت ثم واصل حديثه وقد تغيرت نبرة صوته قليلاً قائلاً: "بل إنه قد وصلت إلى مسامعى قصة خلاصتها أن زوجتى وسائقك شوهدا يتحدثان معًا عند النهر". سكت مجددًا ثم أردف: "أعتقد أنه كان شابًا مميزًا يا ليدى فرانسيس".

فكرت فرانكى: "هل هذا ما سوف يفعله؟ سيتظاهر أن زوجته هربت مع سائقى؟ هل هذه هى لعبته الصغيرة؟".

قالت بصوت مرتفع:

"إن هوكينز ليس سائقًا عاديًا".

قال نيكلسون: "يبدو الأمر كذلك".

استدار ناحية روجر.

"لابد لى أن أرحل. تعازىّ الحارة لك وللسيدة باسينجتون فرينش".

خرج روجر إلى الردهة معه وتبعتهما فرانكى. وفوق طاولة الردهة كانت توجد بعض الخطابات المرسلة إليها ـ أحدها كان فاتورة والآخر ...

قفز قلبها من مكانه.

كان الآخر كان يحمل خط يد بوبى.

كان نيكلسون وروجر عند عتبة الباب.

فتحت الخطاب.

(كتب بوبى) عزيزتى فرانكى، لقد تمكنت من اقتفاء الأثر أخيرًا. اتبعينى بأسرع وقت ممكن إلى تشيبنج سومرتون.

من الأفضل أن تأتى بالقطار وليس بالسيارة؛ إن البنطلى لافتة للانتباه للغاية. إن السفر بالقطار ليس مريحًا بعض الشىء ولكنك سوف تصلين بسلام. سوف تأتين إلى منزل يدعى تيودور كوتيدج، وسوف أشرح لك تفصيليًا كيف تجدينه. لا تسألى عن الطريق (ثم أتبع ذلك وصفًا دقيقًا للمكان). هل فهمت هذا بوضوح؟ لا تخبرى أحدًا (كان هناك خط عريض أسفل هذه العبارة). لا أحد على الإطلاق.

مع تحياتى

بوبى

أطبقت فرانكى على الخطاب بأصابعها.

إذن فكل شىء على ما يرام.

لم يصب بوبى بمكروه.

كان بوبى يقتفى الأثر ـ وبالمصادفة يقتفى نفس الأثر الذى تقتفيه فرانكى. لقد ذهبت إلى مؤسسة سومرست لتطلع على وصية جون سافاج. روز إميلى تمبلتون هى زوجة إدجار تمبلتون واللذان يقطنان فى تيودور كوتيدج، فى تشيبنج سومرتون، وقد كان هذا، مرة أخرى، يتواءم مع دليل السكك الحديدية الأبجدى الذى وجدته بمنزل سانت ليوناردز جاردنز: فتشيبنج سومرتون كانت إحدى المحطات المدونة على الورقة المفتوحة ـ لقد ذهب آل كايمان إلى تشيبنج سومرتون.

كان كل شىء متناغمًا مع بعضه البعض ـ لقد كانا يوشكان على الوصول إلى نهاية المطاردة.

استدار روجر باسينجتون فرينش وجاء نحوها.

سأل بشكل عارض: "هل يوجد أي شيء مثير للاهتمام في خطابك؟". ترددت فرانكي للحظة ـ بالطبع لم يكن بوبي يعني روجر حينما استحثها على عدم إخبار أحد؟

ثم تذكرت الخط المريض ـ وتذكرت كذلك الفكرة الوحشية التي وافتها مؤخرًا: فإن كان ذلك صحيحًا، فقد يخونهما روجر بكل بساطة. لذلك لم تجرؤ على التلميح له بشكوكها...

لذا اتخذت القرار وتحدثت.

قالت: "لا، لا شيء على الإطلاق".

سوف تندم على هذا القرار الذي اتخذته أشد الندم قبل أن تمضي الأربع والعشرون ساعة التالية.

كما أنها ندمت أكثر من مرة على مدار الأربع والعشرين ساعة التالية لأنها لم تجلب السيارة إذعانًا لطلب بوبي: فلم تكن تشيلسي سومرتون بعيدة إلى هذا الحد كما يقال. ولكن الرحلة بالقطار كانت تتضمن ثلاثة تغييرات مع توقف طويل وموحش في محطة ريفية في كل مرة. ونظرًا لاعتلال مزاج فرانكي ونفاد صبرها، كان يصعب عليها تحمل وسيلة المواصلات البطيئة هذه بجَلَد.

ومع ذلك، كان عليها أن تعترف بأن نصيحة بوبي تنطوي على شيء من الصحة: إن البنتلي سيارة لافتة للانتباه إلى حد كبير.

وكانت الحجج التي تذرعت بها لترك السيارة واهية للغاية. ولكنها عجزت عن التفكير في حجة مقنعة وذكية في نفس اللحظة.

كان الظلام قد أوشك على الحلول حينما دخل قطار فرانكي بترو وتأنٍ شديد داخل محطة تشيبنج سومرتون الصغيرة. وقد شعرت فرانكي بأن الوقت قد تجاوز منتصف الليل؛ حيث شعرت بأن القطار ظل يسير متمهلاً لساعات وساعات.

كانت السماء قد بدأت تمطر كذلك، وهو الأمر الذي كان بمثابة مشقة إضافية.

أغلقت فرانكي أزرار معطفها حتى رقبتها، وألقت نظرة أخيرة على خطاب بوبي تحت مصباح المحطة وحفظت الإرشادات بوضوح في رأسها وانطلقت.

كانت الإرشادات سهلة الاتباع: فقد رأت فرانكي أضواء القرية أمامها وانحرفت يسارًا إلى طريق ضيق شديد التعدر لأعلى. وعند أعلى الطريق الضيق، أخذت الاتجاه الأيمن من مفترق الطرق لترى أمامها الآن مجموعة المنازل الصغيرة ـ التي شكلت القرية ـ ترقد لأسفل ومجموعة من أشجار الصنوبر أمامها. وأخيرًا، وصلت إلى بوابة خشبية رائعة، وبعد أن أشعلت عود ثقاب رأت عبارة تيودور كوتيدج محفورة فوقها.

ما من أحد كان هناك ففتحت فرانكي المزلاج ودخلت، وكان بوسعها رؤية معالم المنزل وراء حزام من أشجار الصنوبر. وقفت بين الأشجار كي يتسنى لها الحصول على رؤية أوضح للمنزل. بعد ذلك ـ وبعد أن تسارعت نبضاتها بعض الشيء ـ حاولت أن تحاكي نعيب البومة بأفضل شكل ممكن، وكررت الصيحة ثانية.

فُتح الباب ورأت شخصًا يرتدى ملابس سائق ينظر للخارج فى حذر ـ بوبى! أومأ برأسه ثم تراجع للداخل تاركًا الباب مواربًا.

خرجت فرانكى من بين الأشجار واتجهت ناحية الباب. لم يكن هناك أي مصباح مضاء فى أية نافذة، وكان كل شيء مظلمًا وهادئًا.

خطت فرانكى بحذر شديد فوق العتبة لتدخل الردهة المظلمة، ثم توقفت ونظرت حولها.

همست: "بوبى؟".

كانت أنفها هى التى قامت بتحذيرها. أين شمت هذه الرائحة من قبل ـ هذه الرائحة الحلوة الثقيلة؟

وفى هذه اللحظة التى أعطاها عقلها فيه الإجابة "كلوروفورم". أمسكت ذراعان قويتان بها من الخلف. فتحت فمها لتصرخ، فأغلقه منديل مبلل وملأت الرائحة النفاذة منخاريها.

صارعت فى يأس وهى تتلوى وتستدير وتركل، لكن دون جدوى. وبالرغم من مقاومتها الشديدة فقد شعرت بنفسها تستسلم. كان هناك صوت قرع فى أذنيها وشعرت بنفسها تختنق. وبعد ذلك لم تشعر بشيء ...

الفصل ٢٨

فى اللحظات الأخيرة

عندما استردت فرانكى وعيها، كان أول ما شعرت به هو وهن شديد؛ فالآثار التالية لاستنشاق الكلوروفورم لا تعد لطيفة على الإطلاق. كانت ترقد فوق أرضية خشبية شديدة الصلابة وكانت الأغلال تقيد يديها وقدميها. استطاعت التدحرج على الأرض وأوشك رأسها على الارتطام بقوة بصندوق من الفحم البالى. وبعد ذلك حدثت أحداث مؤسفة عديدة.

بعد مضى بضع دقائق، نجحت فرانكى فى رؤية ما يحيط بها، وإن كانت لم تزل غير قادرة على الجلوس.

على مقربة منها، سمعت أنينًا خافتًا. نظرت حولها. ووفقًا لما استطاعت رؤيته، بدا لها أنها فى مكان يشبه العلية. كان الضوء الوحيد هو الضوء القادم من السماء من السطح. والذى كان فى هذه اللحظة ضعيفًا للغاية. وفى غضون دقائق قليلة صار الظلام دامسًا. كان هناك القليل من الصور المكسورة المعلقة فوق الجدران، وفراش حديدى متهدم، وبعض المقاعد

المكسورة، وصندوق الفحم السابق ذكره.

بدا التأوه قادمًا من الزاوية.

لم تكن قيود فرانكي شديدة الإحكام؛ حيث سمحت لها بالتحرك في حركة تشبه حركة سرطان البحر، وزحفت عبر الأرضية المكسوة بالغبار.

صاحت بقوة "بوبي!".

كان ذلك هو بوبي، مقيد اليدين والقدمين كذلك، لكن كانت هناك قطعة من القماش ملفوفة حول فمه.

نجح تقريبًا في تحرير نفسه منها، هبت فرانكي لمساعدته؛ فبالرغم من أن يديها كانتا مقيدتين معًا، فقد كان بمقدورها استخدامهما، وبالفعل نجحت في تحريره تمامًا منها بشد القماشة بقوة بأسنانها.

استطاع بوبي أن يصيح بقوة إلى حد ما:

"فرانكي!".

قالت فرانكي: "أنا سعيدة لأننا معًا، ولكن يبدو أنه تمت مهاجمتنا من الخلف".

قال بوبي بحزن: "أعتقد هذا ـ لقد تم ضبطنا متلبسين كما يقولون".

سألت فرانكي: "كيف نالوا منك؟ هل كان ذلك بعد أن أرسلت إليّ هذا الخطاب؟!".

"أي خطاب؟ أنا لم أكتب أية خطابات".

قالت فرانكي وقد اتسعت عيناها من الدهشة: "آه فهمت. كم كنت حمقاء! وكل ما أخبرتني به عن عدم إخبار أي

مخلوق".

"اسمعي يا فرانكي، سوف أحكي لك ما حدث لي ثم تحكين لي ما حدث لك".

حكى لها عن مغامراته في الجراج وعواقبها المشئومة.

قال: "لقد دخلت عربته الخطير، وكان هناك بعض الطعام والشراب على صينية. كنت جائعًا للغاية فتناولت بعضًا منه. وأعتقد أنه كان يوجد مخدر بالطعام؛ حيث إنني استغرقت في نوم عميق فور تناولي له. أي يوم هذا؟".

"الجمعة".

"وأنا تلقيت الضربة في مساء الأربعاء. إذًا، لقد ظللت فاقداً الوعي كل هذا الوقت. الآن أخبريني بما حدث لك".

حكت له فرانكي عن مغامراتها، بادئة من القصة التي سمعتها من السيد سبراج وانتهت بالشخص الذي رأته عند مدخل الباب وظنت أنه بوبي.

أنهت الحكاية قائلة: "بعد ذلك وضعوا على أنفي الكلوروفورم. آه يا بوبي، لقد كنت فاقدة الوعي داخل صندوق من الفحم!".

قال بوبي في استحسان: "كم كنت واسعة الحيلة يا فرانكي، بالرغم من أن يديك كانتا مقيدتين، المهم، ما الذي سنقوم بفعله الآن؟ لقد كنا نحن من نتحكم في زمام الأمور لفترة طويلة، ولكن الآن انقلبت الآية".

قالت فرانكي في ندم: "لو كنت فقط أخبرت روجر بشأن خطابك؛ لقد خطرت لي هذه الفكرة وترددت ـ ثم قررت أن

أذعن لطلبك وألا أخبر أحدًا".

قال بوبى بحزن: "وكانت النتيجة أن لا أحد يعلم أين نحن، فرانكى يا عزيزتى، أنا آسف لتوريطك فى هذا الأمر".

قالت فرانكى فى كآبة: "لقد أفرطنا فى الثقة بأنفسنا".

قال بوبى مازحًا: "إن الشىء الوحيد الذى لا أستطيع تفسيره هو لماذا لم يقوموا بضربنا على رأسينا منذ البداية على هذا النحو: فأنا لا أعتقد أن نيكلسون من الممكن أن يضيع الوقت سدى على هذا النحو".

قالت فرانكى وهى ترتعد قليلاً: "لقد كانت لديه خطة".

"حسنًا، من الأحرى لنا أن نضع واحدة كذلك ـ لابد أن نخرج من هنا يا فرانكى، كيف يمكننا القيام بذلك؟".

قالت فرانكى: "يمكننا الصياح".

قال بوبى: "نعم، فربما يتصادف مرور أحدهم ويسمعنا. ولكن بما أن نيكلسون قد تركك دون أن يكمم فمك، فإن احتمالات نجاح هذه المحاولة ضعيفة للغاية. إن يديك غير مقيدتين بإحكام شديد مثل يدىّ، ولذلك دعينا نرَ ما إذا كنت سأنجح فى تحريرهما بأسنانى".

وأمضى الدقائق الخمس التالية فى صراع أثبت مدى مهارة طبيب أسنانه.

قال لاهثًا: "كم من الغريب أن هذه الأمور تبدو غاية فى السهولة بالكتب ـ لا أعتقد أننى أحدثت أى تأثير".

قالت فرانكى: "بلى فعلت ـ إن القيد أصبح مرخيًا، احذرا هناك شخص قادم".

تدحرجت بعيدًا عنه. كان فى الإمكان سماع وقع أقدام تصعد الدرجات. كانت تتحرك بخطى ثقيلة وخرقاء. ظهر شعاع من الضوء أسفل الباب، وبعد ذلك سمعا صوت مفتاح يدور فى القفل ثم انفتح الباب ببطء.

انطلق صوت الطبيب نيكلسون: "والآن، كيف حال طائرىَّ الصغيرين؟".

كان يحمل شمعة بإحدى يديه، وبالرغم من أنه كان يرتدى قبعة تغطى عينيه ومعطفاً ثقيلاً ذا ياقة عالية فقد فضحه صوته المميز. ولمعت عيناه بشحوب خلف النظارة البراقة.

هز رأسه وهو ينظر إليهما فى سخرية.

قال: "ما كان يجب أن تتمى فى الشراك بهذه السهولة أيتها الليدى الشابة؛ ففى هذا حطٌ من شأنك".

لم يجب أى منهما؛ فقد كان المسيطر على الموقف هو الطبيب نيكلسون لدرجة جعلتهما يلاقيان صعوبة فى إيجاد ما يقولانه.

وضع نيكلسون الشمعة فوق أحد المقاعد.

قال: "على أية حال، دعانى أتأكد من أنكما تنعمان بالراحة".

تفحص قيود بوبى وأومأ برأسه فى استحسان ثم انتقل إلى فرانكى، وهنا هز رأسه.

قال معقبًا: "اعتدت أن أسمع فى صغرى قولاً حكيمًا يفيد بأن الأصابع خلقت قبل الشوكة ـ والأسنان ثم استخدامها قبل الأصابع؛ فأنا أرى أن أسنان صديقك قد أسدتك معروفًا".

كان يوجد مقعد ثقيل مصنوع من خشب البلوط ومكسور الظهر بالزاوية.

رفع نيكلسون فرانكي ووضعها على المقعد وقيدها بإحكام به.

قال: "إنه ليس غير مريح إلى درجة كبيرة. حسنًا، لن يستمر هذا الوضع طويلاً".

عثرت فرانكي على لسانها.

سألت: "ما الذي ستفعله بنا؟".

سار نيكلسون صوب الباب والتقط شمعته.

"لقد انهمكتي ساخرةً - يا ليدي فرانسيس - بأنني مغرم بالحوادث، وربما تكونين محقة. على أية حال، سوف أرتب لوقوع حادث آخر".

قال بوبي: "ماذا تعني؟".

"هل أخبرك؟ حسنًا، سوف أخبرك. إن الليدي فرانسيس ديرويت تقود سيارتها بينما يجلس سائقها إلى جوارها، ثم يفوتها المنعطف وتأخذ طريقًا مهجورًا يقود إلى محجر، ثم تتحطم السيارة فوق الحافة. فتلقى الليدي فرانسيس وسائقها مصرعهما".

سادت فترة صمت قصيرة ثم قال بوبي:

"ولكن قد لا يحدث هذا؛ فالخطط تفشل أحيانًا. وقد باءت إحدى خططك بالفشل بالفعل في ويلز".

قال نيكلسون: "إن قدرتك على تحمل المورفين كانت بدون شك مثيرة للاهتمام - ومن وجهة نظرنا - مؤسفة. ولكن عليك

ألا تتلق في هذه المرة؛ سوف تكون أنت والليدي فرانسيس في عداد الأموات عند اكتشاف جثتيكما".

ارتعد بوبي رغمًا عنه؛ فقد كانت هناك، نبرة غريبة تتخلل صوت نيكلسون - نبرة فنان يتفكر في التحفة الفنية التي سيرسمها.

فكر بوبي: "إنه يستمتع بهذا - يستمتع به حقًا".

وهو لن يوفر لـ نيكلسون أية متعة إضافية بقدر استطاعته. قال بعدم اكتراث:

"أنت ترتكب خطأ - وخاصة فيما يتعلق بالليدي فرانسيس".

قالت فرانكي: "نعم، في ذلك الخطاب الحاذق الذي قمت بتزويره طلبت مني ألا أخبر أحدًا. حسنًا، لقد قمت باستثناء واحد؛ حيث أخبرت روجر باسينجتون فرينش، وإن حدث شيء لنا فسوف يعلم من المسئول - لابد لك أن تتركنا نرحل ونهرب من البلدة بأقصى سرعة ممكنة".

سكت نيكلسون للحظة، ثم قال:

"خدعة جيدة".

استدار ناحية الباب.

صاح بوبي: "ماذا عن زوجتك أيها الحيوان؟ هل قتلتها أيضًا؟".

قال نيكلسون: "إن موبرا لاتزال على قيد الحياة، وأنا لا أعلم في الواقع قدر الوقت المتبقي لها، فهذا أمر يعتمد على الظروف".

وانحنى لهما فى سخرية.

قال: "إلى اللقاء. سوف يستغرق الأمر منى ساعتين للانتهاء من ترتيباتى ـ بإمكانكما مناقشة الأمر كما يحلو لكما. فأنا لن أكمم فمكما حتى يصبح ذلك ضروريًا. أتفهمان؟ إذا سمعت أية صرخات استغاثة، فسوف آتى لتولى الأمر".

وخرج وأغلق الباب وأوصده خلفه.

قال بوبى: "هذا ليس حقيقيًا ـ لا يمكن له أن يكون حقيقيًا. هذه الأشياء لا تحدث".

ولكن لم يكن فى وسعه ألا يمنع نفسه من الشعور بأنها ستحدث ـ له ولـ فرانكى.

قالت فرانكى محاولة أن تكون متفائلة: "فى الكتب هناك دومًا ما يدعى الإنقاذ فى اللحظات الأخيرة".

ولكنها لم تكن متفائلة إلى حد كبير. وفى الواقع، فإن معنوياتها كانت متدنية بشدة.

قال بوبى وكأنه يستجدى أحدًا: "إن الأمر برمته مستحيل ـ بشبه الخيال. إن نيكلسون فى حد ذاته يبدو غير حقيقى. أتمنى لو كان ما يدعى إنقاذ اللحظات الأخيرة هذا ممكنًا. ولكن من سينقذنا؟".

قالت فرانكى منتحبة: "لو أننى فقط أخبرت روجر".

اقترح بوبى قائلاً: "ربما يكون نيكلسون قد صدق أنك أخبرته".

قالت فرانكى: "لا. إنه لم يبتلع الطعم على الإطلاق ـ إن الرجل نابغ حقًا".

قال بوبى فى حزن: "لقد فاقنا دهاءً. هل تعلمين يا فرانكى ما أكثر ما يضايقنى فى كل هذا؟".

"لا. ماذا؟".

"إننا حتى الآن، وفى الوقت الذى أوشكنا فيه على الانتقال إلى العالم الآخر، مازلنا لا نعرف من هو إيفانز؟".

قالت فرانكى: "دعنا نسأله. كما تعلم ـ هدية اللحظة الأخيرة. لا يمكنه أن يرفض إخبارنا. وأنا أوافقك الرأى بأننى لا يمكن لى أن أموت دون أن أشبع فضولى".

سادت فترة من الصمت ثم قال بوبى:

"هل تعتقدين أننا يجب أن نصرخ طلبًا للمساعدة ـ التماسًا لما قد يكون فرصة أخيرة؛ إنها تقريبًا الفرصة الوحيدة المتاحة لنا".

قالت فرانكى: "ليس بعد. أولاً، لا أعتقد أن أحدًا سوف يسمعنا ـ فهو ما كان ليخاطر قط بشىء كهذا ـ وثانيًا، أنا لا أشعر أنه فى مقدورى الانتظار هنا إلى أن يتم قتلى دون أن أتحدث إلى أحد أو يتحدث إلىّ أحد. دعنا نَقُمْ بإرجاء الصياح حتى آخر لحظة. إننى أشعر براحة ـ براحة كبيرة وأنا أتحدث معك". واضطرب صوتها بعض الشىء أثناء ترديدها لهذه الكلمات الأخيرة.

"لقد أوقعتك فى ورطة كبيرة يا فرانكى".

"آها لا بأس، فما كان بإمكانك ألا تورطنى؛ أنا من أردت المشاركة. هل تعتقد حقًا أنه سينفذ تهديده يا بوبى؟ أعنى أن يقتلنا؟".

"أخشى هذا. إن الرجل يتمتع بكفاءة عالية".

"بوبى، هل تؤمن الآن بأنه هو من قام بقتل هنرى باسينجتون فرينش؟".

"إن كان هذا محتملاً ... ".

"إن هذا محتمل ـ على شرط واحد: أن تكون سيلفيا باسينجتون فرينش مشاركة فى الأمر كذلك".

"فرانكى!".

"أعلم هذا. إننى أيضًا أصبت بالذعر حينما واتتنى هذه الفكرة، ولكنها منطقية: لماذا كانت سيلفيا بكل هذا الغباء ولم تكتشف مسألة إدمان زوجها ـ ولماذا قاومت بكل هذا العناد رغبتنا فى إرسال زوجها إلى مكان آخر خلاف الجرانج؟ بالإضافة إلى ذلك، فقد كانت بالمنزل عند إطلاق الرصاص...".

"ربما تكون هى من أطلقته".

"يا إلهى! هذا محتمل".

"نعم، محتمل. وبعد ذلك أعطت مفتاح غرفة المكتب إلى نيكلسون كى يضعه فى جيب هنرى".

قالت فرانكى فى صوت يائس: "إن الأمر كله مثير للجنون ـ إنه يشبه النظر فى مرآة مشوهة. إن كل من بدوا بمنأى عن الشبهات كانوا هم المجرمين الحقيقيين ـ جميع الناس اللطفاء العاديين. لابد من وجود طريقة ما نستطيع من خلالها تمييز المجرمين ـ الحاجبين أو الأذنين أو شىء من هذا القبيل".

صاح بوبى: "يا إلهى!".

"ما الأمر؟".

"فرانكى، لم يكن هذا هو نيكلسون الذى أتى هنا لنوم".

"هل فقدت عقلك؟ من كان إذن؟".

"لا أعلم ـ ولكنه لم يكن نيكلسون؛ فطوال الوقت وأنا أشعر أن ثمة شيئًا ليس على ما يرام، ولكننى لم أستطع تحديده، وحينما ذكرت الأذنين توصلت إليه. إننى حينما كنت أرقب نيكلسون فى هذه الليلة من خلال النافذة، رأيت أذنيه بوضوح ـ فشحمتا أذنيه متصلتان بوجهه؛ ولكن هذا الرجل ـ الذى رأيناه الليلة ـ لم تكن أذناه على هذا النحو".

سألت فرانكى فى يأس: "ولكن ما الذى يعنيه هذا؟".

"إن هذا هو ممثل شديد البراعة يتقمص شخصية نيكلسون".

"ولكن لماذا ـ ومن عساه أن يكون؟".

التقط بوبى وقال: أنفاسه: "باسينجتون فرينش ـ روجر باسينجتون فرينش. لقد عرفنا من هو المجرم فى البداية وبعد ذلك انحرفنا عن الطريق وراء ما صرف انتباهنا عنه".

قالت فرانكى: "باسينجتون فرينش؛ إنك محق يا بوبى. لقد كان هو الشخص الوحيد المتواجد حينما سخرت من نيكلسون بشأن الحوادث".

قال بوبى: "هذا يعنى أن كل شىء قد انتهى. كان لايزال يحدونى بعض الأمل بأن روجر باسينجتون فرينش سينجح عن طريق معجزة ما فى افتداء أثرنا. ولكن حتى هذا الأمل الأخير تبدد. إن موبرا سجينة، وأنا وأنت مقيدا اليدين والقدمين، وما

من أحد آخر لديه أدنى فكرة عن مكاننا ـ لقد انتهت اللعبة يا فرانكي".

بعد أن أنهى عبارته الأخيرة سمعا صوتًا ما، وفي اللحظة التالية، وقبل ارتطام قوى بالأرض، سقط جسم ثقيل عبر الفتحة التي ينفذ منها ضوء السماء.

كان الظلام حالكًا لدرجة جعلت من الصعب رؤية أي شيء.

قال بوبي: "ما هذا بحق السماء ...".

من بين كومة من الزجاج المكسور انطلق صوت.

قال: "ب ـ ب ـ ب ـ بوبي".

قال بوبي: "يا إلهي! إنه بادجر!".

الفصل ٢٩

حكاية بادجر

لم تكن هناك دقيقة يمكن إهدارها؛ فقد كانت الأصوات تنساب إلى مسامعهم من الطابق الأرضي.

ولهذا صاح بوبي: "بادجر، أسرع أيها الأحمق! انزع فردة من حذائي، ولا تضيع الوقت في المناقشة أو طرح الأسئلة! انزع فردة الحذاء من قدمي بطريقة ما، وضعها في منتصف الحجرة ثم اختبئ أسفل ذلك السرير! بسرعة!".

كانت هناك أصوات أقدام تصعد السلالم، ثم تبعها صوت دوران المفتاح في مزلاج الباب.

ثم وقف الطبيب نيكلسون ـ المزيف ـ أمام عتبة الباب وهو يحمل في يده شمعة.

رأى الطبيب نيكلسون بوبي وفرانكي كما تركهما تمامًا، لكن كانت هناك كومة من الزجاج المكسور في منتصف الحجرة، وفي وسط تلك الكومة كانت هناك فردة حذاء طويل الرقبة!

حرك نيكلسون عينيه باندهاش ما بين فردة الحذاء وبين

بوبى: فقد كانت قدم بوبى اليسرى بدون حذاء.

ثم قال بجفاء: "تصرف ذكى للغاية يا صديقى الشاب، وغاية فى المرونة أيضًا".

ثم تحرك ناحية بوبى، وتفحص الحبال التى تقيده، وزادها عقدة أو عقدتين وهو ينظر إليه بفضول.

"أتمنى لو أعرف كيف تمكنت من إلقاء فردة حذائك بحيث تصل إلى الكوة الزجاجية فى سقف الحجرة. يبدو الأمر تقريبًا غير قابل للحدوث، إلا إذا كنت من نسل الساحر العظيم هارى هوديني يا صديقى".

نظر نيكلسون إلى فرانكى وبوبى، ثم إلى الكوة الزجاجية المكسورة، ثم غادر الحجرة وهو يهز كتفيه فى لامبالاة.

"أسرع يا بادجر".

زحف بادجر خارجًا من أسفل السرير، وكان فى يده سكين جيب استخدمها فى قطع قيود بوبى وفرانكى.

قال بوبى وهو يتمطى: "هذا أفضل... أوه! إن ظهرى متيبس للغاية! حسنًا يا فرانكى، ماذا عن صديقنا نيكلسون؟".

قالت فرانكى: "أنت على حق؛ إنه روجر باسينجتون فريتش. الآن، علمت أن روجر ينتحل شخصية الطبيب نيكلسون، وصار بإمكانى التعرف عليه، لكنه يؤدى الدور ببراعة شديدة على أية حال".

قال بوبى: "وهو يجيد نبرات صوت الطبيب ويضع نفس النظارة التى يرتديها الأخير".

قال بادجر: "لقد كنت زميلًا لـ... ب... ب... باسينجتون

فريتش فى جامعة أكسفورد، وقد كان م...م...م... ممثلًا رائعًا رغم كونه شخصًا م...م...م... مثيرًا للمتاعب. ولقد تسبب فى م...م...م... مشكلة كبيرة عندما زور إمضاء و...و...و... والده على شيك. لكن والده تكتم الأمر وتستر عليه".

كانت هناك فكرة واحدة تلوح فى عقلَىْ بوبى وفرانكى فى نفس اللحظة. لقد كان بإمكان بادجر - الذى ارتأيا من قبل أنه من الحكمة عدم الوثوق به أو إطلاعه على ما يحدث - أن يمدهما بمعلومات قيمة من البداية!

قالت فرانكى بتفكر: "تزوير! لقد كان ذلك الخطاب الذى ظننت أنك قد أرسلته إلىّ يا بوبى مزيفًا ببراعة شديدة، لكننى أتساءل كيف عرف خط يدك؟".

"لو أنه متورط مع آل كايمان، فلابد أنه قد قرأ الخطاب الذى أرسلته إليهما بشأن مسألة إيفانز".

ارتفع صوت بادجر فى تلك اللحظة بوضوح.

فقال متسائلًا: "م...م...م... ماذا ستفعل الآن؟".

رد بوبى: "سوف نقف فى وضعية مريحة خلف الباب، وعندما يعود صديقنا - ولا أظنه سيعود قريبا - سوف نهجم عليه معًا من الخلف ونقدم له مفاجأة حياته. ما رأيك يا بادجر؟ هل تروقك هذه الخطة؟".

"أوه! دون شك".

"أما بالنسبة لك يا فرانكى، فسوف تعودين إلى كرسيك، لكى يراك بمجرد أن يفتح الباب؛ مما سيجعله يدلف إلى الداخل دون أن يشك فى أى شىء".

قالت فرانكي: "حسنًا... وبمجرد أن نطرحاه أرضًا، سوف أنضم إليكما وأعض كاحليه أو أى شىء من هذا القبيل".

قال بوبى موافقًا: "هذه هى الروح الأنثوية الحقيقية. والآن دعونا نجلس على الأرض معًا ونحاول أن نجمع خيوط هذه المسألة؛ فأنا أريد أن أعرف أى معجزة ألقت بـ بادجر من كوة السقف".

قال بادجر: "حسنًا... بعد أن غادرت أنت الورشة، وقعت أنا فى ورطة كبيرة".

ثم سكت بادجر للحظة، وبالتدريج بدأت القصة تخرج من بين شفتيه: كانت معالم الحكاية عبارة عن ديون، وداشين، ومُحضر محكمة ـ كارثة تقليدية من الكوارث التى عادة ما يتعرض لها بادجر. لقد غادر بوبى دون أن يترك أى عنوان، فقط قال إنه سوف يقود السيارة البنتلى إلى قرية ستافيرلى، وعليه انطلق بادجر إلى قرية ستافيرلى.

قال بادجر موضحًا: "لقد ظننت أنه ر...ر...ر... ربما تستطيع أن تقرضنى خم...خم...خم... خمسين جنيهًا".

شعر بوبى بغصة فى حلقه. لقد حضر إلى لندن لكى يساعد بادجر فى مشروعه، لكنه سرعان ما ترك وظيفته لكى يشارك فرانكى مغامرتها البوليسية، ورغم كل ذلك فإن بادجر المخلص لم يعاتب صديقه ولو بكلمة واحدة.

شرح بادجر أنه لم يكن يعتزم تعريض مهمة بوبى الغامضة للخطر، لكنه كان مقتنعًا بأنه لن يكون من الصعب العثور على سيارة مثل البنتلى فى قرية بحجم ستافيرلى.

وفى الواقع، لقد عثر بادجر على السيارة قبل أن يصل إلى قرية ستافيرلى؛ حيث كانت تقف أمام أحد المقاهى ـ ولم يكن بها أحد.

أكمل بادجر: "ولقد فكرت فى أن أقدم لك م...م...م... مفاجأة صغيرة على سبيل الدعابة. كانت هناك بعض الأ... الأ...الأغطية والمتعلقات فى المقعد إلخ...إلخ...الخلفى، ولم يكن هناك أحد بالسيارة. ص...ص...صعدت للسيارة و...و... ووضعت الأغطية فوقى. لقد أردت أن أقدم لك م...م...مفاجأة عمرك".

وما حدث فى الواقع هو أن سائقًا يرتدى بزة خضراء قد خرج من الحانة، وقد شعر بادجر ـ الذى كان يسترق النظرات من مكمنه ـ بمفاجأة شديدة عندما أدرك أن ذلك السائق لم يكن بوبى. كان لدى بادجر إحساس بأن وجه ذلك السائق يبدو مألوفًا بشكل ما. لكنه لم يستطع تحديد أين ومتى قابله من قبل. صعد الرجل الغريب إلى السيارة وانطلق بها بعيدًا.

كان بادجر فى معضلة كبيرة، ولم يكن يعرف ماذا يفعل بعد ذلك. كان تقديم التوضيحات والاعتذارات مسألة صعبة، وليس من السهل فى كل الأحوال أن تحاول أن تفسر شيئًا لرجل يقود سيارة بسرعة ستين ميلًا فى الساعة؛ ولهذا قرر بادجر أن يظل فى مكمنه وأن يتسلل خارجًا من السيارة عندما تتوقف.

وصلت السيارة أخيرًا إلى وجهتها ـ كوخ تيودور كوتيدج، وقاد السائق السيارة حتى وضعها داخل المرآب ثم تركها هناك، لكنه أغلق باب المرآب بعد خروجه، وصار بادجر حبيسًا. كانت

هناك نافذة صغيرة فى أحد جوانب المرآب، ومن خلال تلك النافذة، وبعد حوالى نصف ساعة، رأى بادجر فرانكى وهى تقترب من المكان، ثم سمع تلك الصفارة التى أطلقتها، وأخيرًا شاهدها وهى تدلف إلى الكوخ.

لقد أثارت المسألة برمتها حيرة بادجر، وبدأ يشك فى أن هناك شيئًا خاطئًا يحدث، وعلى أية حال، فقد قرر أن يلقى نظرة فى أرجاء المكان ويرى بعينى رأسه ما يحدث.

وبمساعدة بعض الأدوات الموجودة بالمرآب، تمكن بادجر من فتح قفل باب المرآب ثم انطلق فى جولة تفقدية للمكان. كانت نوافذ الطابق الأرضى محكمة الإغلاق، لكنه ظن أن بإمكانه أن يلقى نظرة من إحدى نوافذ الطابق العلوى إذا تمكن من التسلق إلى السطح، لم يمثل تسلق الحائط إلى السطح أى صعوبة؛ فقد كانت هناك ماسورة مياه متجهة إلى سطح المرآب، وكانت المسافة من سطح المرآب إلى سطح الكوخ من السهل تسلقها. وفى خلال زحفه فوق السطح وصل بادجر إلى الكوة الزجاجية، وقد تسببت قوانين الطبيعة ووزن بادجر فى سقوطه بهذا الشكل.

التقط بوبى نفسًا عميقًا حين وصلت الحكاية إلى نهايتها.

وقال باحترام: "فى كل الأحوال أنت معجزة... معجزة فردية رائعة! لولا وصولك يا عزيزى بادجر، لتحولت أنا وفرانكى إلى جثتين فى غضون ساعة!".

ثم انطلق بوبى يقص على بادجر ملخصًا سريعًا لما حدث له ولـ فرانكى منذ بداية القصة، وقرب نهاية الحكاية صمت

بوبى فجأة.

ثم قال: "هناك شخص قادم ـ اذهبى إلى مكانك يا فرانكى، والآن سيتلقى الممثل القدير روجر باسينجتون فرينش مفاجأة عمره".

جلست فرانكى فوق المقعد المكسور وقد رسمت على وجهها ملامح الاكتئاب، ووقف بوبى وبادجر على استعداد خلف الباب.

وصلت الخطوات إلى أعلى السلالم، ثم ظهر ضوء الشمعة من أسفل عتبة الباب، ثم وُضع المفتاح فى القفل فانفتح الباب على مصراعيه. وقد حجب ضوء الشمعة جسد فرانكى التى كانت تتكوم فى مقعدها بانزعاج، ثم دلف مختطفهم عبر مدخل الباب.

وفى تلك اللحظة انقض عليه بوبى وبادجر بحماس شديد.

كانت الأحداث التالية قصيرة وفارقة؛ فقد سقط الرجل أرضًا من وقع المفاجأة، فطارت الشمعة من يديه وسقطت على الأرض، ثم استعادتها فرانكى، وبعد عدة ثوان وقف الأصدقاء الثلاثة وقد علت وجوههم نظرات استمتاع شامتة وهم يتطلعون إلى الرجل وقد أحاطت به نفس الحبال التى استخدمها فى تقييد بوبى وفرانكى.

وقال بوبى: "مساء الخير يا سيد باسينجتون فرينش. إنها ليلة مناسبة جدًا لحضور جنازة" ـ ولو أن نبرة الغيظة التى ظهرت جلية فى صوت بوبى بدت فجة بعض الشىء، فمن ذا الذى يستطيع أن يلومه؟

الفصل ٣٠

الهروب

حدق الرجل الملقى على الأرض النظر إليهم، وقد سقطت النظارة من فوق وجهه وكذلك وقعت قبعته. لم يعد هناك فائدة من محاولة التنكر؛ حيث بدت خيوط مساحيق التجميل واضحة عند حاجبيه. لكن فيما عدا ذلك كانت ملامح الوجه اللطيفة والساذجة قليلًا تشير بوضوح إلى أن صاحب هذا الوجه هو روجر باسينجتون فريتش.

تحدث روجر بصوته العذب الحقيقي، وبنبرة مناجاة لطيفة.

فقال: "يا له من أمر مثير! لقد كنت أعلم جيدًا أن شخصًا عقيدًا مثلك لن يكون، بأي حال، قادرًا على أن يقذف فردة حذائه حتى تصل إلى كوة السقف. ولكن لأن فردة الحذاء كانت موجودة وسط كومة الزجاج فقد سلمت بهذه الفكرة. وافترضت ـ رغم استحالة هذه الفكرة ـ أن المستحيل قد حدث وأنك بالفعل قد فعلت ذلك، وكل ما حدث يلقي ضوءًا جديدًا

على محدودية العقل الإنساني".

وحيث إن أحدًا لم يقاطعه، فقد استمر الرجل يتحدث بنفس النبرة التأملية:

"إذن فقد كسبت هذه الجولة على أية حال ـ إنه أمر مؤسف للغاية وغير متوقع على الإطلاق؛ فقد ظننت أنني قد تمكنت من خداعكم جميعًا".

قالت فرانكي: "لقد خدعتنا بالفعل. أنت من زور الخطاب الذي ظننت أن بوبي قد أرسله، أليس كذلك؟".

قال روجر بتواضع: "إن لديّ موهبة في هذه الأمور".

"وماذا عن بوبي؟".

بدا وكأن روجر ـ الذي كان يرقد على ظهره ويبتسم بلطف ـ يستمتع كثيرًا بشرح الحقائق لهم.

"لقد كنت أعلم أنه سيذهب إلى مصحة الجرائح، وكان كل ما عليّ فعله هو الاختباء داخل الشجيرات المحيطة بالممر وانتظاره. لقد كنت أقف خلفه هناك عندما تراجع إلى الوراء بعد أن سقط بطريقة حمقاء من فوق إحدى الأشجار، ثم انتظرت حتى هدأت الجلبة ثم ضربته على مؤخرة عنقه بكيس رمل، وكان كل ما عليّ فعله بعد ذلك هو حمله للخارج حيث أوقفت سيارتي، ووضعته في المقعد الخلفي وأحضرته إلى هنا، ثم عدت إلى المنزل مجددًا قبل الصباح".

قال بوبي: "وماذا عن موير؟ هل دفعتها للرحيل بطريقة ما؟".

فهقه روجر وبدا كأن السؤال قد أسعده كثيرًا.

وقال: "إن التزوير فن مفيد للغاية يا عزيزي بوبي".

صاح بوبي: "أيها الحقير!".

تدخلت فرانكي، وكان الفضول لايزال يغمرها، ورأت أن سجيتهم يبدو في مزاج يسمح له بالمزيد من الإيضاح.

فقالت متسائلة: "لماذا انتحلت شخصية الطبيب نيكلسون؟".

"لماذا افعلت ذلك؟" ـ بدا كأن روجر يطرح السؤال على نفسه فقال: "جزئيًا، أعتقد أنني فعلت ذلك لرغبتي في اكتشاف ما إذا كنت سأستطيع خداع كل منكما؛ فقد كنتما مقتنعين بأن نيكلسون المسكين متورط في الأمر حتى أذنيه". ضحك روجر مما جعل وجه فرانكي يحمر خجلاً، وأردف يقول: "لمجرد أنه قد استجوبك قليلاً حول تفاصيل الحادث الذي تعرضت له ـ وقد فعل ذلك بطريقته الخرقاء وأسلوبه المزعج في محاولة معرفة كل التفاصيل الدقيقة لكل شيء".

قالت فرانكي ببطء: "وهل هو بالفعل برىء تمامًا؟".

رد روجر: "مثل طفل رضيع، لكنه على كل حال قد قدم لي خدمة جليلة، حيث لفت انتباهي إلى ذلك الحادث الخاص بك ـ هذا وقد كان هناك موقف آخر جعلني أدرك أنك قد لا تكونين بتلك البراءة التي تتظاهرين بها؛ فقد كنت أقف بالقرب منك ذات صباح وأنت تتحدثين عبر الهاتف وسمعت صوت سائقك وهو يخاطبك باسم "فرانكي". إن لديّ حاسة سمع قوية بالمناسبة. لقد اقترحتُ عليك أن أرافقك في رحلتك إلى المدينة ووافقت على ذلك ـ لكن الارتياح بدا واضحًا عليك

عندما غيرت رأيي، وبعد ذلك..." ـ وهنا سكت روجر وهز كتفيه العريضتين على قدر استطاعته ثم أردف: "لقد كان شيئًا مبهجًا أن أشاهدكما وقد اقتنعتما تمامًا بتورط نيكلسون ـ إنه عجوز أحمق وغير مؤذ على الإطلاق، لكنه يبدو شبيهًا بالعلماء المجانين الذين يظهرون في الأفلام. ولقد ارتأيت أن أبقيكما منخدعين حتى النهاية؛ فالمرء لا يدري ماذا تخفي الأيام له، وأفضل الخطط قد تنتهي بالفشل الذريع ـ وموقفي الحالي خير دليل على ذلك".

قالت فرانكي: "هناك أمر آخر يجب أن تخبرني به؛ فالفضول يكاد يصيبني بالجنون. من هو إيفانز؟".

قال روجر: "أوه! إذن فأنت لا تعرفين من يكون؟".

ضحك روجر ـ ثم ضحك مجددًا.

وقال: "إنه لشيء ممتع للغاية. وهو يظهر كم أن المرء قد يكون مغفلًا في بعض الأحيان".

قالت فرانكي: "أتقصدنا بكلامك هذا؟".

قال روجر: "كلا. بل كنت أتحدث عن نفسي. أعلمي أنا مادمت لا تعرفين من هو إيفانز فلن أخبرك. وسأحتفظ لنفسي بهذا السر الصغير".

كان الموقف غريبًا بعض الشيء ـ لقد تمكنا من قلب الطاولة على روجر باسينجتون فريتش، ومع ذلك، فقد استطاع بطريقة غريبة أن يسلبهم ذلك الانتصار. وها هو ملقى على الأرض، مقيد وسجين، ورغم ذلك لا يزال مسيطرًا على الموقف.

قال روجر متسائلًا: "هل لي أن أسأل ما هي خططكم

الآن؟".

لم يكن أحدهم قد فكر بخطة بعد، وقد تمتم بوبي ببضع كلمات غير واضحة عن الاتصال بالشرطة.

فقال روجر بابتهاج: "هذا أفضل ما يمكنكم عمله! اتصلوا بالشرطة وسلموني إليهم، وسوف تكون التهمة هي الاختطاف على ما أظن، ولن أستطيع إنكار هذه التهمة بسهولة". ثم نظر إلى فرانكي وأردف: "سوف أقول إنني مذنب فيما نسب إليّ".

احمر وجه فرانكي خجلًا.

وتساءلت: "وماذا عن ارتكابك لجريمة قتل؟".

"عزيزتي، إنك لا تمتلكين أي دليل على الإطلاق. فكري في الأمر وسوف تكتشفين ذلك بنفسك".

قال بوبي: "بادجر، من الأفضل أن تبقى هنا وتحرسه. سوف أذهب للاتصال بالشرطة".

وقالت فرانكي: "عليك التزام الحذر يا بادجر؛ فنحن لا ندري كم شخصًا من المجرمين ربما يكونون بالمنزل".

قال روجر: "لا يوجد أحد سواي ـ لقد كنت أنفذ هذه العملية بمفردي".

قال بوبي بخشونة: "لست مستعدًا لتصديق كلامك في هذه المسألة".

ثم انحنى وفحص العقد الموجودة في الحبل.

ثم قال: "إن الحبال موثقة جيدًا، ولن يستطيع الذهاب إلى أي مكان، ومن الأفضل أن نهبط جميعًا إلى الطابق الأرضي، ونستطيع إغلاق الباب بالقفل".

قال روجر: "كم أنت متشكك يا صديقي الشاب! هناك مسدس في جيبي إذا كنت تريد واحدًا ـ لعله يشعرك باطمئنان أكبر، علاوة على أنه لن يفيدني بشيء في وضعي الراهن".

تجاهل بوبي نبرة السخرية في كلمات روجر وانحنى قليلًا كي يخرج المسدس من جيبه.

وقال: "من اللطيف أنك قد ذكرت أمر هذا المسدس، وإذا أردت الحقيقة، فهو يشعرني باطمئنان أكبر بالفعل".

قال روجر: "حسنًا... إنه محشو بالرصاصات".

أمسك بوبي بالشمعة وبدءوا يخرجون من الحجرة، تاركين روجر ملقى على الأرض؛ ثم أغلق بوبي الباب ووضع المفتاح في جيبه، وأمسك بالمسدس في يده الأخرى.

وقال: "سوف أهبط أولًا. يجب أن نلتزم الحذر ونتحرك في هدوء حتى لا نحدث أي جلبة الآن".

قال بادجر وهو يومئ برأسه تجاه الحجرة التي تركوها: "إنه لشاب غر... غر... غريب، أليس كذلك؟".

قالت فرانكي: "لكنه يتقبل الهزيمة بروح رياضية".

وحتى تلك اللحظة لم تكن فرانكي قد تخلصت بعد من جاذبية ذلك الشاب الرائع المدعو روجر باسينجتون فريتش.

كانت درجات السلم التي تقود إلى الردهة الأرضية متداعية بعض الشيء، لكن المكان كان هادئًا للغاية. نظر بوبي من وراء أعمدة الدرابزين، فرأى الهاتف موضوعًا بالردهة في الأسفل.

قال بوبي: "من الأحرى أن ننتقد تلك الحجرات أولًا، فلن

يكون شيئًا لطيفًا أن يهاجمنا أحدهم من الخلف".

فتح بادجر أبواب غرف النوم الأربع واحدًا بعد الآخر، وكان ثلاث منها شاغرة، أما الرابعة فكان بها جسد هزيل ملقى على السرير.

صاحت فرانكي: "إنها موير!".

اندفع رفيقاها إلى الغرفة ـ كانت موير ترقد فوق الفراش كأنها ميتة، إلا أن صدرها كان يتحرك قليلًا إلى أعلى وأسفل مع كل نفس تلتقطه.

قال بوبي: "أهي نائمة؟".

ردت فرانكي: "أعتقد أنها مخدرة".

ألقت فرانكي نظرة في أرجاء الحجرة، فوجدت محفظة ملقاة فوق صينية صغيرة مطلية وموضوعة على الطاولة القريبة من النافذة، وكان هناك أيضًا مشعل كحولي وإبرة مورفين.

قالت فرانكي: "أظن أنها ستكون بخير، لكن من الأفضل أن نستدعي لها طبيبًا".

قال بوبي: "دعونا نذهب ونتصل بالشرطة".

انطلقوا جميعًا إلى الردهة الأرضية، وكان لدى فرانكي بعض المخاوف من أن تكون الحرارة مقطوعة، لكن اتضح أن مخاوفها لم تكن في موضعها؛ حيث تم الاتصال بمركز الشرطة بسهولة، لكن الصعوبات قابلتهم في محاولة شرح المسألة لرجال الشرطة الذين اعتقدوا في البداية أن الاتصال لن يعدو كونه مزحة سخيفة.

لكنهم اقتنعوا أخيرًا بجدية الاستدعاء، فوضع بوبى سماعة الهاتف وهو يتنهد بارتياح بعد أن شرح لرجال الشرطة أنهم بحاجة إلى طبيب أيضًا. ووعده ضابط الشرطة بأنهم سيحضرون معهم طبيبًا.

بعد عشر دقائق وصلت إلى المكان سيارة تحمل مفتش الشرطة وأحد الضباط ورجلاً عجوزًا تدل هيئته بوضوح على أنه طبيب بشرى.

استقبلهم بوبى وفرانكى، وبعد أن شرحا لهم الأمور مجددًا بطريقة ميكانيكية، تقدما الطريق إلى الحجرة العلوية. فتح بوبى باب الحجرة ـ ثم وقف مذهولاً أمام عتبة الباب: ففى منتصف الحجرة، كانت هناك كومة من الحبال الممزقة، وكان هناك كرسى موضوع فوق السرير الذى تم جره إلى أسفل كومة الزجاج المتكسر تمامًا.

أما روجر ياسينجتون فرينش... فلم يكن له أى أثر!

تسمر بوبى وفرانكى وبادجر فى أماكنهم وقد أذهلتهم المفاجأة.

وقال بوبى: "لقد كان يزعم أننى من نسل الساحر هوديني ـ لقد تفوق الرجل على هوديني نفسه. كيف تمكن من قطع تلك الحبال بحق السماء؟".

قالت فرانكى: "لابد أنه كان يضع سكينًا فى جيبه".

"وحتى إذا افترضنا ذلك، أنى له الوصول إليها؟ لقد كانت كلتا يديه مقيدة خلف ظهره".

سعل المفتش وقد عادت كل شكوكه السابقة، بل وصار أكثر

اقتناعًا بأنه كان ضحية لمزحة سخيفة.

ووجد بوبى وفرانكى نفسيهما يحكيان قصة طويلة بدت أكثر استحالة بمرور كل دقيقة.

لكن الطبيب خلصهما من ذلك المأزق.

فعندما اصطحب الطبيب إلى الغرفة التى ترقد فيها موبرا، أعلن على الفور أنها قد تعرضت للتخدير باستخدام المورفين أو عقار مستخلص من الأفيون، وقال إنه لا يعتبر حالتها خطيرة، وإنه يعتقد أنها ستفيق من تلقاء نفسها فى غضون أربع أو خمس ساعات.

واقترح الطبيب نقلها إلى أى مستشفى قريب من المنطقة.

وافقه بوبى وفرانكى الرأى؛ حيث لم يجدا شيئًا آخر يمكنهما فعله. وبعد أن أعطيا اسميهما وعنوانيهما إلى المفتش، الذى تشكك كثيرًا فى أن تكون فرانكى هى حقًا اللیدى فرانسيس ديرويشت، سمح لهما بمغادرة كوخ تيودور كوتيدج، وقد تمكنا بعد ذلك ـ وبمساعدة مفتش الشرطة ـ من النزول بفندق سفن ستارز فى القرية.

وهناك، ورغم شعورهم المستمر بأنهم لا يزالون يعاملون كالمجرمين، فقد كانوا ممتنين كثيرًا عندما سمح لهم بالذهاب إلى غرفهم ـ وكانت عبارة عن غرفة مزدوجة لكل من بوبى وبادجر، وغرفة فردية صغيرة من أجل فرانكى.

وبعد دقائق معدودة من دخولهم إلى غرفهم، سمع بوبى صوت طرقات على باب غرفته.

وكان الطارق هو فرانكى.

قالت: "لقد فكرت فى شىء ما ـ لو أن ذلك المفتش الأحمق أصر على اقتناعه بأننا قد اخترعنا هذه المسألة برمتها، فلدىّ دليل يثبت أنه قد تم تحذيرى بالكلوروفورم".

"أليك دليل على هذا؟ أين هو؟".

قالت فرانكى بتصميم: "فى صندوق الفحم".

فرانكى تطرح سؤالاً

نظرًا للإرهاق الذى تعرضت له فرانكى من جراء مغامراتها، فقد نامت حتى وقت متأخر من صباح اليوم التالى. كانت الساعة تشير إلى العاشرة والنصف عندما نزلت فرانكى من غرفتها وتوجهت إلى المقهى الصغير بالفندق حيث وجدت بوبى يجلس بانتظارها.

"مرحبًا فرانكى، ها قد استيقظت أخيرًا!".

جلست فرانكى فوق أحد المقاعد وهى تقول: "لا تكن بمثل هذا النشاط الزائد يا عزيزى".

"ماذا ستتناولين؟ لديهم سمك الحذوق والبيض واللحم المقدد وشرائح اللحم البارد".

قالت فرانكى مقاطعة: "سوف أتناول الخبز المحمص والشاى. ماذا أصابك اليوم؟".

قال بوبى: "لابد أنها أعراض الضرب بكيس الرمل؛ فمن المحتمل أن يكون كيس الرمل قد قطع بعض الوصلات فى المخ.

إننى أشعر بأننى ممتلئ بالحيوية والنشاط والأفكار النيرة ولدى شوق للخروج والقيام ببعض الأنشطة".

ردت فرانكى ببلادة: "حسنًا، لماذا لا تخرج إذن؟".

"لقد خرجت بالفعل، وكنت بصحبة المفتش هاموند طوال نصف الساعة المنصرمة ـ سوف يتوجب علينا أن نعترف بأنها كانت مزحة سخيفة خلال الوقت الراهن".

"أوه، لكن يا بوبى...".

"لقد قلت: خلال الوقت الراهن، لكن علينا أن نصل إلى قلب هذه المسألة يا فرانكى. إننا نسير على الطريق الصحيح، وكل ما علينا فعله هو الاستمرار فى التحقيق ـ نحن لا نريد أن يُقبَض على روجر باسينجتون فرينش بتهمة الاختطاف، بل نريد أن نثبت عليه جريمة القتل".

قالت فرانكى وقد استعادت حماسها: "وسوف ننال منه لا محالة".

قال بوبى موافقًا: "هذه هى الروح المطلوبة. تناولى المزيد من الشاى".

"كيف حال موير؟".

"إنها فى حالة سيئة للغاية ـ لقد استعادت وعيها ولكنها فى حالة عصبية شديدة، ومن الواضح أن الخوف قد شل حركتها تمامًا. لقد ذهبت إلى لندن ـ إلى دار نقاهة فى ضاحية كوينز جيت، تقول إنها سوف تشعر بأمان هناك وإنها تحس برعب شديد هنا".

قالت فرانكى: "إن أعصابها لم تكن قوية من الأساس".

"حسنًا، إن أى شخص قد يشل الخوف حركته فى وجود قاتل متوحش غريب الأطوار مثل روجر باسينجتون فرينش فى المنطقة".

"هو لا يريد قتلها، وإنما يرغب فى التخلص منا نحن".

قال بوبى: "من المرجح أنه الآن شديد الانشغال بنفسه الآن لدرجة تمنعه من القلق بشأننا فى الوقت الراهن. والآن يا فرانكى، علينا أن نستمر فى تحقيقاتنا: فلابد أن بداية المسألة كلها هى وفاة جون سافاج ووصيته، وهناك شىء خاطئ بشأن هذه المسألة: فإما أن وصية جون سافاج قد زورت، أو أن سافاج قد قتل أو أى شىء من هذا القبيل".

قالت فرانكى بتأمل: "من المرجح جدًا أن تكون الوصية قد زورت إذا كان روجر باسينجتون فرينش متورطًا فى الأمر: إذ يبدو أن التزوير هو تخصصه".

"ربما كان فى الأمر تزوير وجريمة قتل ـ يجب أن نكتشف ذلك بأنفسنا".

أومأت فرانكى برأسها موافقة.

وقالت: "لدىّ الملاحظات التى كتبتها بعد اطلاعى على الوصية. كان شاهدا الوصية هما روز شودلى، الطاهية، وألبرت مير، البستانى. ولن يكون من الصعب العثور عليهما. وهناك أيضًا المحاميان اللذان كتبا الوصية ـ إيلفورد ولى، وهما يمثلان شركة محاماة محترمة جدًا، كما قال السيد سيراج".

"حسنًا، سوف نبدأ من هذه النقطة، وأظن أنه من الأفضل

أن تتولى أنت أمر المحامين؛ فسيكون بإمكانك أن تستخرجي منهما معلومات أكثر مني، وأنا سوف أتصل بكل من روز شودلي وألبرت ميرّ".

"وماذا عن بادجر؟".

"بادجر لا يستيقظ من النوم حتى وقت الغداء ـ ولست بحاجة إلى أن تقلقي بشأنه".

قالت فرانكي: "يجب أن نقوم بتسوية مشكلاته المالية في وقت ما، وحسبه أنه قد قام بإنقاذ حياتنا".

قال بوبي: "سرعان ما سيتورط في مشكلات جديدة. أوه! بالمناسبة، ما رأيك في هذه؟".

وقدم بوبي إليها صورة فوتوغرافية قذرة.

قالت فرانكي على الفور: "السيد كايمان! من أين أتيت بهذه الصورة؟".

"لقد سقطت من خلف الهاتف ليلة الأمس".

"من الواضح إذن من يكون السيد والسيدة تمبلتون. انتظر لحظة".

كانت إحدى النادلات قد اقتربت للتو من طاولتهما، وكانت تحمل في يدها الخبز المحمص، فعرضت عليها فرانكي الصورة.

وقالت متسائلة: "هل تعلمين من يكون هذا الرجل؟".

تفحصت النادلة الصورة وقد مالت برأسها إلى اليمين قليلاً.

وقالت: "لقد رأيت هذا الرجل من قبل ـ لكن لا يمكنني

أن أحدد بدقة أين ومتى رأيته. أوه! نعم، إنه السيد الذي كان يمتلك منزل تيودور كوتيدج ـ السيد تمبلتون. لقد رحل هو وزوجته منذ فترة ـ إلى خارج البلاد على ما أعتقد".

تساءلت فرانكي: "أي نوع من الرجال كان؟".

"لا أستطيع أن أحكم على ذلك؛ فلم يكن آل تمبلتون يحضرون إلى هنا كثيرًا ـ فقط في بعض إجازات نهاية الأسبوع. لم يكن للسيد تمبلتون أي معارف هنا، أما السيدة تمبلتون فكانت امرأة لطيفة، لكنهما لم يمكثا بالمنزل لفترة طويلة ـ تقريبًا ستة شهور فقط ـ وبعدها توفي رجل شديد الثراء وترك للسيدة تمبلتون كل أمواله، فغادرا المنزل وسافرا للعيش خارج البلاد، لكنهما لم يبيعا منزل تيودور كوتيدج رغم ذلك، وأنا أظن أنهما يعيرانه في بعض الأحيان لبعض الأشخاص ليقضوا فيه إجازات نهاية الأسبوع، لكنني لا أظن أنهما سيعودان للعيش فيه مجددًا بعد أن ورثت السيدة كل هذه الأموال".

تساءلت فرانكي: "لقد كان لديهما طاهية تدعى روز شودلي، أليس كذلك؟".

لكن بدا أن النادلة الشابة لم تكن مهتمة بالطباخين، وأن كل ما يثير مخيلتها هي مسألة أن يرث المرء ثروة ضخمة من أحد النبلاء، ولهذا ردت على سؤال فرانكي بأنها غير واثقة من وجود طاهية بهذا الاسم لدى آل تمبلتون، ثم انسحبت وهي تحمل صينية الخبز المحمص الفارغة.

قالت فرانكي: "هذا يوضح كل الأمور. لقد امتلع آل كايمان

عن الحضور إلى هنا، لكنهم يحتفظون بالمنزل من أجل نشاطات العصابة".

اتفق بوبى وفرانكى على تقسيم مهام التحقيق بينهما، كما اقترح بوبى من قبل، فانطلقت فرانكى بسيارتها البنتلى، بعد أن ابتاعت بعض الملابس الأنيقة من بعض المتاجر المحلية، وانطلق بوبى بحثًا عن ألبرت مير ـ البستانى.

ثم تقابلا فى وقت الغداء.

فقال بوبى متسائلًا: "حسنًا، ماذا اكتشفت؟".

هزت فرانكى رأسها نفيًا.

وقالت بصوت يائس: "لا يوجد أى احتمال بحدوث تزوير. لقد أمضيت وقتًا طويلًا بصحبة السيد إيلفورد ـ وقد اتضح أنه رجل عجوز لطيف الطباع. لقد بلغته أنباء ما حدث معنا ليلة الأمس وكان متلهفًا لسماع الأمر بالتفصيل، وأظن أنه لا ترد إليهم الكثير من الأخبار المثيرة فى هذا المكان. على أية حال، سرعان ما أحكمت سيطرتى على ذلك الرجل العجوز، وبعدها بدأت أناقش معه قضية السيد سافاج ـ متظاهرة بأننى قد قابلت بعضًا من أقارب السيد سافاج وأنهم قد ألمحوا إلىّ بشكوكهم حول وجود تزوير فى الوصية. وعندما وصلت إلى تلك النقطة هاج العجوز ـ وقال إن مسألة التزوير مستحيلة! حيث إن تكليفه بكتابة الوصية لم يتم عبر خطابات أو مكالمات أو شىء من هذا القبيل، ولكنه فى الواقع قد رأى السيد سافاج بنفسه وأصر الأخير على أن تكتب الوصية فى حضوره وفى نفس التوقيت. فقد كان السيد إيلفورد يريد أن يذهب إلى مكتبه لكى

يكتب الوصية بشكل لائق ـ أقصد أنهم كما تعلم يكتبون أوراقًا ومسودات أولية وكل هذا الهراء...".

فقال بوبى: "أنا لا أعلم أيًا من هذه الأشياء؛ فلم يسبق لى أن كتبت وصية من قبل".

"لقد كتبت أنا وصية من قبل ـ بل اثنتين، وقد كتبت الوصية الثانية فى صباح هذا اليوم؛ حيث كنت مضطرة لاختلاق عذر لوجودى داخل مكتب أحد المحامين".

"ولمن تركت كل أموالك؟".

"لك أنت".

"لقد كان ذلك تصرفًا طائشًا، ألا تتفقين معى؟ فلو نجح روجر باسينجتون فرينش فى التخلص منك، فربما يلقون بالتهمة علىّ ويكون مصيرى هو حبل المشنقة!".

قالت فرانكى: "لم أفكر فى ذلك مطلقًا. حسنًا، كما كنت أقول، لقد كان السيد سافاج عصبيًا للغاية ومصرًا على أن يقوم السيد إيلفورد بكتابة الوصية فى نفس الزمان والمكان، وقد حضرت الطاهية والبستانى وشهدا على الوصية. ثم أخذها السيد إيلفورد معه لكى يحتفظ بها فى مكان آمن".

قال بوبى موافقًا: "هذه القصة تطيح تمامًا باحتمال وجود تزوير".

"أعلم ذلك ـ لا يمكن الطعن بالتزوير إذا رأيت الشخص المعنى وهو يوقع باسمه على الوصية. أما بالنسبة للمسألة الأخرى ـ جريمة القتل ـ فسوف يكون من الصعب جدًا اكتشاف أى شىء بخصوصها الآن؛ فالطبيب الذى حضر لمعاينة الجثة

قد توفى منذ فترة، والطبيب الذى رأيناه بالأمس هو الطبيب الجديد ـ وقد حل محله منذ شهرين فقط".

قال بوبى: "يبدو أن لدينا عددًا من حالات الموت المؤسفة".

"لماذا، من الذى مات أيضًا؟".

"ألبرت مير".

"أتظن أن أحدًا قد تخلص منهم جميعًا بطريقة ما؟".

"يبدو هذا نوعًا من التعميم غير المنطقى. على كل حال، يمكننا أن نستثنى ألبرت مير من الشكوك ـ فقد كان الرجل فى الثانية والسبعين من العمر".

قالت فرانكى: "حسنًا، سوف أعزو موت هذا الرجل إلى أسباب طبيعية: فهل حالفك أى حظ فى البحث عن روز شودلى؟".

"نعم، فبعد أن تركت الخدمة فى منزل عائلة تمبلتون، ذهبت إلى شمال إنجلترا للعمل فى أحد المنازل هناك، لكنها عادت إلى هنا مجددًا وتزوجت من رجل كانت تربطها به قصة حب استمرت لسبعة عشر عامًا، ولسوء الحظ يبدو كأنها قد أصيبت ببعض الخبل ولم تعد تتذكر أى شىء عن أى أحد ـ ربما يمكنك التحدث إليها".

قالت فرانكى: "سوف أضطر للذهاب إليها إذن: فأنا أجيد التعامل مع المخبولين. أين يادجر بالمناسبة؟".

قال بوبى: "يا إلهى! لقد نسيت أمره تمامًا". ثم هب واقفًا وغادر القاعة، ثم عاد بعد بضع دقائق.

وقال موضحًا: "لقد وجدته لا يزال مستغرقًا فى النوم، لكنه

استيقظ الآن. ويبدو أن إحدى خادمات الغرف قد طرقت باب غرفته أربع مرات من قبل، لكن ذلك لم يكن كفيلًا بإيقاظه".

قالت فرانكى وهى تهم بالوقوف: "حسنًا، من الأفضل أن نذهب لرؤية تلك المرأة المخبولة، وبعدها يجب أن أشترى فرشاة أسنان، وقميصًا للنوم، وإسفنجة استحمام، وبعض لوازم الحياة المتحضرة الأخرى ـ لقد اقتربت كثيرًا من الطبيعة بالأمس لدرجة أننى لم أفكر فى شراء أى من تلك الأشياء، وإنما اكتفيت بأن خلعت ملابسى الخارجية وسقطت كالميتة فوق الفراش".

قال بوبى: "أعلم ذلك: فهذا هو ما فعلته أنا الآخر".

قالت فرانكى: "دعنا نذهب ونتحدث إلى روز شودلى".

كانت روز شودلى ـ التى صارت تعرف الآن باسم السيدة برات ـ تعيش فى منزل صغير ممتلئ بالتماثيل الصينية والأثاث. كانت السيدة برات نفسها امرأة ضخمة، بليدة الملامح، لها عينان كعيون السمك، وبدا واضحًا أنها مصابة بالزائدة الأنفية.

قال بوبى بابتهاج: "أرأيت، لقد عدت مجددًا!".

تنفست السيدة برات بصعوبة ونظرت إليهما بتشكك.

قالت فرانكى موضحة: "لقد كنا مهتمين للغاية عندما علمنا أنك كنت تخدمين السيدة تمبلتون".

قالت السيدة برات: "هذا صحيح يا سيدتى".

أكملت فرانكى كلامها، وهى تحاول أن تترك انطباعًا بمعرفتها الوثيقة بعائلة تمبلتون: "إن السيدة تمبلتون تعيش

الآن في الخارج حسب معلوماتي".

قالت السيدة برات: "لقد سمعت ذلك أيضًا".

تساءلت فرانكي: "لقد مكثت معها لفترة طويلة، أليس كذلك؟".

"مكثت أين يا سيدتي؟".

قالت فرانكي وهي تتحدث ببطء ووضوح: "مكثت بمنزل السيدة تمبلتون لفترة طويلة".

"ما كنت لأقول ذلك يا سيدتي ـ فقط لشهرين".

"أوه! لقد ظننت أنك قد مكثت معها فترة أطول من ذلك".

"لابد أنك تقصدين جلاديس يا سيدتي ـ خادمة المنزل ـ فهي التي عملت لدى السيدة لمدة ستة شهور".

"أكانت هناك خادمتان بالمنزل؟"

"نعم. لقد كانت جلاديس هي خادمة المنزل. أما أنا فكنت الطاهية".

"لقد كنت برفقتها عندما توفي السيد سافاج، أليس كذلك؟".

"ماذا قلت يا سيدتي؟".

"أكنت هناك عندما تُوُفّي السيد سافاج؟".

"إن السيد تمبلتون لم يُتَوفَّ ـ على حسب علمي وإنما سافر للعيش بالخارج".

قال بوبي: "ليس السيد تمبلتون ـ وإنما السيد سافاج".

ألقت إليه السيدة برات نظرة جوفاء ولم تنطق بشيء.

فقالت فرانكي: "الرجل النبيل الذي ترك لها كل أمواله".

بدت على ملامح السيدة برات لمحة من شيء أشبه بالذكاء.

وقالت: "أوه! نعم يا سيدتي، الرجل الذي كان هناك تحقيق بشأنه".

قالت فرانكي مبتهجة بنجاحها: "هذا صحيح. لقد اعتاد أن يأتي للمكوث بمنزل آل تمبلتون. أليس كذلك؟".

"لا يمكنني أن أجزم بهذا يا سيدتي؛ فقد كنت قد بدأت العمل توًّا عندما حدث ما حدث، لكن جلاديس تستطيع أن تخبرك بهذا".

"لكنك كنت شاهدة على وصيته، أليس كذلك؟".

بدا وكأن السيدة برات لم تفهم شيئًا مما قيل.

فقالت فرانكي: "لقد ذهبت ورأيته يوقع على ورقة ما وبعدها وقعت عليها أنت الأخرى".

ومرة أخرى بدت لمحة الذكاء على وجه السيدة برات.

وقالت: "نعم يا سيدتي، أنا وألبرت. إنني لم أفعل شيئًا مثل هذا من قبل ولم يعجبني ذلك الأمر، وقد قلت لـ جلاديس إنني لا أحب أن أوقع على أي مستندات، وهذه حقيقة بالفعل، لكن جلاديس قالت إن الأمور لابد أن تكون على ما يرام مادام السيد إيلفورد كان هناك؛ فهو رجل لطيف للغاية، إلى جانب كونه محاميًا".

تساءل بوبي: "ماذا حدث بالتحديد؟".

"ماذا تقصد يا سيدي؟".

فقالت فرانكى: "من الذى استدعاك كى توقعى على الأوراق؟".

"سيدة المنزل يا سيدى ـ لقد حضرت إلى المطبخ وطلبت منى أن أذهب للخارج لاستدعاء ألبرت ثم نصعد معًا إلى غرفة النوم الرئيسية (التى كانت سيدتى قد انتقلت منها وتركتها للسيد النبيل فى الليلة الماضية)، وهناك وجدنا السيد النبيل جالسًا فى فراشه ـ حيث كان قد حضر من لندن وتوجه إلى فراشه مباشرة ـ وكان مظهره يدل على أنه كان مريضًا للغاية. كانت هذه هى المرة الأولى التى أراه فيها، لكنه بدا شاحبًا للغاية. وكان السيد إيلفورد موجودًا أيضًا بالغرفة. وقد تحدث بلطف شديد وقال إنه لا يوجد ما أخشاه وأن كل المطلوب منى هو أن أوقع على نفس الورقة التى وقع عليها السيد النبيل، وقد وقعت على الورقة بالفعل وكتبت كلمة "طاهية" بعد توقيعى، وكذلك كتبت عنوانى، ثم فعل ألبرت مثلما فعلت. بعدها ذهبت إلى جلاديس وأنا أرتجف وقلت لها إننى ما رأيت قبل اليوم رجلًا يبدو عليه شبح الموت مثل هذا الرجل النبيل، فقالت جلاديس إنه كان على ما يرام بالليلة الماضية، وإنه لابد أن شيئًا قد حدث فى لندن وأزعجه إلى هذا الحد؛ حيث كان السيد النبيل قد ذهب إلى لندن فى الصباح الباكر قبل أن يستيقظ أى شخص بالمنزل. حينها قلت لـ جلاديس إننى لا أحب أن أوقع باسمى على أية أوراق. فقالت جلاديس إنه لا توجد مشكلة لأن السيد إيلفورد موجود بالمنزل".

"ومتى تُوفِّىَ السيد سافاج ـ أقصد الرجل النبيل؟".

"فى صباح اليوم التالى يا سيدتى ـ لقد حبس نفسه فى غرفته فى تلك الليلة ولم يدع أى شخص يدخل عليه، وعندما دخلت جلاديس لإيقاظه فى الصباح، وجدته متصلبًا ولا يتنفس ووجدت خطابًا موضوعًا على منضدة الفراش، كتب فى أعلاه: "إلى محقق الوفيات" أوه! لقد أصيبت جلاديس بصدمة كبيرة. وبعدها حدث التحقيق وكل هذه الأمور. وبعد شهرين لاحقين، أخبرتنى السيدة تعبلتون أنها ستسافر للعيش فى الخارج، لكنها دبرت لى وظيفة فى منزل بشمال إنجلترا براتب كبير وأعطتنى هدية لطيفة. إن السيدة تعبلتون امرأة شديدة اللطف".

بدا واضحًا فى تلك اللحظة أن السيدة برات قد بدأت تستمتع كثيرًا بالحكاية التى ترويها.

لكن فرانكى قاطعت استرسالها عندما نهضت من مكانها وهى تقول:

"حسنًا، لقد كان أمرًا لطيفًا أن نستمع إلى كل هذا". ثم أخرجت ورقة نقدية من حقيبة يدها وأردفت: "يجب أن تسمحى لى أن أترك لك بعض المـ... هدية صغيرة؛ فقد أخذت الكثير من وقتك".

"حسنًا، شكرًا كثيرًا على لطفك يا سيدتى. أتمنى لك يومًا طيبًا، أنت وزوجك المحترم".

احمر وجه فرانكى خجلًا وتراجعت إلى الخارج بسرعة، ثم لحق بها بوبى بعد عدة دقائق وقد بدا عليه الانشغال.

قال بوبى: "حسنًا، يبدو أننا قد حصلنا على كل ما نعرفه".

ردت فرانكي: "نعم. وحكايتها متوافقة مع ما سمعناه حتى الآن. لا يوجد أي شك في أن الوصية قد تركها ساهاج بنفسه. وأظن أن خوفه من السرطان كان حقيقيًا. ولست أظن أنه كان بإمكانهم رشوة طبيب شهير بشارع هارلي، لكنني أعتقد أنهم قد استفادوا من كتابته للوصية وتخلصوا منه قبل أن يغير رأيه. المشكلة الآن هي أنني لا أرى طريقة يمكن بها أن نثبت ـ نحن أو شخص آخر ـ أنهم قد تخلصوا منه بالفعل".

قال بوبي: "أعلم ذلك. ربما يمكننا أن نشتبه في أن السيدة تمبلتون قد أعطته "شيئًا يريحه من تعب الدنيا"، لكننا لا نستطيع إثبات ذلك. وربما يكون روجر ياسينجتون فرينش قد زور الخطاب الموجه إلى محقق الوفيات، لكننا لن نستطيع إثبات ذلك الآن. أتوقع أنه قد تم حرق الخطاب منذ فترة طويلة وبعد أن تم إدراجه كدليل في التحقيق".

"إذن فقد عدنا إلى المشكلة القديمة ـ ما هو بحق السماء ذلك الأمر الذي يخشى ياسينجتون فرينش وعصابته أن نكتشفه؟".

"ألا ترين أي شيء غريب في هذه القصة؟".

"كلا. لا أعتقد ذلك ـ على الأقل أمر واحد فقط: لماذا أرسلت السيدة تمبلتون في استدعاء البستاني من الخارج لكي يحضر ويشهد على الوصية بينما كانت الخادمة موجودة داخل المنزل ـ لماذا لم يطلبوا من خادمة الدار أن تشهد على الوصية؟".

قال بوبي: "من الغريب أن تذكري هذا يا فرانكي".

بدا صوته غريبًا لدرجة جعلت فرانكي تنظر إليه

باندهاش.

وقالت: "لماذا تقول ذلك؟".

"لأنني بقيت قليلًا حتى أسأل السيدة برات عن اسم وعنوان الخادمة جلاديس".

"وماذا قالت لك؟"

"إن اسم خادمة المنزل هو جلاديس إيفانز!".

الفصل ٣٢

إيفانز

شهقت فرانكي بقوة.

وارتفع صوت بوبي بانفعال:

"آترين، لقد سألت نفس السؤال الذي سأله كارستيرز ـ لماذا لم يسألوا خادمة الدار؟ لماذا لم يسألوا إيفانز؟".

"أوه، بوبي، لقد كدنا نصل إلى حل القضية أخيرًا!".

"لابد أن نفس النقطة قد أثارت اندهاش كارستيرز؛ لقد كان يتحرى الأمر، كما نفعل نحن الآن، بحثًا عن شيء مريب ـ وقد أثارت هذه النقطة اندهاشه مثلما أثارت دهشتنا، وأظن أنه قد حضر إلى ويلز لهذا السبب. إن جلاديس إيفانز اسم ويلزي، ولعل جلاديس هي فتاة من ويلز. لقد تتبع الآن كارستيرز آثارها حتى منطقة ماركيولت، وكان أحدهم يراقبه ـ وقد استطاع ذلك الشخص أن يتخلص من كارستيرز قبل أن يصل إليها".

قالت فرانكي: "لماذا لم يسألوا إيفانز؟ لابد أن هناك سببًا وراء ذلك. إنها نقطة صغيرة وساذجة ـ ومع ذلك لها أهمية

كبيرة. إذا كانت هناك خادمتان في المنزل، فلماذا يستدعون البستاني من الخارج ليشهد على الوصية؟".

"ربما لأن كلًا من ألبرت ميرو روز شودلي كانا قليلي الذكاء والفطنة، بينما كانت جلاديس فتاة حادة الذكاء".

"لا يمكن أن يكون هذا هو السبب؛ فقد كان السيد إيلفورد موجودًا بالمنزل وهو داهية شديد الفطنة. أوه! بوبي، إن تفسير تلك النقطة يوضح الموقف بالكامل ـ أكاد أجزم أنه كذلك. لو أننا نستطيع فقط معرفة السبب... إيفانز... لماذا طلبوا من ألبرت ميرو روز أن يشهدا ولم يطلبوا من جلاديس إيفانز؟".

وفجأة توقفت عن الحديث، ووضعت كلتا يديها فوق عينيها.

وقالت: "إنني أحس بأن التفسير سيتضح لي كأنه خاطر يمر أمام عيني، وسوف أراه بين لحظة وأخرى".

ظلت فرانكي صامتة تمامًا لدقيقة أو اثنين، ثم أزالت يديها من فوق عينيها ونظرت إلى رفيقها وقد تألقت عيناها ببريق غريب.

وقالت: "بوبي، لو أنك مقيم في منزل به خادمتان، فلمن منهما تمتنح بقشيشًا؟".

قال بوبي متدهشًا: "لخادمة المنزل بالطبع! إن المرء لا يعطي بقشيشًا لطاهية مطلقًا؛ وذلك لأنه لا يراها من الأساس".

"كلا، ولا هي تراك أيضًا ـ على الأقل قد تلمحك للحظة إذا تواجدتَ بالمطبخ يومًا، لكن خادمة المنزل هي من تتولى خدمتك وأنت تتناول العشاء، وترتب لك غرفة نومك، وتحضر

لك القهوة".

"ما الذي تحاولين الوصول إليه يا فرانكي؟".

"إنهم ما كانوا ليستطيعوا أن يسألوا جلاديس إيفانز أن تشهد على الوصية؛ لأن جلاديس كانت ستعلم على الفور أن من يكتب تلك الوصية لم يكن السيد سافاج".

"ماذا تقصدين بحق السماء يا فرانكي؟ من الذي كان يكتبها إذن؟".

"روجر باسينجتون فرينش بالطبع! ألا ترى أنه قد انتحل شخصية سافاج؟ إنني أراهن على أن روجر باسينجتون فرينش هو من ذهب إلى ذلك الطبيب وصنع كل هذه الجلبة بشأن إصابته بالسرطان، وبعدها تم استدعاء المحامي، وهو محام غريب لا يعرف السيد سافاج، لكنه سيكون قادرًا على أن يقسم على أنه قد رأى السيد سافاج وهو يوقع الوصية وأنه قد شهد عليها شاهدان ـ أحدهما طاهية لم تَرَ السيد سافاج من قبل، والآخر بستاني عجوز ربما كان لا يكاد يبصر حيتها أو لعله لم ير السيد سافاج هو الآخر من قبل. هل فهمت الآن ما حدث؟".

"لكن أين كان السيد سافاج الحقيقي في ذلك الوقت؟".

"أوه! أعتقد أنه قد وصل إلى المنزل بالفعل، ثم قاموا بتخديره ووضعه في الغرفة العلوية، وتركوه هناك لمدة اثنتي عشرة ساعة لحين انتهاء باسينجتون فرينش من تأدية خدعة انتحال شخصيته، ثم أعادوه إلى فراشه مجددًا وأعطوه الكلوزال، وأخيرًا وجدته جلاديس ميتًا في الصباح".

"يا إلهي. أعتقد أنك قد وصلت للحقيقة يا فرانكي، لكن هل يمكننا إثبات ذلك؟".

"نعم ـ لا ـ لا أدري. لو أننا أحضرنا صورة حقيقية للسيد سافاج وأريناها لـ روز شودلي ـ أقصد السيدة برات ـ هل تظن أنها ستكون قادرة على أن تصيح قائلة: "هذا ليس الرجل الذي رأيته يوقع على الوصية"؟".

قال بوبي: "أشك في ذلك؛ فالمرأة مخبولة تمامًا".

"أظن أنهم اختاروها لذلك السبب. لكن هناك شيئًا آخر: من المفترض أن يتمكن خبير خطوط من اكتشاف أن التوقيع مزيف".

"لكنهم لم يكتشفوا ذلك من قبل".

"الآن أحدًا لم يطعن بالتزوير من قبل؛ فلم يبدُ أن هناك أي وقت يحتمل أن تكون الوصية قد زورت خلاله. لكن الأمر يختلف الآن".

قال بوبي: "هناك شيء واحد يجب أن نفعله الآن: العثور على جلاديس إيفانز؛ فربما تكون قادرة على أن تخبرنا بالكثير. فقد كانت تعمل لدى آل تمبلتون لمدة ستة شهور، كما تعلمين".

تأوهت فرانكي وقالت:

"سيكون من الصعب جدًا أن نعثر عليها الآن".

قال بوبي: "ماذا لو سألنا في مكتب البريد؟".

كانا يمران من أمامه، وقد بدا المكان أكثر شبهًا بمستودع عام منه بمكتب بريد.

اندفعت فرانكي للداخل وافتتحت حملة التحقيق. لم يكن هناك أحد بالمكتب سوى مديرة مكتب البريد ـ وكانت فتاة شابة ذات أنف فضولي.

اشترت فرانكي مجموعة من الطوابع، وعلّقت على حالة الجو، ثم قالت:

"أعتقد أن حالة الجو هنا دائمًا ما تكون ألطف بكثير من حالة الجو في المكان الذي أعيش فيه. إنني أعيش بمنطقة ماركيولت ـــ ويلز. لن تصدقي كمية الأمطار التي تهطل هناك".

قالت الشابة ذات الأنف الفضولي إن المطر قد هطل بشدة في تلك الناحية أيضًا وأن كمية الأمطار التي هطلت في عطلة البنوك الأخيرة كانت قاسية للغاية.

فقالت فرانكي:

"هناك امرأة تعيش في ماركيولت لكنها نشأت في هذه المنطقة، وأنا أتساءل عما إذا كنت تعرفينها. إن اسمها إيفانز ـ جلاديس إيفانز".

لم يبد على الشابة ذات الأنف الفضولي أي ملمح للشك.

ولهذا قالت على الفور: "بالطبع أعرفها! لقد كانت تعمل خادمة هنا ـ في منزل تيودور كونيدج، لكنها لم تنشأ في هذه المنطقة، بل لقد أتت من ويلز وعادت إلى هناك ثانية وتزوجت ـ صار اسمها الآن السيدة روبرتس".

فقالت فرانكي: "هذا صحيح. هل يمكنك أن تعطيني عنوانها؟ لقد استعرت منها معطف مطر ونسيت أن أعيده إليها".

ولو أننى كنت أملك عنوانها لكنت أرسلته إليها بالبريد".

ردت الشابة: "أعتقد أن العنوان لدىّ بالفعل؛ فهى ترسل لى بعض البطاقات البريدية بين الحين والآخر ـ إنها تعمل هى وزوجها معًا. انتظرى لحظة حتى آتيك بالعنوان".

توجهت الشابة إلى أحد الأركان وبدأت تعبث فى بعض الأوراق، ثم عادت بعد لحظة وفى يدها قصاصة ورقية.

وقالت وهى تمرر الورقة عبر النضد: "ها هو العنوان".

قرأ بوبى وفرانكى العنوان معًا ـ لقد كان آخر مكان يمكن أن يخطر على بالهما.

"السيدة روبرتس،
دار عيادة ماركيولت،
ويلز"

الفصل ٣٣

حديث مثير فى مقهى أورينت كافيه

لم يعرف أى من بوبى وفرانكى كيف استطاعا أن يخرجا من مكتب البريد دون أن ينفجرا فى الضحك ويفتضح أمرهما.

وعندما صارا بالخارج، نظر كلاهما إلى الآخر ثم انفجرا فى الضحك.

وقال بوبى بصوت لاهث: "إن إيفانز موجودة بدار العيادة ـ طوال هذا الوقت!".

وقالت فرانكى متشاكية: "وأنا الذى نظرت إلى أربعمائة وثمانية من الأشخاص اسمهم إيفانز".

"الآن أدركت لماذا كان باسينجتون فرينش مستمتعًا للغاية عندما لاحظ أننا لا نعلم على الإطلاق من يكون إيفانز هذا".

"وبالطبع كان الأمر خطيرًا جدًّا من وجهة نظرهم. لقد كنت أنت وإيفانز تعيشان تحت سقف واحد طوال الوقت".

فقال بوبى: "هيا بنا؛ فمحطتنا التالية هى ماركيولت".

قالت فرانكى: "ها نحن نعود إلى وطننا الحبيب، وكأننا

كنا ندور فى دائرة مفرغة".

قال بوبى: "على أية حال، لابد أن نفعل شيئًا بخصوص بادجر ـ هل معك أى أموال يا فرانكى؟".

فتحت فرانكى حقيبتها وأخرجت حفنة من الأوراق المالية.

وقالت: "أعطه هذا المال، وقل له أن يصل إلى اتفاق مع الدائنين، وأخبره بأن أبى سوف يشترى الورشة ويوليه مسئولية إدارتها".

قال بوبى: "حسنًا، إن أفضل شىء نفعله الآن هو أن ننطلق بسرعة إلى ماركيولت".

"ولم هذه العجلة؟".

"لا أدرى، ولكنّ لدى شعور بأن شيئًا ما سوف يقع".

"يا لك من متشائم! هيا ننطلق بسرعة إذن".

"سوف أذهب أولًا لأخبر بادجر بالمستجدات. اذهبى أنت وأديرى محرك السيارة".

فقالت فرانكى: "يبدو أننى لن أتمكن من شراء فرشاة الأسنان أبدًا!".

وبعد خمس دقائق، انطلقت بهما السيارة مسرعة إلى خارج تشيبنج سومرتون، ولم يشتك بوبى مطلقًا من بطء السرعة طوال الرحلة.

ومع ذلك فقد قالت فرانكى:

"اسمع يا بوبى، نحن لسنا مسرعين بما يكفى".

ألقى بوبى نظرة سريعة على مؤشر عداد السرعة، الذى كان قد تخطى ثمانين ميلًا فى تلك اللحظة، وقال بجفاء:

"لست أرى ماذا يمكننا أن نفعل غير هذا!".

فقالت فرانكى: "يمكننا أن نؤجر طائرة خاصة؛ فنحن لا نبعد عن مطار ميدشوت إلا بسبعة أميال فقط".

قال بوبى: "يا لك من عبقرية!".

"إذا استأجرنا طائرة خاصة فسوف نصل إلى ماركيولت خلال ساعتين فقط".

قال بوبى: "حسنًا، لنستأجر طائرة خاصة".

وبشكل غريب بدأت الأحداث تتخذ شكل الحلم الخيالى لحظة بعد أخرى، ولكن، لماذا هذا الإسراع بالعودة إلى ماركيولت؟ لم يكن بوبى يعلم إجابة لذلك السؤال، وقد خمن أن فرانكى هى الأخرى لا تعرف ـ لقد كان الأمر كله مجرد إحساس.

وفى مطار ميدشوت، طلبت فرانكى مقابلة السيد دونالد كينج، وسرعان ما خرج لمقابلتها شاب متسخ الملابس، وقد بدا متدهشًا للغاية عندما رأى فرانكى.

قال الشاب: "مرحبًا فرانكى، لقد مر وقت طويل دون أن أراك ـ أى ريح طيبة ألقت بك إلينا اليوم؟".

فقالت فرانكى: "أريد استئجار طائرة خاصة ـ أنتم تؤجرون طائرات خاصة، أليس كذلك؟".

"أوه نعم. إلى أين تريدين الذهاب؟".

فقالت فرانكى: "أريد أن أذهب إلى مسقط رأسى ـ وبسرعة".

رفع السيد دونالد حاجبيه فى دهشة وقال:

"أهذا هو كل ما في الأمر؟".

فقالت فرانكي: "ليس تمامًا، لكن هذه هي الفكرة الأساسية".

"حسنًا، سوف نصل بك إلى البيت بأسرع وقت".

فقالت فرانكي: "سأحرر لك شيكًا بالمصروفات".

وفي غضون خمس دقائق، كانت الطائرة تحلق بهم في الهواء.

قال بوبي: "فرانكي، لماذا نفعل كل هذا؟".

ردت فرانكي: "ليست لديّ أدنى فكرة، لكنني أشعر بأننا يجب أن نسرع بالعودة ـ ألا تشعر بذلك؟".

"الغريب أنني أشعر بذلك بالفعل، لكنني لا أعرف السبب، فلا أظن أن السيدة روبرتس سوف تركب بساط الريح وتطير بعيدًا على أية حال".

"ربما تطير بالفعل ـ تذكر أننا لا نعلم ما يخطط له باسينجتون فرينش".

قال بوبي بتفكر: "هذا صحيح".

كان الوقت متأخرًا عندما وصلا إلى وجهتهما، وقد حطت بهما الطائرة في قلب الحديقة العامة. وبعد خمس دقائق كان بوبي وفرانكي يركبان السيارة الكرايسلر الخاصة باللورد مارشينجتون ويتجهان بسرعة إلى ماركيولت.

أوقفت فرانكي السيارة أمام بوابة دار العبادة؛ فقد كان ممر السير الخاص بدار العبادة أضيق من أن يستوعب السيارات الضخمة.

قفز بوبي وفرانكي من السيارة وانطلقا يعدوان فوق ممر السير.

قال بوبي: "لابد أنني سوف أستيقظ قريبًا من هذا الحلم. ما الذي نفعله ولماذا؟".

كان هناك جسم ضئيل يقف على عتبة الباب، وقد تعرف بوبي وفرانكي على صاحبة ذلك الجسم في نفس الوقت.

فصاحت فرانكي: "موبرا!".

التفتت موبرا وهي تتمايل قليلًا.

وقالت: "أوه! كم أنا سعيدة برؤيتكما، أنا لا أعلم ماذا أفعل".

"ولكن ما الذي أتى بك إلى هنا بحق السماء؟".

"أعتقد أنه نفس الشيء الذي جاء بكما".

فسألها بوبي: "لقد علمت من هو إيفانز، أليس كذلك؟".

أومأت موبرا برأسها إيجابًا.

وقالت: "نعم، إنها قصة طويلة...".

قال بوبي: "هيا إلى الداخل إذن".

لكن موبرا تراجعت للوراء بخوف.

وقالت بهلع: "كلا، كلا. دعونا نذهب إلى مكان آخر؛ فهناك شيء يجب أن أخبركما به ـ قبل أن ندخل المنزل. ألا يوجد مقهى أو مكان نستطيع الجلوس فيه في المدينة؟".

قال بوبي وهو يتحرك على مضض بعيدًا عن الباب: "حسنًا، لكن لماذا؟".

ضربت موبرا قدمها في الأرض وقالت:

"سوف تدرك مقصدي حينما أخبركما بالقصة كلها. أوه! هيا نذهب؛ فلا يوجد وقت لنضيعه".

استجاب كلاهما لإلحاحها. في منتصف الشارع تقريبًا يقع مقهى أورينت كافيه (أو مقهى الشرق) ـ وهو مقهى شهير نوعًا ما وإن كان تصميمه الداخلي لا يوحي بذلك. دلف ثلاثتهم إلى الداخل، وكان المكان شاغرًا في تلك اللحظة ـ حيث كانت الساعة تشير إلى السادسة والنصف.

جلس ثلاثتهم على طاولة صغيرة موضوعة بأحد الأركان وطلب بوبي ثلاثة أقداح من القهوة.

ثم قال: "ها قد جلسنا!".

قالت موبرا: "انتظر حتى تأتي النادلة بأقداح القهوة؟!".

عادت النادلة ووضعت أمامهم ثلاثة أقداح من القهوة الفاترة بدون حماس يذكر.

ولما انصرفت، قال بوبي: "ها قد ذهبت النادلة".

قالت موبرا: "لا أدري من أين أبدأ ـ لقد حدث الأمر في القطار المتجه إلى لندن. في الواقع، لقد كانت صدفة لا تصدق. كنت أمشي على طول ممر السير بالقطار و...".

ثم سكتت فجأة، ومالت إلى الأمام محدقة النظر إلى الباب الذي كان مقعدها مواجهًا له.

وقالت: "لابد أنه قد لحق بي".

صاح بوبي وفرانكي معًا: "من؟!".

همست موبرا: "باسينجتون فرينش".

"هل رأيته؟!".

"إنه بالخارج بصحبة امرأة حمراء الشعر".

صاحت فرانكي: "السيدة كايمان".

ثم قفزت ـ هي وبوبي من مقعدهما وانطلقا يعدوان باتجاه الباب. انطلقت صيحة اعتراض من فم موبرا، لكن لم ينتبه أي منهما إليها. نظر كلاهما إلى يمين الشارع ويساره، لكن لم يكن هناك أثر لـ باسينجتون فرينش.

ثم انضمت إليهما موبرا.

وسألت بصوت مرتجف: "هل ذهب؟ أوه! كونا على حذر؛ فهو خطير ـ بل خطير للغاية".

قال بوبي: "لن يستطيع أن يفعل أي شيء مادمنا معًا".

وقالت فرانكي: "تمالكي نفسك يا موبرا، ولا تتصرفي كالأرنب المذعور".

قال بوبي وهو يقود الطريق إلى داخل المقهى مجددًا: "لا يمكننا أن نفعل أي شيء الآن. أكملي ما كنت تحكينه يا موبرا".

التقط بوبي قدح القهوة، لكن فرانكي فقدت توازنها واصطدمت به، فانسكبت القهوة على الطاولة.

قالت فرانكي: "متأسفة للغاية".

ثم مدت يدها إلى الطاولة المجاورة والتي تم وضعها للراغبين في تناول الطعام بالمقهى. كان هناك إبريق زجاجي موضوع فوق الطاولة وبجواره زجاجتان مغلقتان تحتويان على زيت وخل.

ولكن الأغرب هو ما فعلته فرانكي بعد ذلك، والذي كان

كافيًا لإثارة انتباه بوبى؛ فقد أخذت زجاجة الخل وأفرغت محتواها فى وعاء فارغ، ثم بدأت تصب محتويات فنجان قهوتها داخل الزجاجة.

تساءل بوبى: "هل فقدت عقلك يا فرانكى؟ ما الذى تفعلينه بحق السماء؟".

قالت فرانكى: "سآخذ عينة من هذه القهوة لكى يقوم جورج أربثوت بتحليلها".

ثم التفتت إلى موبرا وقالت:

"لقد انكشفت لعبتك يا موبرا! لقد اتضحت كل الأمور أمام عينى وكأنها خاطر مر برأسى ونحن نقف أمام الباب الآن! عندما اصطدمت بمرفق بوبى وجعلته يسكب فنجان قهوته على الطاولة، رأيت وجهك. لقد وضعت شيئًا فى قدحينا عندما جعلتنا نهرع إلى الباب بحثًا عن روجر باسينجتون فريش. لقد انتهت اللعبة *يا مدام نيكلسون أو تمبلتون أو أيًا كان الاسم الذى تطلقينه على نفسك!*".

صاح بوبى: "تمبلتون؟!".

صاحت فرانكى: "انظر إلى وجهها: إذا أنكرت ما قلته الآن، فاطلب منها أن تذهب معك إلى دار العبادة لنرى ما إذا كانت السيدة روبرتس سوف تتعرف عليها أم لا".

نظر إليها بوبى بالفعل، فرأى ذلك الوجه... ذلك الوجه الجذاب الحزين وقد تحولت ملامحه بفعل غضب شيطانى، وانفتح ذلك الفم الجميل وانطلقت منه دفعات من اللعنات والشتائم البغيضة.

ثم اندفعت يد موبرا تبحث عن شىء داخل حقيبتها.

كان بوبى لايزال مذهولاً من وقع المفاجأة، لكنه تصرف فى اللحظة الأخيرة.

ولقد كانت يده هى التى دفعت المسدس إلى أعلى.

وانطلقت الرصاصة لتمر من فوق رأس فرانكى وتستقر فى حائط مقهى أورينت كافيه.

وكانت هذه هى المرة الأولى فى تاريخ المقهى التى تخرج فيها إحدى النادلات إلى الشارع وتصيح: "النجدة! هناك قاتل! اتصلوا بالشرطة!".

الفصل ٣٤

خطاب من أمريكا الجنوبية

بعد عدة أسابيع من حادثة منهى أورينت كافيه، تلقت فرانكى خطابًا مرسلًا من إحدى البلدان غير المعروفة بقارة أمريكا الجنوبية. وبعد أن انتهت من قراءته، مررته إلى بوبى الذى كان يقف بجوارها.

وكان فحوى الخطاب كالتالى:

عزيزتى فرانكى، اسمحى لى أن أهنئك تهنئة حقيقية! لقد تمكنت أنت والضابط البحرى صديقك من إحباط خطط ظللت طيلة حياتى أرتب لها. ولقد كنت قد رتبت كل شىء بإحكام قبل ظهوركما.

هل تودين حقًا معرفة كل شىء عن مخططاتى؟ لقد باحت صديقتى موبرا بكل شىء (بسبب الحقد، على ما أعتقد. فالنساء مخلوقات حاقدة بطبيعتهن!) ولذلك لست أرى أن الاعتراف بكل ما ارتكبته من جرائم سيضيرنى فى شىء. إلى جانب أننى أبدأ حياة جديدة. ويمكنك القول

بأن روجر باسينجتون فرينش لم يعد له وجود.

إنني أعتقد أنني طالما كنت فتى مشاغبًا، وحتى عندما كنت أدرس في أكسفورد، ارتكبت بعض الزلات البسيطة.

كان ذلك غباء من جانبي؛ لأن الأمر كان لابد أن ينكشف في النهاية، ومع أن أبي لم يتخل عني، إلا أنه أرسلني إلى المستعمرات في العالم الجديد.

وسرعان ما التقيت بـ موييرا وعصابتها ـ لقد كانت مجرمة محترفة بمعنى الكلمة، وقد ارتكبت أولى جرائمها قبل أن تتم الخامسة عشرة من العمر. عندما قابلتها، كانت الأجواء من حولها مضطربة للغاية؛ حيث كان رجال الشرطة الأمريكيون يلاحقونها دون هوادة.

أعجب كل منا بالآخر من البداية، وقررنا أن نتزوج ولكن كانت لدينا بعض الخطط التي يجب أن ننفذها قبل ذلك.

وكانت أولى تلك الخطط هي زواجها من الدكتور نيكلسون، وبهذا تمكنت من نقل نفسها إلى عالم آخر، وفقد رجال الشرطة أي أثر لها. كان نيكلسون على وشك الانتقال إلى إنجلترا وإقامة مصحة لمرضى الأعصاب. وكان يبحث عن منزل مناسب يستطيع شراءه بثمن رخيص، وقد دلته موييرا على الجرانج.

وكانت موييرا لاتزال تعمل في تهريب المخدرات مع عصابتها، وقد كان نيكلسون مفيدًا جدًا لها ـ دون أن يدري.

لقد كان لدي دومًا طموحان أردت تحقيقهما: فقد كنت أريد أن أصبح مالك منزل ميروايز كورت، وكنت أرغب

في كسب قدر كبير من المال. لقد لعبت عائلة باسينجتون فرينش دورًا عظيمًا في عصر الملك تشارلز الثاني، ومنذ ذلك الحين هبط مستوى العائلة إلى الطبقات الاجتماعية الوسطى. كنت أشعر أن بإمكاني أن أجعل العائلة تلعب دورًا عظيمًا مرة أخرى، لكن كنت بحاجة إلى المال.

كانت موييرا تقوم بعدة رحلات إلى كندا لمقابلة أفراد عصابتها. وكان نيكلسون متيمًا بها ويصدق كل ما تقوله له؛ فقد كان معظم الرجال كانوا يصدقونها بالفعل. ونظرًا للتعقيدات والمخاطر التي تنطوي عليها تجارة المخدرات، فقد كانت موييرا تسافر تحت أسماء مستعارة. وفي إحدى المرات كانت تسافر تحت اسم السيدة تمبلتون، وحينها قابلت ساطاع. كانت تعلم كل شيء بشأن ساطاع وثروته العريضة، وعلى الفور نصبت شباكها حوله. انجذب إليها ساطاع، لكنه لم ينجذب بما يكفي لكي يفقد عقله وبصيرته.

على أية حال، فقد وضعنا خطة. وأنت تعلمين جيدًا بقية تلك القصة. لقد لعب الرجل الذي تعرفينه باسم السيد كايمان دور الزوج عديم الإحساس. وقد أقنعت موييرا ساطاع بالحضور إلى منزل تيودور كوتيدج وقضاء بضعة أيام أكثر من مرة. وفي المرة الثالثة التي حضر فيها، قمنا بتنفيذ خطتنا. ولست بحاجة لسرد تلك الوقائع ـ فأنت تعرفينها جيدًا. وقد تم تنفيذ الخطة بمنتهى البساطة. حصلت موييرا على أموال ساطاع وسافرت ـ ظاهريًا ـ للعيش في الخارج ـ لكنها في الواقع قد عادت إلى قرية سنافيرلي، وتحديدًا إلى مصحة الجرانج.

وفي نفس الوقت، كنت أضع خطتي الخاصة بإحكام. كان لابد لي من التخلص من هنري وولده تومي، وقد صادفني حظ عاثر فيما يخص تومي؛ حيث رتبت له حادثين محكمين لكنهما لم يحققا الغرض مع الأسف. أما بالنسبة لـ هنري، فلم أكن لأخاطر بمحاولة ترتيب حادث له. كان هنري يعاني بعض الآلام الروماتيزمية بعد تعرضه لحادث في حقل الصيد، وعليه فقد قدمت له بعض المورفين، فتناوله من يدي عن طيب خاطر. لقد كان هنري شخصية بسيطة، وسرعان ما أصبح مدمنًا للمورفين. وكانت خطتي هي أن أقنعه بدخول مصحة الجرائح من أجل العلاج، وهناك إما أن "ينتحر" أو يتناول جرعة زائدة من المورفين. وكانت الخطة هي أن تتولى موريا القيام بذلك؛ لأنه ليس من الحكمة أن أرتبط بالأمر من قريب أو بعيد.

وحينها ظهر ذلك الأحمق كارستيرز على مسرح الأحداث. ويبدو أن سافاج كان قد كتب له خطابًا وهو على متن إحدى السفن وذكر له فيه حكاية السيدة تمبلتون، بل ووضع صورة لها بداخل المظروف. انطلق كارستيرز في رحلة صيد بعد ذلك بقليل، وعندما عاد من رحلته بأحراش إفريقيا، وسمع بأخبار موت سافاج والوصية التي تركها، بدأت الشكوك تتسلل إلى قلبه، ولم تبد له القصة قابلة للتصديق. كان كارستيرز على يقين من أن سافاج لم يكن فلتًا بشأن موته ولم يصدق أنه كان يعاني خوفًا زائدًا من الإصابة بالسرطان، وكذلك بدا له أن محتوى الوصية لا يشبه أسلوب سافاج؛ فلقد كان سافاج رجل أعمال عنيدًا وصعب المراس، ورغم أنه قد لا يجد مانعًا في الانخراط

في علاقة غرامية مع امرأة متزوجة، فإن كارستيرز لم يصدق، ولو للحظة، أن سافاج قد يترك جزءًا كبيرًا من أمواله لها والبقية للأعمال الخيرية. بالمناسبة، لقد كانت مسألة ترك بقية الأموال للأعمال الخيرية فكرتي أنا. لقد بدت كفكرة محترمة ولا تثير الشكوك.

حضر كارستيرز إلى هنا، عاقدًا العزم على التحقيق في الأمر. وبالفعل بدأ يسأل ويتحرى ويدرس أنفه فيما لا يعنيه.

وعلى الفور صادفنا سوء حظ غريب؛ حيث أحضره بعض أصدقائنا لتناول الغداء بمنزل مسيروای كورت. وهناك رأى صورة موريا موضوعة على البيانو، وعلى الفور تعرف عليها على أنها المرأة التي أرسل إليه سافاج صورتها مع الخطاب، وعليه فقد توجه كارستيرز إلى بلدة تشيبنج سومرتون وبدأ يتقصى الأمور هناك.

بدأنا نشعر بالقلق، أنا وموريا ـ أحيانًا كنت أفكر أنه لم يكن هناك داعٍ لكل ذلك الخوف، لكن كارستيرز كان بالفعل رجلًا شديد الذكاء.

ذهبت إلى تشيبنج سومرتون لألحق به. وقد فشل كارستيرز في تعقب آثار الطاهية ـ روز شودلي ـ حيث إنها كانت تعيش بشمال إنجلترا في ذلك الوقت، لكنه نجح في تعقب جلاديس إيفانز، وعلم اسمها بعد الزواج، وانطلق إلى منطقة ماركيولت لمقابلتها.

كانت الأمور قد بدأت تأخذ منحنى خطيرًا؛ فلو نجحت إيفانز في التعرف على السيدة تمبلتون والسيدة نيكلسون على أنهما نفس المرأة، فسوف تصبح الأمور في منتهى

الصعوبة، وكذلك فقد كانت إيفانز تعمل بمنزل تيودور كوتيدج لمدة طويلة نسبيًا ولم نكن واثقين كم كانت تعرف من أسرارنا.

لكل ما سبق قررت أنه لا مفر من التخلص من كارستيرز؛ فقد كان يسبب لنا إزعاجًا كبيرًا، وقد أعانني الظروف على تنفيذ خطتي؛ حيث كنت أسير خلفه تمامًا عندما انتشر الضباب في الجو. اقتربت منه أكثر، وكانت دفعة بسيطة كفيلة بإتمام المهمة.

لكنني كنت لا أزال في معضلة؛ فلم أكن أعلم ماذا يحمل من أدلة تدينني. على أية حال، فقد دفعت الظروف بصديقك الضابط البحري بين يدي؛ حيث مكنني من البقاء بمفردي مع جثة آلان كارستيرز لفترة قصيرة من الزمن ـ لكنها كانت كافية لتفتيش ملابسه. ووجدته يحمل صورة لـ موبرا في جيبه ـ كان قد حصل عليها من المصور ـ ربما من أجل تحديد شخصيتها. أخذت الصورة من جيبه وكذلك أي خطابات أو إثباتات شخصية، ثم وضعت صورة لواحدة من أفراد العصابة.

سارت كل الأمور على ما يرام؛ حيث حضرت الشقيقة المزعومة وزوجها للتعرف على جثته. وبدا كأن كل الأمور قد انتهت على خير. لكن صديقك الشاب عكر صفو الأمور مجددًا. يبدو أن كارستيرز قد استعاد وعيه قبل الوفاة ولفظ ببعض الكلمات أمام صديقك. ويكفي أنه قد ذكر إيفانز ـ وقد كانت إيفانز تخدم بدار العبادة بالفعل.

إنني أعترف بأن التوتر قد بدأ يحسبنا حينها؛ مما جعلنا نفقد توازننا قليلًا. ولهذا أصرت موبرا على التخلص

من صديقك الشاب. وقد حاولنا التخلص منه بطريقة ما لكنها باءت بالفشل. وبعدها قالت موبرا إنها ستتولى المسألة بنفسها. وهكذا انطلقت بالسيارة إلى ماركيولت، وانتهزت ببراعة فرصة سانحة ـ فوضعت بعض المورفين في علبة عصيره أثناء نومه، لكن ذلك الشاب اللعين لم يستسلم للموت بهذه السهولة ـ لقد كان ذلك مجرد سوء حظ.

وكما أخبرتك من قبل، فقد كان الاستجواب الذي أجراه نيكلسون معك هو ما أثار شكوكي تجاهك، لكن تخيلي الصدمة التي تعرضت لها موبرا عندما كانت تتسلل خارجة من المصحة في إحدى الليالي من أجل مقابلتي ووجدت نفسها وجهًا لوجه أمام بوبي! لقد تعرفت عليه على الفور ـ فقد تطلعت إلى ملامحه جيدًا عندما كانت تدرس له المورفين وهوناتم. لا عجب أنها أصيبت بفزع شديد لدرجة أنها كادت أن تفقد الوعي، ثم أدركت على الفور أنها لم تكن موضع شكوكه وإنما زوجها، فاستعادت رباطة جأشها وبدأت تستغل الموقف لصالحنا.

ذهبت موبرا إلى الفندق الذي ينزل به بوبي وأخبرته ببعض القصص الوهمية، فصدقها بكل سذاجة. تظاهرت موبرا بأن آلان كارستيرز كان حبيبًا قديمًا لها وركزت قصتها بشكل مقنع على مخاوفها تجاه نيكلسون، وكذلك فعلت كل ما في وسعها لكي تبدد شكوكك تجاهي. ولقد فعلت أنا نفس الشيء معك، وجعلتك تقتنعين بأن موبرا ـ المرأة التي على استعداد لأن تتخلص من أي عدد من الناس دون أن يطرف لها جفن ـ مجرد فتاة ضعيفة عاجزة

لقد كان الموقف حرجًا ـ لقد حصلنا على المال، وكنا نسير بخطى جيدة لتنفيذ خطة التخلص من هنري، ولم أكن في عجلة من أمري لإزاحة تومي من الطريق، وكان بإمكاني التعامل قليلًا قبل تولي أمره. وكذلك كان بإمكاننا التخلص من نيكلسون بسهولة عندما يحين الوقت المناسب لذلك. لكنك، أنت وبوبي، كنتما تمثلان خطرًا داهمًا؛ فقد كانت شكوكما متركزة على مصحة النجرانج.

ربما يهمك أن تعلمي أن هنري لم ينتحر، بل إنني الذي قتلته؛ عندما كنت أتحدث إليك في الحديقة، أدركت أنه لا يوجد وقت لتضييعه ـ ولهذا دلفت إلى داخل المنزل وتوليت أمره.

أعطتني الطائرة التي كانت تحلق في الجو فرصة جيدة؛ فتوجهت إلى حجرة مكتبه، وجلست بجوار هنري الذي كان منشغلًا بالكتابة وقلت له: "استمع إلي يا أخي..." ثم أطلقت النار عليه؛ كان صوت الطائرة المحلقة في الجو كافيًا لحجب صوت الرصاصة، ثم كتبت خطاب انتحار مليئًا بالكلمات المؤثرة، ومسحت بصماتي من فوق المسدس، ووضعته في يد هنري، ثم تركته يسقط على الأرض. بعدها وضعت مفتاح حجرة المكتب في جيب هنري ثم خرجت، وأغلقت باب الحجرة من الخارج بمفتاح باب غرفة الطعام الذي يطابق مفتاح حجرة المكتب تمامًا.

لا أظن أن المجال يتسع لكي أخوض في شرح التفاصيل الدقيقة للمشرقمات التي وضعتها في المدخنة وضبطتها لكي تنفجر بصوت مُدَوٍّ بعد أربع دقائق من خروجي.

المهم أن الأمور قد سارت على أفضل ما يكون ـ كنت أنا

وأنت نقف معًا في الحديقة عندما سمعنا صوت "الطلقة" الوهمية، وبذلك اكتملت كل أركان الانتحار؛ والشخص الوحيد الذي وضع نفسه في موضع الاشتباه هو صديقنا السكين نيكلسون؛ فقد عاد للمنزل الداخل بحثًا عن عصاه!

بلا شك كانت الغارات الليلية التي يشنها بوبي على المصحة أكثر مما يمكن لـ موبيرا أن تتحمل، ولهذا هربت إلى الكوخ، وقد تخيلنا أن تصوير نيكلسون لاختفاء زوجته سوف يثير شكوكما دون ريب.

ولكن الموضع الذي أظهرت فيه موبيرا براعتها كان في الكوخ؛ فقد أدركت ـ بسبب الجلبة التي سمعتها بالطابق العلوي ـ أنني قد سقطت أسيرًا لكم، فحقنت نفسها بسرعة بكمية كبيرة من المورفين واستلقت فوق الفراش، وبعد أن توجهتم جميعًا للاتصال بالشرطة، صعدت إلى أعلى وقطعت الحبال التي تقيدني، بدأ تأثير المورفين يظهر عليها، وعندما وصل الطبيب إلى الكوخ، كانت قد سقطت في غيبوبة حقيقية.

ومع كل ذلك كانت أعصابها قد بدأت تخونها بالفعل. كانت تخشى من أنك قد تصلين إلى إيفانز ومن ثم تعرفين القصة الحقيقية وراء وصية ساقاج وحادث انتحاره. وكذلك كانت تخشى من أن يكون كارستيرز قد أرسل خطابًا إلى إيفانز قبل وصوله إلى ماركيولت. ومن أجل هذا تظاهرت موبيرا بالذهاب إلى دار استشفاء بلندن، ولكنها في الواقع أسرعت الخطى إلى ماركيولت ـ وهناك قابلتكما على عتبة باب دار العبادة! وهناك واتتها فكرة التخلص منكما في ضربة واحدة. كانت الطريقة التي اعتمدتها في

شدة السذاجة. لكنني أعتقد أنه كان بإمكانها أن تنفذها وتمحو بصماتها. وأشك في قدرة الشادلات بالمقهى على تذكر شكل المرأة التي حضرت بصحبتكما. كان بإمكان مويرا أن تعود إلى لندن في الوقت المناسب لكي تستقر داخل دار الاستشفاء لبعض الوقت. وبعد إزاحتكما ـ أنت وبوبي ـ من الطريق ـ كانت القضية كلها ستموت لا محالة.

لكنك نجحت في كشفها ـ وفقدت هي أعصابها تمامًا.

وأثناء المحاكمة اعترفت بكل شيء وورطتني في الأمر!

ربما كنت قد بدأت أساب بالملل منها...

ولكن لم يخطر ببالي أنها قد علمت بذلك.

آوين! لقد حصلت على الأموال ـ أموالي أنا! وربما كنت سأتخلص منها بعد أن أتزوجها لفترة؛ فأنا أحب التنويع.

وها أنا ذا أبدأ الحياة من جديد...

وكل ذلك بسببك، أنت وذلك الشاب المزعج بوبي جونز.

لكن لا شك عندي في أنني سوف أصنع شيئًا جيدًا في حياتي!

أم تراه سيكون شيئًا سيئًا وليس جيدًا؟

أنا لم أصلح من حالي حتى الآن.

لكن إذا لم ينجح المرء من المحاولة الأولى، فعليه أن يحاول مرة تلو الأخرى.

وداعًا يا عزيزتي ـ أو ربما يكون من الأفضل أن أقول إلى اللقاء؛ فالمرء لا يعلم أبدًا متى تتقابل الوجوه. أليس كذلك؟

عدوك المحب، والفتى الشاحب، وشرير هذه القصة،

روجر باسينجتون هربنشو.

الفصل ٣٥

أخبار من دار العبادة

أعاد بوبي الخطاب إلى فرانكي، فتناولته فرانكي من يده وهي تتنهد قائلة:

"إنه بالفعل شخص مثير للإعجاب".

رد بوبي ببرود: "إنك من البداية شديدة الإعجاب به".

فقالت فرانكي: "لا أنكر أنه يمتلك شخصية ساحرة". ثم أردفت: "وكذلك كانت مويرا".

احمر وجه بوبي خجلًا.

وقال: "إنه لأمر غريب جدًا أن يكون حل ذلك اللغز كله موجودًا طوال الوقت بدار العبادة. أتعلمين أن كارستيرز قد أرسل خطابًا إلى جلاديس إيفانز ـ أقصد السيدة روبرتس؟".

أومأت فرانكي برأسها إيجابًا.

فأضاف بوبي: "وقد أخبرها أنه آت لمقابلتها، وأنه يريد معلومات عن السيدة تمبلتون التي كانت لديه أسباب تدفعه

للاعتقاد بأنها مجرمة دولية ومطلوبة من قبل الشرطة".

ثم أردف بمرارة: "وعندما دُفع كارستيرز من فوق حافة الجرف، لم تستطع السيدة روبرتس أن تربط الأمور ببعضها".

قالت فرانكي: "هذا لأنها علمت أن الرجل الذي سقط من فوق الجرف اسمه بريتشارد. لقد كانت مسألة تحديد هوية الميت خدعة ماهرة من قبل رجال العصابة: فلو أن رجلًا يدعى بريتشارد سقط - أو حتى دُفع - من فوق حافة الجرف، كيف يمكن أن يكون هو نفسه كارستيرز؟ هذه هي الطريقة التي يعمل بها عقل بسيط كعقل السيدة روبرتس".

أكمل بوبي يقول: "الشيء المضحك هو أنها تعرفت على السيد كايمان، أو على الأقل لمحته عندما كان زوجها روبرتس يدخله إلى غرفة المكتب وسألت زوجها عنه. وعندما قال لها إنه السيد كايمان، قالت: "عجبًا، إنه صورة طبق الأصل من رجل نبيل كنت أعمل في خدمته".

قالت فرانكي: "هل يمكنك أن تلومها؟".

وأردفت: "حتى روجر باسينجتون فريتش فضح نفسه مرة أو مرتين، لكنني كنت أغبى من أن ألاحظ ذلك".

"هل فعل ذلك حقًا؟".

"نعم، عندما قالت سيلفيا إن الصورة المنشورة في الصحف للرجل الميت تشبه ألان كارستيرز بشدة، قال روجر إنه لا يوجد أي شبه كبير بينهما - مما يثبت أنه قد رأى وجه الرجل الميت، لكنه قال لي - في وقت لاحق إنه لم ينظر إلى وجه الرجل الميت مطلقًا".

"وكيف اكتشفت حقيقة موبرا بحق السماء يا فرانكي؟".

قالت فرانكي بنبرة حالمة: "أظن أن ما جعلني أكتشفها هو وصف الناس للسيدة تمبلتون: فقد قال الجميع إنها كانت "سيدة لطيفة" وهذا الوصف لا ينطبق على السيدة كايمان، ولا يوجد أي خادم قد يصفها بـ "السيدة اللطيفة". وعندما وصلنا إلى دار العبادة ووجدنا موبرا تقف على عتبة الباب، خطر لي حينها خاطر مفاجئ - ماذا لو أن موبرا هي السيدة تمبلتون؟".

"هذا ذكاء بالغ منك!".

قالت فرانكي: "إنني أشعر بأسى شديد تجاه سيلفيا. لابد أن اعتراف موبرا على روجر قد عرض سيلفيا للتشهير، لكن من الجيد أن الطبيب نيكلسون قد وقف بجانبها في تلك المحنة ولن أتفاجأ كثيرًا إذا انتهى بهما الحال معًا".

قال بوبي: "يبدو أن كل الأمور قد انتهت بشكل جيد بالنسبة للجميع - وها هو بادجر يدير الورشة بصورة جيدة - والفضل يعود لوالدك، وبفضل والدك أيضًا حصلت على هذه الوظيفة الرائعة".

"أهي حقًا وظيفة رائعة؟".

"إدارة مزرعة بن في كينيا مقابل حصة كبيرة من الأرباح؟ أظن أنها وظيفة رائعة بالفعل - بل هي الوظيفة التي كنت أحلم بها دائمًا".

سكت بوبي للحظة.

ثم أردف بنبرة ذات مغزى: "إن الكثير من الناس يأتون

إلى كينيا فى رحلات!".

فقالت فرانكى بخجل: "والكثير من الناس يعيشون هناك".

فقال بوبى: "أوه! فرانكى، لا أظن أنك قد تفعلين ذلك!" ـ ثم احمر وجهه خجلًا، وتلعثم مرة أو مرتين، وأخيرًا استعاد رباطة جأشه وقال: "هل توافقين حقًا على العيش هناك؟".

قالت فرانكى: "أوافق ـ أقصد إذا طلبت منى ذلك".

قال بوبى بصوت مختنق: "لقد كنت دومًا مغرمًا بك، وكنت أشعر ببؤس شديد لكونى أدرك أنه لا سبيل لى للوصول إليك".

"أظن أن ذلك هو ما جعلك تعاملنى بفظاظة شديدة عندما كنا فى ملعب الجولف، أليس كذلك؟".

"نعم؛ لأننى كنت أشعر بحزن شديد".

قالت فرانكى: "أممم...وماذا عن موبرا؟".

قال بوبى بنبرة إقرار: "لا أنكر أن وجهها قد سحرنى بطريقة غريبة".

قالت فرانكى بوداعة: "إن وجهها أكثر جمالًا من وجهى".

"كلا ـ ولكن وجهها كان "يأسرنى" بطريقة ما، ولكن عندما كنا محبوسين بالغرفة العلوية وكنت تتحدثين بجرأة كبيرة عن مشاعرك ـ أحسست وكأن موبرا قد تلاشت تمامًا. لم أكن مهتمًا على الإطلاق بما يحدث لها؛ فقد كنت أنت ـ وأنت فقط ـ هو كل ما يشغل بالى ـ لقد كنت رائعة بكل ما تحمل الكلمة من معانٍ! وشُجاعة بدرجة لا توصف".

قالت فرانكى: "لم أكن أشعر بالشجاعة بداخلى، بل كنت أرتجف من الخوف، لكننى أردت أن أثير إعجابك".

"لقد أعجبت بك بالفعل يا عزيزتى...ومازلت معجبًا بك... ولطالما كنت معجبًا بك... ولسوف أبقى للأبد معجبًا بك. أواثقة من أنك لن تكرهى العيش فى كينيا؟".

"سوف أعشق العيش فيها ـ لقد سئمت إنجلترا على أية حال".

"فرانكى".

"بوبى".

قال الموقر جونز، وهو يفتح الباب ليدخل مجموعة من الضيوف المدعوين: "إذا تفضلتم بالدخول إلى هنا".

ثم أغلق الباب بسرعة وهو يعتذر قائلًا:

"هذا ولد...أحد أولادى، وهذه خطيبته".

قال أحد الحاضرين إن المنظر الذى رآه يدل على ذلك بالفعل.

قال الموقر جونز: "إنه ولد صالح. كان فى فترة من فترات حياته مصرًا على ألا يأخذ الحياة على محمل الجد، لكن سلوكه قد تحسن كثيرًا فى الفترة الماضية، وسوف يذهب قريبًا ليدير شئون مزرعة بن فى كينيا".

قال أحد الحاضرين لرفيق له بصوت هامس: "هل رأيت؟ ألم تكن هذه الفتاة التى كان معها هى الليدى فرانسيس ديرويلت؟".

وخلال ساعة واحدة كان خبر خطبة بوبى وفرانكى قد انتشر فى أرجاء ماركيولت.

تمت بحمد الله

أجاثا كريستي Agatha Christie

لماذا لم يسألوا إيفانز؟

بينما كان بوبى جونز يلعب مباراة جولف غريبة الأطوار، أطاح بالكرة من فوق حافة الجرف. اختفت الكرة عن الأنظار، لكنه وجد - على الصخور بأسفل الجرف جثمان رجل يصارع الموت. وبينما كان الرجل يلفظ أنفاسه الأخيرة، فتح عينيه وقال: «لماذا لم يسألوا إيفانز؟».

صار بوبى أسيرًا لتلك الكلمات، فانطلق بصحبة صديقته المفعمة بحب المغامرة، فرانكى ديروينت، لحل ذلك اللغز الذى سيعرض حياتهما لمخاطر رهيبة...

إنها قصة تداعب وتثير مشاعر القارئ، ولكنها لا تستنفد صبره أو تستخف بذكائه.

صحيفة تايمز ليترارى سابلمنت

6 281072 061579
282204519

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE